مسؤولية الآباء تجاه الأولاد

تأليف
عبد الرب نواب الدين آل نواب







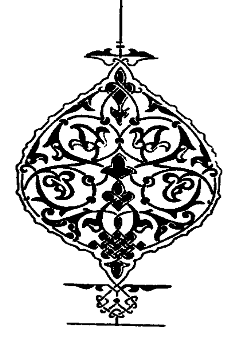
مَسْؤُولِيَّةُ الآباءِ
تُجاهَ الأولادِ



رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

رقم الإيداع
٢٠٠٧/١٧٨٨٦

الترقيم الدولي
977-331-110-4



دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - اسكندرية
تليفون فاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٠٥٤١١٩١٠-٢-٥٢٢٢٠٠٢
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

المقدمـــة

الحمد لله الكبير المتعال ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى المختار ، وعلى آله وصحابته الأبرار الأخيار ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم التناد ، وبعد :

فإن طبيعة تكوين الإنسان على اختلاف جوانبه النفسية والفكرية والبدنية ، وعلى تعدد مراحل نموه وترعرعه ، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بما يكتنفه من عوامل التكوين والتحوير ، والإنسان ينفرد من بين المخلوقات بهذه الخاصية التى تمثل القابلية العقلية والنفسية للتأثر والتأثير .

وتكاد تجمع الدراسات الاجتماعية والتربوية والنفسية على أن أخصب مراحل عمر الإنسان وأكثرها قابلية للتربية والتكوين والتحوير هي مرحلة الطفولة والصبا ، وهي أطول طفولة من حيث الزمن من بين سائر المخلوقات المتدرجة في سلم الحياة .

ولئن كان الطفل منذ سن التمييز تبدأ لديه القابلية للتعلم والتأمل والمحاكاة فإن الأبوين يضطلعان بالدور الأكبر والأساس في هذا المضمار الحيوي الذي تبقى آثاره أمداً طويلاً من عمر الإنسان ، ويفوق دورهما الأدوار الأخرى التي تناط بالمدرسة والمجتمع والبيئة كمّاً ونوعاً وعمقاً ، مرات عديدة .

ويمكن تلخيص (أهمية مسئولية الآباء تجاه الأولاد) على ضوء الحديث النبوي الشريف الذي تؤسس عليه الدراسات التربوية والفقهية المتعلقة بهذا الموضوع وهو قوله ﷺ : **«ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»**[1] .

ويتبين ذلك من خلال الفقرات الآتية :

١ - أن الأبوين يقومان بالدورالأول والأساس في (تشكيل) شخصية الطفل ،

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب التفسير (٤٧٧٥) ، ومسلم في كتاب القدر (٢٦٥٨) .

و(تكوين) أنماط سلوكه وفكره وتوجهه ، إذ يعتمدان على الأسلوب المباشر والمتكرر ، ويقضي الولد معهما أطول زمن ولا سيما في مرحلة النشأة المبكرة ، كما أنهما يفعلان ذلك طبعاً وسجية لا تكلفاً ومهنة ، وعليه فإن تأثيرهما التربوي إيجاباً أو سلباً أعمق وأثرهما أبقى .

٢ - تلقى الولد من أبويه أسرع وأغزر لما بينه وبينهما من وشائج الولادة والصفات الوراثية ، ولانعدام الموانع التي تمنع أو تعرقل عملية الإلقاء والتلقي ، أو عملية التأثير والتأثر ، أو التعليم والتعلم ، وأيضاً بفعل المغريات والمشجعات الكثيرة المتنوعة التي يصطنعها الأبوان لتحقيق بغيتهما التربوية في صورة أسرع وأعمق .

٣ - الجانب العقدي من تربية الأبوين أهم الجوانب التي يقومان بها في تربية الأولاد ، ويفوق ذلك الجوانب البدنية والنفسية الأخرى ؛ بل لا سبيل إلى المقارنة والمقاربة بين الجانب الديني الذي ينبثق منه فكر وسلوك الولد ، وبين الجوانب الحياتية الأخرى ، إذْ يحدد الدين مصير الإنسان الأبدي فهو ينتظم الحياة الدنيا والآخرة بينما لا تتجاوز حاجات الإنسان الأخرى الحياة الدنيا الماثلة .

٤ - دقة وعمق التأثير الذي يطبعه الوالدان في قلب الولد وعقله بحيث يشب الولد على دين أبويه لا يكاد يفترق عنهما ولا يفارق عوائدهما وموروثاتهما العقدية والفكرية قيد أنملة إلا نادراً .

٥ - تكاثر المؤثرات السلبية المعاصرة وتنوعها وتعددها مما يجابهه الطفل المسلم والشاب المسلم المعاصر على اختلاف الأصعدة :

الصعيد الإعلامي ، والتربوي ، والبيئي ، ولا سيما مع تطور وانتشار وسائل الإعلام والاتصال والمواصلات ، الأمر الذي يجعل هاتين الفئتين من المجتمع الإسلامي أعني : (الأطفال والشباب من الجنسين) هدفاً استراتيجياً للقوى المعادية على اختلاف مصادرها وتعدد ثقافاتها .

وهذا مما يستوجب مضاعفة الجهود لتنشئة الأولاد على مبادئ دينهم وثوابته ولوازمه ، ثم لتحصينهم ضد تلكم التيارات الفكرية الغازية ، ثم لإعدادهم من بعد ذلك ليقوموا بدورهم الرائد في تربية الجيل التالي ، وفي مجابهة القوى المعادية بالمثل ، وبما تستوجبه رسالة المسلم نحو نفسه وولده وإخوانه المسلمين والناس أجمعين .

وليس يقوم بهذا الواجب الجليل على الوجه المتوخى غير الأبوين المسلمين الغيورين ، قال العلامة ابن القيم : «قال بعض أهل العلم إن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده ، فإنه كما أن للأب على ابنه حقاً فللابن على أبيه حق» ، فكما قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا . . . ﴾[1] . قال تعالى : ﴿ . . . قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ . . . ﴾[2] .

قال علي بن أبي طالب ﷺ : علموهم وأدبوهم ، وقال تعالى : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ . . . ﴾[3] .

وفي حديث النعمان بن بشير ﷺ مرفوعاً إلى النبي ﷺ : «اعدلوا بين أولادكم»[4] .

فوصية الله للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بآبائهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ . . . ﴾[5] فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة ، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم ، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه ، فأضاعوهم صغاراً ، فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كباراً !

(١) سورة العنكبوت : الآية ٨ .

(٢) سورة التحريم : الآية ٦ .

(٣) سورة النساء : الآية ٣٦ .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الهبة حديث (٢٥٨٧) واللفظ له ، ومسلم في كتاب الهبات حديث رقم (١٦٢٣) .

(٥) سورة الإسراء : الآية ٣١ .

كما عاتب بعضهم ولده على العقوق ، فقال : يا أبت إنك عققتني صغيراً فعققتك كبيرا ! وأضعتني وليداً فأضعتك شيخاً !![1] .

وقال : ما أفسد الأبناء مثل غفلة الآباء وإهمالهم واستسهالهم شرر النار بين الشباب !! فأكثر الآباء يعتمدون مع أولادهم أعظم ما يعتمد العدو الشديد العداوة مع عدوه وهم لا يشعرون !! فكم من والد حرم ولده خير الدنيا والآخرة ، وعرضه لهلاك الدنيا والآخرة ، وكل هذا عواقب تفريط الآباء في حقوق الله وإضاعتهم لها ، وإعراضهم عما أوجب الله عليهم من العلم النافع والعمل الصالح ، حرمهم الانتفاع بأولادهم وحرم الأولاد خيرهم ونفعهم لهم وهو من عقوبة الآباء[2] .

ويقول ابن القيم -رحمه الله- : «بهذا يبرز الأخطار الكثيرة التي يتردى فيها الولد حين يهمله والداه فيتسببان في الإضرار به إضراراً بليغاً وهم لا يشعرون ، ولا سيما إهمال تعليمه أمور دينه وأخلاقه وحقوق غيره» .

هذا وللموضوع الكتاب أهمية تربوية غير ما ذكر ، سيلمسها القارئ الحصيف في ثنايا هذا الكتيب الوجيز .

- نظرات في منهج البحث :

من المعلوم لدى المصنفين والمؤلفين أن الدراسات الإسلامية على تنوعها ، ليست تستغني -كي تتسم بالأصالة- عن التوثيق العلمي وهو مظهر من مظاهر التأصيل الذي ينبغي أن تؤسس عليه الأبحاث العلمية ، ولعلي في منهج الكتاب توخيت ذلك على وجه الدقة ما وسعني فعزوت الآيات القرآنية ، وذكرت مراجع التفسير ، كما عزوت الأحاديث النبوية الشريفة إلى مصادرها المعروفة وغالباً ما أكتفي بالصحاح الستة ، ولم أذكر في كتابي هذا حديثاً ضعيفاً ولا معلولاً بل اقتصرت على الصحيح ، واكتفيت في عزو الأحاديث بذكر المصدر واسم الكتاب

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود ص ١٣٩ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٧ .

ورقم الحديث لأن ذلك ثابت مطرد لا يختلف باختلاف الطبعات ، ثم هو أقرب إلى الاختصار ، واعتمدت في ذلك على الطبعات المشهورة المتداولة ، وأشرت إلى كتب شروح الصحاح ، كما أني لم أهمل مراجعي ومصادري الأخرى .

ولقد استغرق هذا الكتيب مني جهداً غير قليل ووقتاً كنت به ضنيناً ، والكتاب بعد هذا جهد المقل وبضاعة المكدود ، لست أزعم له الكمال ولا ينبغي أن يكون ذلك لغير كتاب الله المجيد ، فإن اطلعت أيها القارئ الكريم على ما هو حسن فخذ به واحمد الله أن هيأه لك من غير نصب ولا وصب ! ووفقك إليه وأعانك على فهمه واسأله التوفيق على العمل به ، فإن القول السديد ليس يكمل إلا بالعمل الرشيد ، وإن رأيت خطأ وزللاً فذكرني به فهو من حقي عليك ! وإني إلى الحق -إن شاء الله- رجاع ، وبه مستمسك ، ولست أستنكف عنه ولا أترددعن ترك الباطل والتبري منه إن لاح وظهر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب لا إله غيره ولا رب سواه .

وبعـد :

فلعل في هذا الجهد الكليل حافزاً للآباء إلى أن يهتموا بالأولاد وأن يقوموا بواجباتهم الشرعية تجاه فلذات الأكباد ، كي ينعم الجميع بالحياة الطيبة الهانئة في الدنيا وبالنعيم المقيم في الآخرة كما هو موعود الله تباركت أسماؤه ، حيث يقول : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1] .

وحرره في المدينة النبوية يوم الجمعة ١٤١٨/٤/١٢هـ كاتبه عبدالرب بن نواب الدين بن غريب الدين آل نواب عفا الله عنه وعامله بحلمه وفضله لا بعلمه وعدله آمين .

وصلى الله وسلم على عبده وخاتم رسله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

(١) سورة النحل : الآية ٩٧ .

مدخل :
تعريفات عامة

- تعريف بالآباء والأولاد .
- العلاقة بين الآباء والأولاد في الإسلام .
- المسئولية المعنية حدودها وآثارها .
- بعض ما ورد في فضل تربية الأولاد .

مدخل : تعريفات عامة

ـ تعريف بالآباء والأولاد :

قال علماء اللغة : أصل الأب (أَبَوٌ) محركة ، لأن جمعه آباء مثل قفو وأقفاء ورحى وأرحاء فالذاهب منه واو ، لأنك تقول في التثنية أبوان . . . ويجمع أيضاً على أبون وأبوٌ وأبُـوَّة ، يقال : أبوت وأبيت صرت أباً ، وأبوته إباوة -بالكسر- صرت له أباً ، والاسم : الإِبواء ، وتأبَّاه اتخذه أبا . . . وأبو المرأة زوجها[1] .

والأب : الوالد ويطلق على الجد والعم والصاحب وعلى من كان سبباً في إيجاد شيء أو ظهوره أو إصلاحه ، والأبوان الأب والأم[2] .

قالوا : والابن : الولد ، أصله بنيٌ أو بَنَوٌ وجمعه أبناء ، والاسم البنوة[3] .

والولد : اسم يجمع الواحد والكثير والذكر والأنثى .

والولد : -محركة وبالضم والكسر والفتح- واحد وجمع ، وقد يجمع على أولاد وولدة وإلدة -بكسرهما- ووُلد -بالضم-[4] .

مما سبق يتبين أن لفظة الأب تتضمن خصائص الوالدية بكل صورها وأبعادها سواء كان بالأصالة وهو الوالد ، أو التبعية فيدخل فيه العم والمعلم والمربي والكافل ونحو ذلك .

وكذلك الولد ، يطلق على الابن والبنت الصلبيين ، وقد يطلق على من يجمعهم معنى من معاني البنوة كالتلميذ والخادم واليتيم ونحوه .

ولنتأمل هذه المعاني اللغوية الثرَّة على هدى الكتاب والسنة ولا فرق بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي للفظ الأب والولد :

(١) انظر القاموس المحيط -للفيروز آبادي باب الواو والياء ٢٩٧/٤ ، ولسان العرب لابن منظور مادة (أبي) ١٤/ ٦ - ٧ .

(٢) المعجم الوسيط مادة (الأب) ٣/١ .

(٣) القاموس المحيط باب الواو والياء ٣٠٥/٤ .

(٤) لسان العرب مادة (ولد) ٤٦٧/٣ والقاموس المحيط باب الدال ٣٤٧/١ .

فالأبوة اسم جامع لمعاني الوالدية بكل ما تحمله هذه اللفظة من مشاعر الإنسانية وعواطف الوالدية الحانية .

والأب في التنزيل الحكيم يطلق على الوالد ، ويطلق على الأم مع الأب ، ويطلق على الجد الذي هو أب الأب وإن علا ، ويطلق على العم .

– ودونك بعض الأمثلة على ذلك :

فمن إطلاقه على الوالد وهو الاستعمال الأصيل ، قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (1)

وقال في موضع آخر : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ (2) .

وأبوه هو آزر كما نصت الآية الشريفة وليس بعمه كما زعمه بعض المفسرين إذ لا دليل عليه .

– والأم مع الأب يطلق عليهما الأبوان ، كما في آية المواريث : ﴿ . . . وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ . . . ﴾ (3) ، والوالدان هما الأبوان أي الأب والأم ، كما في قوله تعالى : ﴿ . . . وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا . . . ﴾ (4) .

– والخالة أم كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « الخالة بمنزلة الأم » (5) .

وعليه فتلحق الخالة بالأم في هذا الإطلاق ، ومنه قوله تعالى في قصة يوسف :

---

(1) سورة الأنعام : الآية ٧٤ .

(2) سورة مريم : الآيتان ٤١ ، ٤٢ .

(3) سورة النساء : الآية ١١ .

(4) سورة الإسراء : الآية ٢٣ .

(5) رواه البخاري في كتاب الصلح (٢٧٠٠) ، وأبو داود في كتاب الطلاق (٢٢٨٠) ، والترمذي في كتاب البر والصلة (١٩٠٤) وقال : حديث حسن صحيح .

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ . . . ﴾[1] . على تفسير من قال بأن المقصود أبوه وخالته وهو مرجوح .

– والجد أب وإن علا ، وفي هذا قول الباري جل ذكره في قصة يوسف بن يعقوب عليهما السلام : ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ . . . ﴾[2] فسمى الجد وأباه أباً ، لأن إسحاق جد يوسف الأدنى ، وإبراهيم جده الأعلى ، وكلاهما أبواه وآباء الإنسان أجداده مهما علوا قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ . . . ﴾[3] .

– والعم أب إن ذكر مع الأب كما في قوله تعالى : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[4] .

هذا ولا يصح الانتساب لغير الأب الذي هو الوالد لقول الباري جل ذكره : ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ﴾[5] .

هذا عن الأبوة ومرادفاتها ومدلولها اللغوي والاصطلاحي .

أما البنوة والولادة ، فالولد كما سبق ذكره يطلق على المفرد والجمع والذكر والأنثى وأصل استعماله في الولد الصلبي كقول إبراهيم الخليل لابنه : ﴿ . . . يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ . . . ﴾[6] . على القول

---

(١) سورة يوسف : الآية ١٠٠ .
(٢) سورة يوسف : الآية ٦ .
(٣) سورة المؤمنون : الآية ٦٨ .
(٤) سورة البقرة : الآية ١٣٣ .
(٥) سورة الأحزاب : الآية ٥ .
(٦) سورة الصافات : الآية ١٠٢ .

الصحيح وهو أن الذبيح إسماعيل ، عليهم جميعاً السلام ، و أيضاً قول لقمان لابنه : ﴿ ... يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[1] .

وبنو آدم : أولاده وذريته على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، وولد الإنسان : بنوه وبناته من صلبه كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ... ﴾[2] .

والولد : بنو الإنسان وبنو بنيه كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ... ﴾[3] ، وقد يسمى ولد الولد حفيداً كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ... ﴾[4] .

وقد يطلق لفظ (الولد) أو (الابن) تجوزاً على من يشملهم الإنسان بعطفه وشفقته كالتلاميذ واليتامى وصغار السن ، ومنه حديث أنس رضي الله عنه قال : قال لي النبي ﷺ : «يا بني»[5] .

وعلى ما تقدم :

فإنه يقصد بعنوان الكتاب وهو (مسئولية الآباء تجاه الأولاد) : تلك المسئوليات والواجبات التي تقع على كاهل الأبوين على الأصالة نحو أولادهم بما تتضمنه مجالات التربية والتقويم والتهذيب والتغذية والصيانة والتعهد والرعاية ، كما يقصد ضمنا من يلحق بالأبوين ممن هم في مكانتهما في حال فقدهما أو فقد أحدهما بالموت أو العجز ، سواء من أدلى بوشيجة القرابة النسبية كالأعمام والأجداد ونحوهم ، أو من كان أباً معنوياً كالمربي والمعلم والإمام .

(١) سورة لقمان : الآية ١٣ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٣٣ .

(٣) سورة الأنفال : الآية ٢٨ .

(٤) سورة النحل : الآية ٧٢ .

(٥) رواه مسلم في كتاب الآداب (٢١٥١) واللفظ له ، والترمذي في كتاب العلم (٢٦٧٨) وقال حسن غريب .

ـ العلاقة بين الآباء والأولاد :

العلاقة بين الآباء والأولاد علاقة الأصول بالفروع ، وهي أقوى علاقة وأثبت عرى ، إنها علاقة النسب والدم وعلاقة الإرث الحسي والمعنوي ، والآباء أقرب الناس إلى الأولاد ، كما أن الأولاد أعز ما يحبه الإنسان فطرة وسجية ، فهي إذاً علاقة استمداد واتساق وليس فوق رابطة الدم والنسب ورابطة الفرع بالأصل سوى رابطة الإيمان التي تعلو كل رابطة وتسمو على كل وشيجة .

يستمد الأبناء من آبائهم الصفات الخَلقية والخُلقية ، كما يتمسكون بموروثاتهم الفكرية والعقدية ويلاحون عنهم ويحتمون بما لهم من مكانة اجتماعية أو مكتسبات ويشيدون بها ، يفعلون ذلك بدافع الحمية والسجية ، فالأبوة هي العطاء كما تراها البنوة وكما يتبادر إلى الحس .

وفيما يلي أهم ملامح هذه العلاقة الفطرية بين الآباء والأولاد :

أ ـ افتخار الأولاد بمآثر الآباء :

وهو افتخار واعتداد لم يعبه الشرع إذا كان باعثاً على الخير ، بأن يسلك الأبناء مسالك آبائهم في الخير والرشد ، فحب الآباء والاعتزاز بمآثرهم سجية في الإنسان لم يحاربها الدين الحنيف ، بل هذبها وجعلها من منطلقات السمو نحو الفضائل والمناقب ، ومن بواعث التأسي بهم في المحامد والمكارم .

ومما يدل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا . . . ﴾[1] .

ومن أوجه التفسير للآية الشريفة : فاذكروا الله كذكر الأبناء الصغار للآباء إذا قالوا أبَه أمَّه ![2] .

وتأمل كيف طفق الناس يُذكِّرون مريم لما جاءت بولدها عيسى عليهما السلام

(١) سورة البقرة : الآية ٢٠٠ .

(٢) انظر النكت والعيون ـ للماوردي ٢٦٢/١ وزاد المسير ـ لابن الجوزي ٢١٥/١ .

من غير أب بقدرة الله ، إذ قالوا : ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴾[1] .

وسواء كان هارون أخا موسى أو غيره أو كانت مريم من نسله فنسبت إليه كما يقال للتميمي يا أخا تميم وللمضري يا أخا مضر[2] ، فإن تذكيرها بأصلها الطيب الخيّر فيه حفز لها إلى معالي الأمور ، وكأنهم قالوا لها يا أيتها المنتسبة إلى هارون ما كان أبوك يأتي الفواحش ولا كانت أمك زانية فلماذا تورطت في إتيانك بهذا الولد ولا زوج لك ؟! .

وهم لا ريب مخطئون لأنها ما بغت وحاشاها لكنها أتت بعيسى عليه السلام من غير أب ليكون للناس آية على قدرة الله تعالى ومشيئته .

ويؤخذ من هذا أن تذكير الولد المنحرف بأبويه الصالحين أسلوب في تربيته إذ يتضمن ذلك حافزاً له إلى أن يسلك مسلك أبويه في صلاح الحال واستقامة السيرة ، فالعصبية والحمية نزاعة إلى موافقة الآباء لا مخالفتهم .

وهذه الموافقة والمتابعة إنما تحمد إن كانت في الخير ، أما إن كانت في الشر فهي البلاء ! .

وقد عاب كتاب الله على الكفرة حميتهم الجاهلية إذا دعوا إلى الإيمان والتوحيد ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾[3] .

ب ـ انتفاع الأبناء بصلاح الآباء :

وهو انتفاع يسري في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، أما في الدنيا فإن الأب الصالح أو الأم الصالحة يحفظ الله تعالى ببركة صلاحهما أو صلاح أحدهما

(١) سورة مريم : الآية ٢٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ١٣٢/٣ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٧٠ .

الولد في الدنيا من كثير من الآفات والمصائب ، إما بدعائهما وإما بمحض رحمة الله وتفضله وإحسانه .

وبما يدل عليه قول الله تعالى في قصة الغلامين اليتيمين : ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾[1] .

قال ابن كثير : فيه دليل أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته وتشملهم بركة عبادته في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم ورفع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنة لتقر عينه بهم كما جاء في القرآن ووردت به السنة[2] .

وهذا الحفظ الإلهي يسري في الولد بصلاح والده سواء أكان الولد في مستوى صلاح والده أم لا ما دام مسلماً . كما قال الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما : حفظا بصلاح أبيهما وما ذكر منهما صلاح[3] وفي التنزيل الحكيم : ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[4] .

أي : لا غيرهم ، والصلاح هنا هو الإسلام ، لأن الله ليس ولياً للكافرين .

وانتفاع الولد بصلاح الوالد في الدنيا أمر لاغنية عنه ، وهو أعظم من الانتفاع المادي ، أما في الآخرة فهو أعظم من انتفاعه في الدنيا ، ويكون بالشفاعة في دخول الجنة أو رفع درجاته ، ودليله قول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[5] .

---

(١) سورة الكهف : الآية ٨٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ١١١/٣ .

(٣) تفسير الطبري ٦/١٦ .

(٤) سورة الأعراف : الآية ١٩٦ .

(٥) سورة غافر : الآية ٨ .

وشرط هذا الانتفاع أن يكون من أهل الإيمان والعمل الصالح كما ذكره أهل العلم[١] . إذ تتقطع الأسباب في ذلك اليوم العظيم سوى سبب الإيمان والعمل الصالح كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[٢] ، وقال في موضع آخر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾[٣] .

قال الإمام ابن القيم : لا يشفع أحد لأحد يوم القيامة إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ، فإذنه سبحانه في الشفاعة موقوف على عمل المشفوع له من توحيده وإخلاصه ، ومرتبة الشافع من قربه عند الله ، ومنزلته ليست مستحقة بقرابة ولا بنوة ولا أبوة ، وقد قال سيد الشفعاء ﷺ وأوجههم عند الله لعمه ولعمته وابنته : «لا أغني عنكم من الله شيئاً» رواه أبو هريرة رضي الله عنه[٤] [٥] .

ج ـ انتفاع الآباء بصلاح الأبناء :

وهو -أيضاً في الدنيا والآخرة- أما في الدنيا فالنفع المادي وصلة الرحم والبر بالوالدين والإحسان إليهما حتى وإن كانا كافرين ، ومن المعلوم أن بر الوالدين من أعظم الحقوق بعد حق الله تبارك وتعالى ، لذا قرن الله تباركت أسماؤه حقه بحقهما في غير ما آية من كتابه المجيد من مثل قوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾[٦] .

(١) انظر تفسير الطبري ٣٠/٢٤ ، وفتح القدير للشوكاني ٤٨٢/٤ ، وتفسير السعدي ٥٠/٧ .
(٢) سورة الشعراء : الآيتان ٨٨ ، ٨٩ .
(٣) سورة لقمان : الآية ٣٣ .
(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الوصايا حديث (٢٧٥٣) ومسلم في كتاب الإيمان (٢٠٤) .
(٥) تحفة المودود ص ٤٨ .
(٦) سورة الإسراء : الآية ٢٣ .

وقيام الآباء بمسئولياتهم تجاه الأبناء من حسن الرعاية وكمال التربية يزرع فيهم القيام بحق الوالدين لا سيما عند الكبر لأن المنبت الطيب يجيء بالثمرة الطيبة وكذلك العكس إلا من عصم الله .

ومما ورد في بر الوالدين الكافرين حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : **قدمت عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت : قدمت عليَّ أمي وهي راغبة أفأصل أمي؟ قال : «نعم صلي أمك»**[1] .

ومن بر الوالدين بذل المعروف وخفض الجناح ولين الجانب وترقيق القول واحتمال ما قد يبدر منهما ، وسد حاجاتهما وتمكينهما من كل ما يحتاجانه . وفي حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال النبي ﷺ : **«إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه»**[2] .

وأما ما ينتفع به الوالدان بصلاح ولدهما في الآخرة فإنما يتحقق بشرط الإيمان والعمل الصالح كما سبق ، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : **«إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول أنى لي هذا فيقال باستغفار ولدك لك»**[3] رواه أبو هريرة رضي الله عنه .

وعليه فالولد الصالح لا يقطع بره بوالديه بل يصلهما بالدعاء والخير .

د ـ تحريم الانتساب لغير الآباء :

وهو تشريع تحفظ به الأنساب ، وتضبط به الحقوق المترتبة على ذلك ، والانتساب

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الهبة (٢٦٢٠) واللفظ له ، ومسلم في كتاب الزكاة (١٠٠٣) .

(٢) رواه أصحاب السنن : أبو داود في كتاب البيوع (٣٥٢٨) ، والترمذي في كتاب الأحكام (١٣٥٨) وقال حديث حسن صحيح ، والنسائي في كتاب البيوع (٤٤٥٢) ، وابن ماجه في كتاب التجارات (٢٢٩٠) واللفظ لأبي داود والنسائي .

(٣) رواه ابن ماجه في كتاب الأدب (٣٦٦٠) .

إنما يكون إلى الأب الوالد لا إلى غيره ، ولقد أبطل الإسلام عادة التبني التي كانت شائعة في الجاهلية ، وفي هذا يقول الباري سبحانه : ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ۝٤ ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1] .

ومن التدابير الشرعية أن حرم الإسلام سائر العلاقات المنحرفة بين الرجال والنساء ، وشرع النكاح المعروف وجعله الطريق الوحيد إلى الانتساب إلى الآباء ، ومن انتسب إلى غير أبيه بعد علمه فقد أتى كبيرة تستوجب عقابه ولعنه وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : «**من انتسب إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»[2] .

هـ - تلاحم وتعاضد كيان الآباء والأبناء :

وهو ثمرة لما تقدم من أوجه العلاقة بين الآباء والأبناء ، فبين الأبوين والأولاد وشائج متداخلة وعرى محكمة يساند بعضهم بعضا في الدين والدنيا ، منها -سوى ما تقدم- التوارث بشرط الإسلام ، ومنها قضاء الديون ورد الودائع ، ومنها قضاء الفرائض التى تشرع فيها النيابة كالحج والعمرة والصدقة والصوم .

- حدود مسئولية الآباء تجاه الأولاد :

تتنوع مسئوليات الآباء كماً ونوعاً ، وتأخذ أبعاداً متعددة لتشمل كل متطلبات الحياة السوية ، فعلى البعد الزماني : يتحمل الآباء مسئولياتهم نحو الأولاد قبل

(١) سورة الأحزاب : الأيتان ٤ -٥ .

(٢) رواه ابن ماجه في كتاب الحدود (٢٦٠٩) واللفظ له ، وأحمد في مسند بني هاشم (٢٨٨٠) .

الإنجاب بحسن اختيار الزوجة الصالحة التي ستكون محضناً صالحاً ومدرسة تربوية للأولاد وحتى الممات ، وعلى البعد المكاني : لا بد من تهيئة البيئة الصالحة والأسرة الفاضلة بتوخي المجتمع الإسلامي الأمثل ، وعلى البعد التربوي : تشمل مسئوليات الآباء كل متطلبات الولد وحاجاته الأساسية والتكميلية ، بسد حاجاته البدنية والعقلية والروحية والنفسية ، وكذلك العمل الدؤوب على تحصين الولد ضد مواقع العطب .

ومن تأمل معطيات الدين الحنيف في منهاج تربية الأولاد يدرك مدى الشمولية التي يتسم بها ذلك المنهاج ، ولنأخذ مثلاً في عجالة على ذلك ما بوب به البخاري رحمه الله العديد من كتب الصحيح : ففي كتاب الوضوء باب بول الصبيان ، وفي كتاب الأذان باب وضوء الصبيان ومتى يجب عليهم الغسل والطهور وحضورهم الجماعة والعيدين والجنائز وصفوفهم فى الصلاة ، وفي كتاب الجمعة باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم وباب خروج الصبيان إلى المصلى ، وفي كتاب الجنائز باب صفوف الصبيان مع الرجال في الجنائز وباب صلاة الصبيان مع الناس على الجنائز ، وفي كتاب الحج باب حج الصبيان ، وفي كتاب الصوم باب صوم الصبيان ، وفي كتاب الشهادات باب بلوغ الصبيان وشهادتهم ، وفي كتاب الجهاد باب قتل الصبيان في الحرب وأنه نهي عنه ، وفي كتاب الاستئذان باب التسليم على الصبيان .

وهذا غيض من فيض مما تزخر به كتب المصادر الإسلامية وفي هذا دلالة على اهتمام الإسلام بالمسلم منذ طفولته وصباه ، وأن المنهج الإسلامي في تربية الأولاد من الدقة والشمولية بمكان لا تجد له نظيراً في المناهج الأخرى القاصرة إذ يزخر بالكثير كما سنرى إن شاء الله في أبواب التربية الرئيسة : العقائد والعبادات والمعاملات .

- بعض ما ورد في فضل تربية الأولاد :

الولد نعمة من حيث هو هبة من الله امتن بها على والديه ، وإن صلح ورشد فهو نعمة فوق نعمة تستوجب شكر الباري المنعم جل وعلا ، والولد نعمة من حيث هو ميدان لكسب الحسنات بما يتكبده الوالدان من مشقة تربيته وتغذيته

ورعايته وحسن تأديبه ، وتحمل ما قد يصدر منه ، ومما ورد في تربية الولد من فضل ما ألخصه في الفقرات التالية :

- الحث على طلب الذرية الصالحة :

وهو دأب الأنبياء والصالحين ، ذلك أن الولد نعمة وهو امتداد لأبويه ، والله تعالى امتن على الناس فقال : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً . . . ﴾[1] .

وقال عن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وهم صفوة الناس وقمتهم في الكمالات البشرية : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً . . . ﴾[2] .

وقص علينا القرآن العظيم قصص أنبياء سألوا الله نعمة الولد الصالح ، منهم زكريا الذي قال : ﴿ . . . رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾[3] .

وقال تعالى عن عباده الصالحين : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[4] .

ولقد كان للنبي ﷺ عدد من الأولاد أولهم القاسم وبه كان يكنى ، ثم زينب ، ثم رقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، ثم عبدالله ، وكلهم من خديجة ولم يولد له من زوجة غيرها ، ثم ولد له بالمدينة إبراهيم من سريته مارية القبطية ، وكل أولاده توفوا قبله إلا فاطمة فإنها تأخرت وفاتها بعده ستة أشهر[5] .

وقد قال العلماء ينبغي للمسلم أن يجعل في نكاحه نية لطلب الذرية الصالحة حتى يؤجر على ذلك ، ولقد قال النبي ﷺ لجابر رضي الله عنه لما تزوج : « الكيس الكيس يا جابر »[6] . يعني عليك بطلب الولد .

---

(١) سورة النحل : الآية ٧٢ .

(٢) سورة الرعد : الآية ٣٨ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٣٨ .

(٤) سورة الفرقان : الآية ٧٤ .

(٥) انظر زاد المعاد لابن القيم ١/١٠٣-١٠٤ .

(٦) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب النكاح (٥٢٤٥) ومسلم في كتاب الرضاع (٧١٥) .

- فضل تربيتهم على العقيدة الإسلامية ولوازمها :

تربية الأولاد على العقيدة الإسلامية من أعظم وأجل مسئوليات الآباء لا يوازيها في الفضل والأهمية شيء آخر ، لا سيما التوحيد ومستلزماته فيُبَصَّر الولد منذ سن التمييز بتوحيد الله عز وجل ويُلقن مبادئ الدين (كمراتب الدين ، وأصوله الثلاثة) بالأسلوب المناسب لمداركه وعقله ، وتأثير الوالدين في هذا أعمق وأثرهما أبقى كما سبق في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»[1] .

ومتى صلح الولد واستقام أمره ورشد كان خيره لنفسه ولوالديه ولمجتمعه ، ومتى كان من أهل التوحيد الذين لا يشركون مع الله غيره فاز بسعادة الأبد ، وتعليم الولد ذلك وتبصيره به من أعظم مسئوليات الوالدين وهو من أهم ما استرعاهما الله عليه كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهل بيته ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها» الحديث[2] .

وسيأتي الحديث مفصلا عن التربية على العقيدة إن شاء الله .

- فضل إعالتهم وسد حاجاتهم :

للطفل كغيره من الكائنات حاجات مادية كالمطعم والمشرب والملبس والمداواة والترفيه ، ومعنوية كالحب والحنو والشفقة والرحمة وتنمية المدارك وغرس الفضائل ، والقيام بذلك كله فيه أجر عظيم إن صلحت في ذلك نية الأبوين أو من في حكمهما كالأخ والعم والكافل والوصي ، ففي فضل سد الحاجات المادية للولد حديث أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «من عال جاريتين حتى

(١) متفق عليه : وقد تقدم ص ٥ .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الجمعة (٨٩٣) ، ومسلم في كتاب الإمارة (١٨٢٩) .

تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو ، وضم أصابعه»[1] .

وهذا ولا شك فضل عظيم ، وليس يقتصر هذا الفضل على إعالة البنات وقد جاء هذا الفضل في إعالتهن لأن النفوس تحب وتميل إلى البنين ، بل يشمل الأخوات لا سيما إن كن قاصرات ، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : **«من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة»** . وفي رواية : «ثلاث أخوات أو ثلاث بنات ، أو بنتين أو أختين»[2] .

والإعالة تشمل سد سائر أنواع الحاجات التي يحتاج إليها الأولاد .

وأما حاجات الأولاد المعنوية والأدبية -ولا تقل أهمية عن احتياجاتهم المادية- ففيها أيضاً فضل عظيم لأنها تمثل مظهراً من مظاهر الأخلاق الإسلامية التي يغرسها الآباء في الأولاد ، ومن الأمثلة عليها شفقة النبي ﷺ ورحمته بالصبيان ، وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت : **قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا : أتقبلون صبيانكم؟! قالوا : نعم ، فقالوا : لكن والله ما نقبلهم ، فقال النبي ﷺ : «أو أملك إن كان الله نزع منكم الرحمة»**[3] .

- فضل احتساب من يموت من الأولاد :

لا ينقطع الفضل والأجر بموت الولد ، بل يكتب لوالديه الأجر إن احتسباه وصبرا على موته ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : **«ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار» ، قالت امرأة : واثنين؟!**

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة (٢٦٣١) واللفظ له ، والترمذي (١٩١٤) وقال حسن غريب .

(٢) رواه أبو داود في كتاب الأدب (٥١٤٧) واللفظ له ، والترمذي في كتاب البر والصلة (١٩١٢) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأدب (٥٩٩٨) ومسلم في كتاب الفضائل واللفظ له حديث (٢٣١٧) .

قال : «واثنين» . وفي رواية : «ثلاثة لم يبلغوا الحنث»[1] .

ولئن كان الخطاب في الحديث الشريف للأمهات المسلمات فلأن وجدهن أكبر على موت أولادهن من الآباء .

وفي حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ : «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم»[2] .

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الجنائز (١٢٥٠) ، ومسلم في كتاب البر والصلة (٢٦٣٤) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الجنائز (١٢٥١) ، ومسلم في كتاب البر والصلة (٢٦٣٤) واللفظ له .

الفصل الأول

مسئوليات الآباء قبل الإنجاب

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول :

اختيار الزوجين والمعايير الإسلامية في ذلك .

- المبحث الثاني :

تحرى البيئة الصالحة لتكوين الأسرة .

- المبحث الثالث :

القيام بواجب القوامة في البيت ولزوم جانب التقوي وأثر ذلك في تحقيق الاستقرار الأسري والنفسي .

الفصل الأول : مسئوليات الآباء قبل الإنجاب

تمهيـد :

بلغ من اهتمام الإسلام بالأولاد أن وجه وأرشد الآباء إلى القيام بمسئولياتهم تجاه فلذات أكبادهم بدءاً من هذه المرحلة المبكرة ، وهي مرحلة ما قبل الإنجاب ، وذلك بتهيئة المحضن الطيب للولد قبل أن يخلق ، وبإعداد البيت المسلم الذي ترفرف على أركانه سيم المودة والمحبة والتعاطف والترابط ، وتجلله معاني الإيمان والتقوى والأخلاق العالية ، وبالبحث عن المجتمع الإسلامي التقي النقي الذي يساعد الأبوين في مهمتهما التربوية الجليلة ، وبتحري البيئة الطيبة والجار التقي المؤمن الذي تؤمن بوائقه ، والرفقة الصالحة التي تغرس في المسلم وازع الخير والبر والرشد ، وتكفه عن الإثم والطغيان والعدوان .

وجعل هذا كله من لوازم الديانة وأداء الأمانة التي يسأل عنها العبد يوم القيامة فهو من الأمانات ومتطلبات الحياة الأسرية السوية التي يحث عليها الإسلام ويدعو إليها ويأمر بها ، ويأبى أن يتهاون في أدائها المسلم أو يفرط في شيء منها .

وتبرز أهمية هذه المسئولية التي يضطلع بها المسلم في هذه الفترة المبكرة قبل إنجاب الأولاد ، من نواح كثيرة ، منها كثرة الصوارف والشواغل التي تلهي الأولاد عن مضامين التربية الإسلامية الجليلة ، لا سيما في عصر كعصرنا الذي يموج بالعديد من وسائل الإعلام التي تؤثر تأثيراً بالغاً في بنية الطفل العقلية والعاطفية منذ سن مبكرة ، وهو تأثير سلبياته أكثر من إيجابياته في أحيان كثيرة ، ومنها تأثير المجتمع والبيئة والجيرة والرفقة وغيرها من العوامل المحيطة بالطفل في توجيه سلوكياته وتشكيل نمط ثقافته وتكوين نظرته للحياة .

المبحث الأول : اختيار الزوجين والمعايير الإسلامية في ذلك

الزواج من الفطرة ، والزواج في الإسلام هو الطريق المشروع للاستعفاف والنسل وسائر مقاصد النكاح ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[1] .

ولما انبثق نور الإسلام كانت مناكح الناس في الجاهلية على أربعة أنحاء : منها نكاح الناس اليوم ، ونكاح الاستبضاع وهو أن يرسل الرجل زوجته إلى فلان لتستبضع منه رغبة في نجابة الولد ولا يقربها زوجها حتى يتبين حملها! ، ومنها نكاح الرهط دون العشرة كلهم يصيب المرأة فإذا ولدت ألحقت الولد بمن شاءت منهم لا يمتنع من ذلك ، ونكاح البغايا ذوات الرايات من أرادهن دخل عليهن فإذا ولدت إحداهن ألحق القافة ولدها بأبيه المظنون ، كما تروي ذلك أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها[2] .

فحرم الإسلام هذه الأنكحة الفاسدة وحاربها ، وشرع النكاح المباح الذي عليه المسلمون اليوم وأباح معه التسري إن وجد وأمكن وجعل ذلك وحده الرابطة الشرعية التي تربط بين الزوجين ورتب عليه أحكام النسب والحقوق المالية والأدبية ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾[3] .

ثم أرشد ووجه كلا من الزوجين إلى تحري الصالح الديِّن من الأزواج لتحسن العشرة وتدوم ، وتستقر وتثمر ثمراتها المرجوة ومنها إنجاب الأولاد الصالحين الأخيار .

---

(١) سورة النساء : الآية ١ .

(٢) هذا ملخص الحديث وقد رواه البخاري في كتاب النكاح (٥١٢٧) ، وأبو داود في كتاب الطلاق برقم (٢٢٧٢) .

(٣) سورة المؤمنون : الآيات ٥ - ٧ .

وعليـه فإن في ديننـا الحنيف المعايير والضـوابط التي من خلالها يمكن اختيار الزوجين الصالحين ، وتتلخص في : الأمانة ، وحسن الخلق ، والاستقامة ، والإنجاب ، وصحة التدين .

فممـا ورد في الحث على تحري الصـلاح في اختيـار الزوجين قول الحق جل ذكره : ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(1) .

وقال في موضع آخـر : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾(2) .

وعليه فلا تناكح بين المسلمين والمشركين ولا توارث ، ولا يصح نكاح غير المسلمات حاشا الكتـابيات كما في آية المائدة ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ﴾(3) .

وأما نكاح المسلمات من غير مسلمين فلا يجوز البتة بإجماع المسلمين .

ومما ورد في الحث على تحـري المرأة الصـالحـة ذات الدين والأمـانة للزواج حديث أبي هـريرة رضي الله عنه قـال : قـال النبي ﷺ : «تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ، وجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك»(4) .

ويؤخـذ من هـذا الحديث أن المعيار الأوفق لاختيار الزوجة هو تحري الصلاح والدين كما قـال ابن حجر وغيره من شـراح الحديث فإن اجتمع الدين مع غيره

---

(1) سورة النور : الآية ٣٢ .

(2) سورة البقرة : الآية ٢٢١ .

(3) سورة المائدة : الآية ٥ .

(4) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب النكاح (٥٠٩٠) ، ومسلم في كتاب الرضاع (١٤٦٦) .

مـن الخصـال فهـو أولى ، وإنما الـذم في حـق من يبحـث عن الجمـال أو المال أو الحسب فحسب دون اكتراث بالدين وأهميته[1] .

وفي حديث عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال ﷺ : **«الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»**[2] .

والصلاح المتوخى هو الصلاح بكل مضامينه ، وأوله صلاح الدين ، ثم تليه المطالب الأخرى . كما ورد تفسيره في حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : **«ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة ، إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله»**[3] .

وفي اعتبار الولادة والإنجاب حديث معقل بن يسار رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : **«إني أصبت امرأة ذات حسب ومنصب إلا أنها لا تلد أفأتزوجها؟ فنهاه ، ثم أتاه فنهاه الثانية ، ثم أتاه الثالثة فنهاه ، فقال : «تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم»**[4] .

قالوا : وإنما يعرف ذلك بالنظر إلى أخواتها المتزوجات وأسرتها أو أنها كانت متزوجة فطلقت لعقمها ونحوه .

أما الرجل فكذلك يتحرى فيه الصلاح والتقوى ، وتحري صلاحه ألزم وأوجب لاعتبار قوامته ورئاسته للأسرة فبصلاحه يصلح من في البيت من النساء والولدان وبفساده يفسدون إلا من رحم الله ، وقد نوه العلماء بالأهمية القصوى لصلاح الزوج لهذا الاعتبار ، من ذلك ما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن

---

(١) الفتح ١٣٥/٩ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الرضاع (١٤٦٧) ، وابن ماجه في كتاب النكاح (١٨٥٥) ، والنسائي في كتاب النكاح (٣٢٣٢) ، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة (٦٢٧٩) .

(٣) رواه ابن ماجه في كتاب النكاح (١٨٥٧) .

(٤) رواه أبو داود في كتاب النكاح (٢٠٥٠) ، وابن ماجه في كتاب النكاح (١٨٦٣) ، والنسائي في كتاب النكاح (٣٢٢٧) ، وأحمد في مسند الأنصار (٢١٩١٢) واللفظ للنسائي .

زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: الزوج سيد في كتاب الله، وقرأ قول الله تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾[1].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: النكاح رق! فلينظر أحدكم عند من يرق كريمته![2].

وفي قصة فاطمة بنت قيس رضي الله عنها لما بانت من زوجها وخطبها معاوية ابن أبي سفيان وأبو جهم، استشارت النبي ﷺ فقال: **«أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد»**. فكرهته، ثم قال: **«انكحي أسامة»**. فنكحته فجعل الله فيه خيراً واغتبطت[3].

وقد عاب هنا البخل والشح والتقتير في الإنفاق وهو من لوازم الصعلكة وهي الفقر، كما عاب الشدة والغلظة أو كثرة الأسفار وعبر عنه بحمل العصا على العاتق وكلاهما شديد على المرأة، فكان من حسن العشرة السخاء والبذل من غير سرف مع تمام المؤانسة والملاطفة التي بها تسود المودة وتكمل المحبة.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»**[4].

وقال لسبيعة بنت الحارث لما مات زوجها وانقضت عدتها: **«إن وجدت زوجاً صالحاً فتزوجي»**[5].

فالصلاح والاستقامة والديانة والأمانة هي المعول عليه قبل الاعتبارات الأخرى، وهي ما إن روعيت في الزوجين معاً تمت لهما السعادة وهنئا بالعيش الوفيق، وتهيأ بذلك البيت الصالح الذي تدرج في أكنافه الحداثة والطفولة السعيدة بإذن الله.

---

(1) سورة يوسف: الآية ٢٥.

(2) مجموع الفتاوى ٣٢/٢٦٣.

(3) رواه مسلم في كتاب الطلاق (١٤٨٠)، وأصحاب السنن: أبو دواد في كتاب الطلاق (٢٢٨٤)، والترمذي في كتاب النكاح (١١٣٤)، وابن ماجه في كتاب النكاح (١٨٦٩)، والنسائي في كتاب النكاح حديث رقم (٣٢٤٤) وانظر في شرح الحديث المنهاج للنووي ٩/٣٥٤.

(4) رواه الترمذي في كتاب النكاح (١٠٨٤) واللفظ له، و ابن ماجه في كتاب النكاح (١٩٦٧).

(5) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الطلاق حديث (٥٣١٩)، ومسلم في كتاب الطلاق حديث رقم (٣٥١٩)، واللفظ لابن ماجه في كتاب الطلاق حديث رقم (٢٠٢٨).

المبحث الثاني : تحري البيئة الصالحة لتكوين الأسرة

البيئة هي التربة التي تنبت فيها الطفولة ، وتدرج فيها الحداثة ويترعرع فيها الشباب ، فهي من الأهمية بمكان ، ولقد حض الشارع على إصلاح البيئة ، وشرع التدابير الكثيرة لإصلاح ما قد يفسد من عناصرها ، ولصيانة ما قد يعتريها من آفة اجتماعية أو مثلبة أخلاقية ، ولضمان أن تستمر البيئة صالحة مصلحة ، وليترعرع الناشئة في محضن طيب ومنبت كريم .

وتحري البيئة الصالحة من جملة مسئوليات الآباء في مرحلة ما قبل إنجاب الأولاد ، ولعل من أهم العوامل التي تسهم في تحقيق هذا المطلب ما ألخصه في الفقرات التالية :

- مصاهرة البيت الأصيل :

وهذا إضافة لما سبق الحديث عنه من ضرورة اختيار الزوجة المسلمة العفيفة ذات الدين والخلق ، فبيوت المسلمين وإن كانت تتكافأ في أصل الديانة ، إلا أنها تتفاوت في درجة الاستقامة ، وتوخي الفتاة وكذلك الفتى من بيت أصيل -نشأ أفراده على الصلاح والتقوى حتى صار طبعاً فيهم وسرى في جبلتهم- من مسئولية الزوجين ، وله دوره الأصيل في صلاح عش الزوجية .

ومما يحقق ذلك البحث عن البيئة الصالحة والمجتمع الطيب ، وتأمل ما جاء في تغريب الزاني بعد جلده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه كما في قصة الرجل الذي زنا أجيره بامرأته ، وقال النبي ﷺ لوالد الأجير : «**وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام**»[1] والتغريب من حِكَمِه : تغيير البيئة ، بترك المحيط الفاسد والبحث عن محيط أفضل وأزكى .

والإسلام يرغب في الوقاية من الجريمة قبل وقوعها ، ويوجه إلى اختيار الزوجين الصالحين قبل أن تبدر بوادر الانحراف أو الاعوجاج عن سواء السبيل ، ووسائل

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الحدود (٦٨٢٨) ، ومسلم في كتاب الحدود (١٦٩٨) .

الإغراء والإغواء في هذا العصر أكثر وأعتى من ذي قبل ، فكان توخي البيوتات الأصيلة ذات المعادن النفيسة بغية كل تقي ، وفي الأثر **«تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»** .

- اختيار الجيرة الصالحة :

فالجيرة الصالحة عون بعد الله تعالى على نوائب الدهر ، وعامل مهم من عوامل صلاح الولد واستقامته لاسيما إن وفق المسلم إلى جار صالح مصلح ، يتسم بالحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، ويعي حقوق الجيرة ويقوم بها حق القيام .

ولقد وصى الله تبارك وتعالى بالجار وصية بليغة ، إذ قال جل ذكره : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ ﴾[1] .

ولقد تناقل المفسرون قول ابن عباس رضي الله عنهما : الجار ذو القربى يعني الذي بينك وبينه قرابة ، والجار الجنب الذى ليس بينك وبينه قرابة[2] .

وفي تعظيم حق الجار حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : **«ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»**[3] .

وفي بيان حقوق الجيرة حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ : **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه -أو قال لجاره- ما يحب لنفسه»**[4] .

وهذه الحقوق المتبادلة بين الجيران لها أثرها بينهم وفي علاقاتهم ، كما أن لها أثرا عند الله تعالى إن قام بها المسلمون أو فرطوا فيها وضيعوها ففي حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : عن النبي ﷺ : **«خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخيرالجيران عند الله خيرهم لجاره»**[5] .

---

(١) سورة النساء : الآية ٣٦ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ١/٥٤٠ .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأدب (٦٠١٤) ، ومسلم في كتاب البر والصلة (٢٦٢٤) .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الإيمان (١٣) ومسلم في كتاب الإيمان (٤٥) واللفظ له .

(٥) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة (١٩٤٤) وقال حسن غريب ، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة (٦٢٧٨) .

- الحرص على الرفقة الطيبة والجليس الصالح :

ذلك لأن الإنسان كما أنه ابن بيئته هو -أيضاً- صنو رفيقه وجليسه ، وقد قالوا : قل لي من جليسك أقل لك من أنت ! .

والحرص على الرفيق والجليس والعشير الصالح بغية المسلم في نفسه وولده وسائر قرنائه ومن له به صلة ، لا يعدل عن ذلك لغير حاجة شرعية ، وحسبنا في بيان : **«أثر الجليس والرفيق»** إيجاباً أو سلباً حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ : **«مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد! لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه ، وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة»**[1] .

- المجتمع الصالح :

وهو البنيان المتراص من الأسر الإسلامية والأفراد الصالحين ، وتوخيه ليس يقل أهمية عن الجيرة الطيبة والرفقة الصالحة والمنبت الكريم ، لأن النفس البشرية نزاعة إلى (الاتجاهات الفكرية) التي تسود المجتمع صالحاً كان أو فاسداً ، فالروح الجماعية والاندماج في المجتمع من خصائص الإنسان ولذا قالوا الإنسان اجتماعي بطبعه .

وفي توخي المجتمع الصالح ، وأثره الحميد قول الله جل ذكره : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[2] .

وإن (الإحساس) بالمعصية وإدراك قيمة الطاعة لهو معيار صلاح المجتمع ، قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : **«إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف**

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب البيوع (٢١٠١) ، ومسلم في كتاب البر والصلة (٢٦٢٨) .

(٢) سورة النساء : الآية ٦٩ .

أن يقع عليه ! وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا» وقال بيده فوق أنفه[1] .

ولما انقضت القرون الثلاثة المفضلة خفتت في الكثير من القلوب جذوة الإيمان واستهان كثير من الناس بالمعاصي فتضاءل صلاح المجتمعات ، واشتدت الحاجة إلى تبصير المسلمين بحقائق دينهم ومسالك الرشد في حياتهم ، وفي هذا قول الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه : **«إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر إن كنا لنعدها على عهد النبي ﷺ من الموبقات»**[2] -أي المهلكات- .

وإن توخي المجتمع الصالح يكون في درجة صلاح الصحابة رضوان الله عليهم وإن كان غير متحقق لمن جاء من بعدهم ، إلا أن تحري المجتمع الأصلح بمقاييس كل عصر مع بذل الجهد في ذلك هو الذي يقع ضمن مسئوليات الآباء ، وإذا كثر الخبث وبث الفتن وفسد الخاصة والعامة ولا نخال ذلك حادثاً في هذا العصر فإن التوجيه النبوي في ذلك الحين هو اعتزال الفتن ، وحفظ النفس والذرية من بلاء المحن وفيه حديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ : **«يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً يتتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن»**[3] . وإذا تسبب الأبوان في غربة الأولاد عن دينهم وأمتهم فإنهما يتحملان كامل المسئولية في ذلك ، كمن يقيم بين ظهراني قوم كافرين لغير حاجة ملحة ولا ضرورة ملجئة ، وكمن يستوطن بلاد الكفار حتى إذا كبر الأولاد ذابوا في المجتمع النصراني أو اليهودي أو الشيوعي أو الملحد أو اللاديني ، فتراهم لا يعرفون صلاة ولا زكاة ولا صوماً ولا حجاً ، بل وربما لا يحسن أحدهم قراءة الفاتحة!! .

---

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات (٦٣٠٨) ، والترمذي في كتاب صفة القيامة (٤٢١،

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق (٦٤٩٢) ، وأحمد في مسند المكثرين (١٢١٤٣) .

(٣) رواه البخاري في كتاب الإيمان (١٩) ، وأبو دواد في كتاب الفتن (٤٢٦٧) ، والنسائي في كتاب الإيمان (٥٠٣٦) ، وابن ماجه في كتاب الفتن (٣٩٨٠) .

وإن نشأة الأولاد بين قوم مسلمين لمن آكد واجبات الآباء ، وكم تسبب الأبوان في ضياع أولادهم في مجتمعات الكفرة ، بل قد تتزوج الفتاة المسلمة من يهودي أو نصراني أو ملحد فيعاشرها وينجب منها ، وهي إما أنها تجهل الحكم وأن ذلك حرام لا يجوز ، أو أنها لا تكترث بذلك لقلة تدينها وضعف أمانتها ، أو أنها تحتال مع زوجها المزعوم فيسلم (على الورق) دون أن يقيم شعائر الدين .

وأيضاً المتزوجون من المسلمين بالكتابيات لغير حاجة ، وهذا وإن كان مباحاً في ديننا إلا أن له أضراره وأخطاره كتذبذب الأولاد بين أبيهم وملة أمهم ووقوعهم ضحية الإغراءات المتعددة وقد يعود الأب المسلم أدراجه تاركاً أبناءه المسلمين عند أخوالهم الكافرين تحت ربقة القانون ، وقد يتنصرون لإهمال الأب المسلم وسوء اختياره وضعف همته ، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : **«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»** وذكر من ذلك : **«والرجل راع على أهل بيته ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها وولده ومسئولة عن رعيتها»**[1] .

ومثل هذا الأب فضلا عن تضييعه للأمانة والرعية ، يكون قد ارتكب خطأ آخر وهو مكثه بين مجتمع كافر وهو ما لا يجوز إلا لضرورة ، والضرورة تقدر بقدرها ، وفي حديث جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ : **«أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين» قالوا يا رسول الله ولم؟ قال : «لا ترايا ناراهما»**[2] .

---

(١) متفق عليه وقد تقدم ص٢١ .

(٢) رواه أبو دواد في كتاب الجهاد (٢٧٨٧) ، والترمذي في كتاب السير (١٦٠٤) واللفظ له ، والنسائي في كتاب القسامة (٤٧٨٠) .

المبحث الثالث : القيام بواجب القوامة في البيت ولزوم جانب التقوى ، وأثر ذلك في تحقيق الاستقرار الأسري والنفسي

المسألة الأولى : قوامة الرجل :

يؤسس النظام الأسري في الإسلام على مبدأ أن تكون القوامة للرجل ، والقوامة مسئولية وأمانة فهي جملة الواجبات والحقوق التى تقع على كاهل الرجل تجاه زوجته وأولاده وبيته ، والقوامة كما يقول الراغب : المراعاة للشيء والحفظ[١]

وفي تقرير هذا المبدأ يقول الله تبارك وتعالى ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾[٢] . والمعنى : الرجال لهم حق الصيانة والرعاية للنساء ، والقيام بشئونهن بما أعطاهم الله من صفات تهيئهم للقيام بهذا الحق ، وبسبب أنهم هم الذين يكدون ويكدحون لكسب المال الذي ينفقونه على الأسرة[٣]

والرجل له القوامة دون المرأة باعتبار أهليته وقوته وجملة خصائصه ، وقد قال تعالى : ﴿ . . . وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ . . . ﴾[٤] وهذه الدرجة هي درجةالقوامة .

وعليه فالقوامة مسئولية يضطلع بها الأب وحده ، وتعاونه الأم فيما لا غنية عنها فيه ، قال القرطبي : (قوام) فعال للمبالغة من القيام على الشيء

---

(١) المفردات ص ٤١٦ مادة (قوم) .

(٢) سورة النساء : الآية ٣٤ .

(٣) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٤١١ ، وزارة الأوقاف المصرية .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٢٨ .

والاستبداد بالنظر فيه ، وحفظه بالاجتهاد ، فقيام الرجال على النساء هو على هذا الحد ، وهو أن يقوم بتدبيرها وتأديبها وإمساكها في بيتها ومنعها من البروز ، وأن عليها طاعته وقبول أمره ما لم تكن معصية[1] . والقوامة الواجبة على الرجال واسعة المجالات ، لعل من أهمها فيما يتعلق بالزوجة والأولاد :

– إلزام أهل البيت بأحكام الدين ، فروضه وسننه وآدابه ، إلزاماً شرعياً لاسيما أركان الإسلام : الصلوات المفروضة ، والزكاة ، وصوم رمضان ، والحج لمن استطاع إليه سبيلا تعليماً للصغير المميز وتمريناً ، وإلزاماً للبالغ المكلف ، امتثالاً لقول الله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[2] .

– تعليمهم أحكام الدين ، بدءاً بالواجبات وما في حكمها كأحكام الطهارة ، ومعرفة الحلال والحرام ، وتربيتهم على مكارم الأخلاق ومحامد الآداب ، وإلزام الفتيات بالحجاب الشرعي ، وتربيتهن عليه منذ الصغر ليألفنه ويرغبن فيه ، وأيضاً تعليم أهل البيت ما لا يعذر المسلم بجهله من أحكام الدين ، امتثالاً لقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوٓا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[3] .

– مراقبة الأولاد ذكوراً وإناثاً ومتابعتهم وتفقدهم في جلسائهم ورفقائهم لاسيما في سن المراهقة وهي سن المتاعب والتغيرات النفسية والفسيولوجية[4] كما يقول علماء النفس .

وذلك بالأسلوب الحكيم الذي يزرع فيهم حب الخير والرغبة في التمسك به والنفور عن الشر وبغضه .

– العمل الدؤوب على (ضبط) البيت مما هو من اختصاصات وواجبات الأب القيم المشفق الحاني الباني ، الذي يتحسس الرغبات ويسد الحاجات ويوجه ويرشد وينصح .

(١) تفسير القرطبي ١٦٩/٣ .

(٢) سورة طه : الآية ١٣٢ .

(٣) سورة التحريم : الآية ٦ .

(٤) الفسيولوجيا هي : علم الأحياء .

المسألة الثانيه - بروم جانب التقوى :

تقوى الله تعالى هي مظلة البيت المسلم الآمن ، وتقواه جل ذكره باب واسع ، قال العلماء : التقوى أن لا يراك الله حيث نهاك ، ولا يفتقدك حيث أمرك ، ولو استشعر كل واحد من الزوجين هذا المعنى الجليل وربى عليه أولاده لسعد الناس ولعاشوا أرغد عيش وأهنأه .

ومن لوازم تقوى الله تعالى مما هو من خصائص البيت المسلم وما يطالب به الأبوان فيما يتعلق بمسئولياتهم تجاه الأولاد ، الالتزام بأهداب الدين الحنيف التزاماً شاملاً عقيدة وعبادة وأخلاقاً ، التزاماً دائماً مستمراً غير متقطع قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً . . . ﴾[1] .

والمعنى : أن عباد الله المؤمنين به المصدقين برسوله عليهم أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه والعمل بجميع أوامره وترك جميع زواجره ما استطاعوا ذلك[2] .

ولا يتحقق ذلك إلا إذا كان الالتزام والتمسك بالدين الحنيف خالصاً لله تعالى ، فيكون الأبوان صالحين في ذات أنفسهما ، يحافظان على الصلوات وعلى باقي أركان الإسلام وأركان الإيمان والإحسان ، وألا يرتكبا من المعاصي ما يطعن في عدالتهما ويذهب بوقارهما فلا يصرا على صغيرة ولا يقعا في كبيرة ، لأن تربية الأولاد مهمة جليلة وعمل شاق غير يسير ، والله تعالى يقول : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴾ .[3]

فالالتزام بالدين حلية الأبوين وأسلوب تربية الأولاد . والبيت الذي لا يعرف الالتزام بالدين عاجز عن التربية ، وفاقد الشيء لا يعطيه .

ومن أعظم أبواب التقوى مما يطالب به المسلم في نطاق بيته وأسرته ما أذكره ملخصاً في الفقرات التالية :

(١) سورة البقرة : الآية ٢٠٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ١/٢٦٥ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٤٥ .

١ - معرفة جناب التوحيد والالتزام به :

بأن يعبد المسلم ربه عز وجل لا يشرك به شيئاً ، ولا يعتقد في غير الله تعالى كائناً من كان أنه يملك شيئاً من خصائص الألوهية كالضر والنفع والعطاء والمنع والتصرف في الكون ، ولا يتورط في الخرافات والبدع المكفرة أو المفسقة فإن شأن التوحيد عظيم وهو أساس الدين وبغير تحقيقه لا ينتفع الإنسان بعمل ، بل لا يكون مسلماً إذ أن عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ومعها متابعة النبي ﷺ هو لب الدين وحقيقته وأساسه ، وهذا من ثوابت الدين وأصوله ومن النصوص الكثيرة في ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾(١) .

وحديث أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ : «**لا تشرك بالله وإن قطعت وحرقت ، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمداً ، فمن تركها متعمداً فقد برئت منه الذمة ، ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر**»(٢) .

٢ - التحصن بالأوراد المشروعة :

وأفضلها تلاوة كلام الله تعالى ، فالبيت المسلم يتميز عن غيره من البيوت بكثرة ذكر الله بكرة وأصيلا ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾(٣) .

ومن السنة النبوية الشريفة حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**»(٤) .

وفي حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «من قرأ

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ٢٥ .

(٢) رواه ابن ماجه في كتاب الفتن حديث رقم (٤٠٣٤) .

(٣) سورة الأحزاب : الآيتان (٤١ - ٤٢) .

(٤) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين (٧٨٠) ، وأبو داود في كتاب المناسك (٢٠٤٢) ، والترمذي في كتاب فضائل القرآن (٢٨٧٧) ، وأحمد في مسند المكثرين (٧٤٨٧) .

بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»[1] .

وأيضاً ما ورد في فضل وأثر تلاوة القرآن كله ، أو بعضه ، كآية الكرسي وأواخر الكهف والمعوذتين والفاتحة وفي كل ذلك نصوص كثيرة لا يتسع المقام لسردها ، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : «ماجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن تباطأ به عمله لم يسرع به نسبه»[2] .

ولقد كان السلف الصالح شديدي الحرص على الأذكار على كثرتها وتنوعها كأذكار الخروج من البيت والدخول إليه ، وأذكار النوم والاستيقاظ منه ، وأذكار دخول الحمام أو دورات المياه والخروج منها وأذكار السفر وأذكار الطعام ، والاستخارة ودعاء القنوت ، وغيرها كثير ، وكانوا يعلمون ذلك أولادهم ويربونهم عليها لا سيما الأذكار التي يقولها المسلمون عقب أداء الصلوات .

قال عمرو بن ميمون : كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يُعلم بنيه هؤلاء الكلمات كما يُعلم المعلم الغلمان الكتابة ويقول : «إن رسول الله ﷺ كان يتعوذ منهن دبر الصلاة : «اللهم إني أعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر»[3] .

ومن الأذكار الجامعة التي ينبغي أن لا تفوت المسلم ولا يغفل عنها ما رواه سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «أفضل الكلام أربع : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»[4] .

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن (٥٠١٠) ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين (٨٠٧) .

(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء (٢٦٩٩) واللفظ له ، وأبو داود في كتاب الصلاة (١٤٥٥) ، وابن ماجه في المقدمة (٢٢٥) ، وأحمد في مسند المكثرين (٧١١٨) .

(٣) رواه البخاري في كتاب الجهاد (٢٨٢٢) ، والترمذي في كتاب الدعوات (٣٤٩٠) ، والنسائي في كتاب الاستعاذة (٥٤٤٥) .

(٤) رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور تعليقاً ، وابن ماجه في كتاب الأدب (٣٨١١) ، وأحمد في مسند المدنيين (١٥٨١٦) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»[1] .

وما أحوج البيت المسلم إلى الآيات البينات تتلى فيه آناء الليل والنهار ، وذكر الله عز وجل تلهج به ألسنة المسلمين في بيوتهم ونواديهم وأسواقهم ابتغاء لفضل المولى الباري جل وعز ودرءا لأخطار شياطين الإنس والجن وتحصناً من أدواء الحقد والعين وكل مكروه ، وتزكية للنفوس .

وإن هذا لمن خصائص البيت المسلم كما نوه بذلك وبآثاره النبي ﷺ في حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً : «**مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت**»[2] .

وعنه أيضاً : «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي الميت**»[3] .

وكل هذا كي لا يكون للغضب المذموم والنزاعات والشقاق مكان في بيت المسلم ، حتى إذا فتح الولد عينيه وبدأ يميز الخير من الشر وجد بيتاً آمناً تملأ جنباته آثار التقوى ، ووجد والدين متحابين متعاونين متوادين تلهج ألسنتهما بذكر الله وتشرق وجوههما بأنوار القرآن ، وإقام الصلوات ، ووجد إخوة وأخوات قد تشربوا أخلاق القرآن فهم يتلونه ويحفظونه ويعملون به ، فينشأ نشأة إسلامية سوية ، وهذا من الجوانب الأساسية في مسئولية الآباء .

ولئن ذكر التحصن بالأوراد الشرعية ضد الشيطان ونفخه ونفثه وكيده ، فإن ذلك يستتبع أن يذكر تجنب مواقع العطب ومواضع الزلل ، فالإنسان مهما زكت

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب التوحيد (٧٥٦٣) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء (٢٦٩٤) .

(٢) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين حديث رقم (٧٧٩) .

(٣) رواه البخاري في كتاب الدعوات حديث رقم (٦٤٠٧) .

نفسه واستقامت طريقته ليس يخلو من شبهة تعرض له أو شهوة تعتري حياته ، لذا ينبغي للمسلم أن يتقي أسباب المعاصي ويقي أهله وولده ذلك ، عملاً بقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾[1] .

إن سد منافذ الشيطان والأخذ بالحيطة والحذر وقطع أسباب الغواية وغلق أبواب الشر قبل أن يقع وقبل أن يستفحل باب عظيم في وقاية الأهل والولد المفاسد الأخلاقية والنفسية ، والإسلام يأمر المؤمنين بالوقاية قبل العلاج وبأخذ الحيطة والحذر قبل فوات الأوان ، فالشيطان عدو الإنسان ، والشيطان لا يفتر عن الكيد له وإغوائه بكل طريق يقدر عليه قال تعالى : ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[2] .

ومن وسائل الشيطان في الإغواء والإغراء مما عمت به البلوى في عصرنا الصورة الداعرة والكلمة الماجنة واللهو المطغي ، ومن الوسائل التي تغوي الأولاد على اختلاف أعمارهم التدرج في الغواية خطوة خطوة ، على حد قول الباري جل ذكره : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾[3] وقوله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾[4] .

٣ - تطبيق السنة داخل البيت :

وهو باب واسع جداً ، أختار منه ما يناسب المقام ، فمن ذلك :

- ما يخص الأمور الزوجية الخاصة ، ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما

---

(١) سورة التحريم : الآية ٦ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٦٤ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٦٨ .

(٤) سورة لقمان : الآية ٦ .

قال : قال النبي ﷺ : «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فقضي بينهما ولد لم يضره»[1] .

– ومنه ما هو من خلق المسلم في التواضع واللين والسماحة والرفق والتعاون داخل البيت . ولما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت : «كما يصنع أحدكم ، يخصف نعله ويرقع ثوبه –وفي رواية– كان يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم فى بيته –وفي رواية– كان بشراً من البشر يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه»[2] .

– ومنه ما يخص معاملة الخدم وفيه الرفق بهم وملاطفتهم ، وترك سبهم وتعنيفهم والقسوة عليهم من غير مسوغ شرعي وتحميلهم ما لا يطيقون ، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين فإنه ولي علاجه»[3] .

ويستحسن هذا ويتأكد إذا كان الخادم غير مسلم ليرى أخلاق المسلمين وليكون ذلك من أساليب دعوته إلى الإسلام وسماحته وفضائله .

– ومنه الرحمة والشفقة بالضعفاء والأطفال والعطف عليهم وتفقدهم ، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «ابغوني الضعفاء فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم»[4] .

وتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : «إنه ﷺ كان يؤتى بالصبيان

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الوضوء (١٤١) واللفظ له ، ومسلم في كتاب النكاح (١٤٣٤) .

(٢) رواه البخاري في كتاب النفقات ، ورواه أحمد في مسند الأنصار (٢٣٧٥٦) واللفظ له ، قولها : (يفلي ثوبه) أي : يبحثه ليبعد عنه ما علق به من هوام ، وقولها : (يخصف نعله) أي : يخرزها ويخيطها .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب العتق (٢٤١٨) ، ومسلم في كتاب الإيمان (١٦٦٣) واللفظ للبخاري .

(٤) رواه أبو داود في كتاب الجهاد حديث (٢٥٩٤) واللفظ له ، والترمذي في كتاب الجهاد (١٧٠٢) وقال : حديث حسن صحيح ، والنسائي في كتاب الجهاد (٣١٧٩) ، وأحمد في مسند الأنصار حديث رقم (٢٠٧٣٨) .

فيبرك عليهم ويحنكهم ، فأتي بصبي فبال عليه فدعا بماء فأتبعه بوله ولم يغسله»[1] .

- ومنه ما يتعلق بالأولاد من أحكام ، كالتسمية والعقيقة والرعاية : ففي التسمية ينبغي اختيار اسم جميل مناسب فللاسم أثر بين في شخصية الإنسان إذ يلازمه طوال حياته وينادى به يوم القيامة! .

وخير الأسماء ما عُبّد لله تعالى ، ففي حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : **«أحب الأسماء إلى الله عبدالله وعبدالرحمن ، وأصدقها حارث وهمام ، وأقبحها حرب ومرة»**[2] .

ويحرم تعبيد الأولاد لغير الله تعالى ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بعد أن ذكر الأسماء الشركية كعبدالكعبة وعبدشمس وعبدالمسيح وعبداللات ، والأسماء الغالية : مثل غلام الشيخ أو غلام الحريري . . . قال : وشريعة الإسلام الذي هو الدين الخالص لله وحده : تعبيد الخلق لربهم كما سنه رسول الله ﷺ ، وتغيير الأسماء الشركية إلى الأسماء الإسلامية ، والأسماء الكفرية إلى الأسماء الإيمانية ، وعامة ما سمى به النبي ﷺ عبدالله وعبدالرحمن كما قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾[3] فإن هذين الاسمين هما أصل بقية أسماء الله تعالى[4] .

ولقد غير النبي ﷺ الأسماء التي توحي بتزكية النفس ، فإن زينب كان اسمها برة فقيل تزكي نفسها ، فسماها رسول الله ﷺ زينب[5] ، قالت زينب بنت أم سلمة رضي الله عنهما : **«كان اسمي برة فسماني**

---

(1) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الدعوات (٦٣٥٥) ، ومسلم في كتاب الطهارة (٢٨٦) .

(2) رواه أصحاب السنن : أبو داود في كتاب الأدب (٤٩٥٠) ، والترمذي في كتاب الأدب (٢٨٣٣) ، وقال : حسن غريب ، والنسائي في كتاب الخيل (٣٥٦٥) ، وابن ماجه في كتاب الأدب (٣٧٢٨) .

(3) سورة الإسراء : الآية ١١٠ .

(4) مجموع الفتاوي ٣٧٩/١ .

(5) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأدب (٦١٩٢) ، ومسلم في كتاب الآداب (٢١٤١) .

رسول الله ﷺ زينب ، قالت : ودخلت عليه زينب بنت جحش واسمها برة فسماها زينب»[1] .

وكان لعمر رضي الله عنه ابنة يقال لها عاصية فسماها رسول الله ﷺ جميلة[2] .

ومن الأسماء التي يتسمى بها بعض المسلمين اليوم : فاتن ، وغلام رسول ، ووردة ، وإيمان ، وموزة ، وميري ، وتغريد ، وهدى ، ونحو ذلك مما له دلالة غير سوية فهي إما تتضمن تزكية ، أو استهجاناً ، أو غلواً ، وكل ذلك منهي عنه ، وقد أفاض ابن القيم في هذا الموضوع بما لا مزيد عليه فليرجع إليه للاستزادة[3] .

وأما العقيقة : فسنة المصطفى ﷺ ، كما في حديث عائشة رضي الله عنها : «إن رسول الله ﷺ أمرهم عن الغلام شاتان مكافئتان وعن الجارية شاة»[4] .

وفي حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «الغلام مرتهن بعقيقته ، يذبح عنه يوم السابع ويسمى ويحلق رأسه»[5] .

قال أبو عيسى الترمذي : والعمل على هذا عند أهل العلم ، يستحبون أن يذبح عن الغلام العقيقة يوم السابع ، فإن لم يتهيأ يوم السابع فيوم الرابع عشر ، فإن لم يتهيأ عق عنه يوم حاد وعشرين ، وقالوا لا يجزئ في العقيقة من الشاء إلا ما يجزئ في الأضحية .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الآداب حديث رقم (٢٤١٢) .

(٢) رواه مسلم في كتاب الآداب (٢١٣٩) ، وأبو داود في كتاب الأدب (٤٩٥٢) ، والترمذي في كتاب الأدب (٢٨٣٨) ، وابن ماجه في كتاب الأدب (٣٧٣٣) ، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة (٤٤٥٣) .

(٣) انظر تحفة المودود فصل ما يستحب من الأسماء وما يكره ص ٧١ .

(٤) رواه : أبو داود في كتاب الضحايا (٢٨٤٢) ، والترمذي في كتاب الأضاحي (١٥١٣) واللفظ له ، والنسائي في كتاب العقيقة (٤٢١٢) ، وابن ماجه في كتاب الذبائح (٣١٦٣) .

(٥) رواه البخاري في كتاب العقيقة (٥٤٧٢) ، وأصحاب السنن : أبو داود في كتاب الضحايا (٢٨٣٧) ، والترمذي في كتاب الأضاحي (١٥٢٢) واللفظ له ، وقال : حديث حسن صحيح ، والنسائي في كتاب العقيقة (٤٢٢٠) ، وابن ماجه في كتاب الذبائح حديث رقم (٣١٦٥) .

وأما الأذان : فمن السنة الأذان في أذن المولود لحديث رافع قال : «رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة»[١] .

قال الإمام ابن القيم : وسر التأذين -والله أعلم- أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته ، والشهادة التي هي أول ما يدخل بها في الإسلام ، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا ، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها ، وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثيره به وإن لم يشعر[٢] .

وأما الختان : وهو موضع القطع من الذكر والأنثى[٣] ففي الذكر تقطع القلفة أي الغرلة وهي الحرف المستدير على أسفل الحشفة ، وفي الأنثى تقطع جلدة كعرف الديك فوق الفرج[٤] .

وختن الصبي عند الجمهور واجب ، والسنة ختنه يوم سابعه إن تيسر .

٤ - تجنب الإسراف والمباهاة :

وهذا بابه واسع ، والإسراف محرم سواء في المطعم أو المشرب أو الملبس أو الإنفاق أو غيره ، ففي المطعم والمشرب يقول الله تعالى : ﴿ يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[٥] .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «طعام الاثنين كافي الثلاثة وطعام الثلاثة كافي الأربعة»[٦] .

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب حديث رقم (٥١٠٥) والترمذي في كتاب الأضاحي حديث رقم (١٥١٤) وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) تحفة المودود ص ٢٢ .

(٣) المعجم الوسيط ٢١٧/١ (ختن) .

(٤) تحفة المودود ص ٩٥ .

(٥) سورة الأعراف : الآية ٣١ .

(٦) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأطعمة (٥٣٩٢) ، ومسلم في كتاب الأشربة (٢٠٥٨) .

وفي حديث جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية**»[1].

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن يأكل في معًى واحد**»[2].

وهذه الأحاديث كما أنها تأمر بالكرم والبذل وإتحاف الجيران والأضياف فإنها أيضاً تنهى عن التبذير والإسراف والانحراف عن المنهج الوسط وهو ما بين التقتير والإسراف.

ولئن كان الإسراف والتبذير والمباهاة في المأكل والمشرب منهياً عنه فكذلك في المواعين ونحوها، ففي اتخاذ الأواني من الذهب والفضة وهو من الإسراف والمفاخرة ورد الوعيد في ذلك كما في حديث أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**الذي يشرب في آنية الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم**»[3].

وفي الإسراف في التأثيث والفرش حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**فراش للرجل وفراش للمرأة والثالث للضيف والرابع للشيطان**»[4].

٥ - مراعاة الآداب العامة والعرف الشرعي:

ومنه الالتزام بآداب المسلم في حياته اليومية، ومن ذلك مما يتسع له المقام أدب السلام والاستئذان، وأدب التشميت وأدب التثاؤب، والتيامن في المطعم والمشرب والملبس وكل شأن شريف، وسلامة الصدر من الضغائن، والنصح لكل مسلم، تلك الآداب التي تتسم بها بيوت الأخيار، ودونك بعض النصوص الواردة في ذلك مع بيان ما تهدي إليه وتدل عليه وتأمر به:

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأطعمة: باب طعام الواحد يكفي الاثنين، ومسلم في كتاب الأشربة حديث رقم (٢٠٥٩) واللفظ له.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأطعمة (٥٣٩٣)، ومسلم في كتاب الأشربة (٢٠٦٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأشربة (٥٦٣٤)، ومسلم في كتاب اللباس (٢٠٦٥).

(٤) رواه مسلم في كتاب اللباس (٢٠٨٤)، وأبو داود في كتاب اللباس (٤١٤٣)، والنسائي في كتاب النكاح (٣٣٨٥)، وأحمد في مسند المكثرين (١٣٩٥١).

- في الاستئذان وتحية السلام : قول الباري جل ذكره : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1] .

وتربية الولد على هذا الأدب إنما يكون منذ سن التمييز ولا يهمل ، كي لا يتعود على الفوضى فللبيوت حرماتها وعوراتها ، وكذلك تحية السلام سواء البدء به وهو سنة ، أو الرد وهو واجب يعلمه ، ويؤدب على تركه قال تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾[2] .

ولقد كان السلف الصالح يعلمون أولادهم ذلك ويحرصون عليه كما في حديث أنس رضي الله عنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال : «**كان النبي ﷺ يفعله**»[3] .

قال ابن حجر : قال أبو سعيد المتولي : من سلم على صبي لم يجب عليه الرد لأن الصبي ليس من أهل الفرض وينبغي لوليه أن يأمره بالرد ليتمرن على ذلك . . . ولو ابتدأ الصبي بالسلام وجب على البالغ الرد على الصحيح ، ويستثنى من السلام على الصبي ما لو كان وضيئاً وخشي من السلام عليه الافتتان فلا يشرع ولا سيما إن كان مراهقا منفردا [4] .

وفي تشميت العاطس : حديث أنس رضي الله عنه وكان من شباب الصحابة قال : عطس رجلان عند النبي ﷺ فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر فقيل له ، فقال : «**هذا حمد الله وهذا لم يحمد الله**»[5] وقد بين ﷺ بياناً وافياً ما ينبغي أن يقوله العاطس وما يقال له وكيف يرد كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله وليقل له أخوه**

---

(١) سورة النور : الآية ٢٧ .

(٢) سورة النساء : الآية ٨٦ .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الاستئذان (٦٢٤٧) ، ومسلم في كتاب السلام (٢١٦٨) .

(٤) الفتح ١١/٣٣ .

(٥) متفق عليه : رواه ا لبخاري في كتاب الأدب (٦٢٢١) واللفظ له ، ومسلم في كتاب الزهد (٢٩٩١) .

أو صاحبه يرحمك الله ، فإذا قال له يرحمك الله فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم»[1] .

وفي التيامن : وهو استخدام اليد اليمنى والبدء بها في الأعمال الشريفة كالأكل والشرب والكتابة ولبس الثوب ، وكذلك تقديم الرجل اليمنى في التنعل ودخول المسجد والبيت وركوب الدابة ، قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : **«كان النبي ﷺ يعجبه التيامن في تنعله وترجله وطهوره وكل شأنه»**[2] .

وكذلك استخدام اليد اليسرى في الأمور الأخرى كالاستنجاء ونحوه والرجل اليسرى في الخروج من المسجد وفي دخول الحمام ونحوه ، كل ذلك من السنة التي يحرص عليها المسلم ويبصر بها ولده وأهله .

وفي النهي عن مخالفة هذه السنة حديث جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«لا تأكلوا بالشمال فإن الشيطان يأكل بالشمال»**[3] .

ومن الآداب التي ينبغي أن لا يغفل عنها المسلم ترك التثاؤب ، أو كظمه ، وهو أمارة الكسل وفي التثاؤب أمام الآخرين استخفاف بهم ولا يتورط فيه إلا جهول ! وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«التثاؤب من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا قال هاء ضحك الشيطان»**[4] .

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب (٦٢٢٤) ، وأبوداود في كتاب الأدب (٥٠٣٣) ، وأحمد في مسند المكثرين حديث رقم (٨٢٧٧) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الوضوء حديث (١٦٨) ، ومسلم في كتاب الطهارة (٢٦٨) .

(٣) رواه مسلم في كتاب الأشربة (٢٠١٩) ، وابن ماجه في كتاب الأطعمة (٣٢٦٨) ، وأحمد في مسند المكثرين (١٤٠٦٠) .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب بدء الخلق (٣٢٨٩) واللفظ له ، ومسلم في كتاب الزهد حديث رقم (٢٩٩٤) .

وفي سلامة الصدر وصفاء القلب من الضغائن -وهو أساس وطيد تنبني عليه روابط الأسرة ويناط به استقرارها- حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاثة أيام»**(١).

٦ - الالتزام بالمظهر الإسلامي:

وهو واسع المضمون، يلتزم به الأبوان المسلمان ويلزمان به من تحت ولايتهما من الأولاد والذرية، ومما يجدر ذكره من ذلك هنا:

- التحلي بعد لباس التقوى بحلية وزي المسلمين، ومراعاة الحشمة في الزي والهيئة والمظهر، وتجنب أزياء الكفار فللمسلمين أزياؤهم وسمتهم، وصالح المسلمين يعتز بزيه وحشمته وهيئته يراعي ذلك في ذات نفسه وفي أهل بيته وولده من بنين وبنات، ولا ينساق في تيار الأزياء التي تنافي أخلاق المسلمين وهو اليوم على أشده.

ولقد وجه الإسلام إلى العناية بزي أهل الإسلام وحذر من الأزياء الوافدة المنافية لأدب الحشمة والعفة، ففي حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: رأى رسول الله ﷺ عليَّ ثوبين معصفرين فقال: **«إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها»**(٢).

والثوب المعصفر: المصبوغ بالعصفر وهو صبغ أصفر اللون، ولئن كان النهي قد ورد لاعتبار اللون الذي تشبه فيه بالكفار فكيف بالألبسة الضيقة والشفافة والعارية التي تعد من أزياء الكفار ورسومهم والتي تبرز المفاتن وتذهب بالحياء وتورث الوقاحة والابتذال!.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأدب (٦٠٦٥)، ومسلم في كتاب البر والصلة (٢٥٥٩).

(٢) رواه مسلم في كتاب اللباس (٢٠٧٧) واللفظ له، والنسائي في كتاب الزينة (٥٣١٦)، وأحمد في مسند المكثرين (٦٢٢٤).

وفي لبس الحرير وأنه محرم على الرجال حديث حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة»**[١] فلا يجوز إلا لحاجة وضرورة شرعية كما في حديث أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : **«من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»**[٢] .

والاهتمام بالمظهر والهيئة والزي ومعرفة حد الشرع فيه جزء من الالتزام بآداب الإسلام السمحة التي تغرس في المسلم الفضيلة والأنفة ، وتضفي عليه الوقار وتقيه الدعة والميوعة ! ولقد كتب عمر رضي الله عنه إلى عامله بأذربيجان أبي عثمان قائلاً : **«وإياكم والتنعم وزي أهل الشرك ولبس الحرير ، فإن رسول الله ﷺ نهى عن لبوس الحرير قال إلا هكذا ، ورفع إلينا رسول الله ﷺ إصبعيه الوسطى والسبابة وضمهما»**[٣] .

ومن لزوم جانب التقوى في اللبس أن يكون ثوب الرجل والصبي المميز فوق الكعبين ، يتعاهد ذلك ويتوخاه ، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : **«ما أسفل الكعبين ففى النار»**[٤] .

وفي حديث سالم بن عبدالله عن أبيه رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : **«من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة» قال أبو بكر : يا رسول الله إزاري يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه؟ فقال النبي ﷺ : «لست ممن يصنعه خيلاء»**[٥] .

والخيلاء : الكبر والعجب كما يقول ابن الأثير[٦] .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأطعمة (٥٤٢٦) واللفظ له ، ومسلم في كتاب الأطعمة (٢٠٦٧) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب اللباس (٥٨٣٢) ، ومسلم في كتاب اللباس (٢٠٧٤) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب اللباس (٥٨٢٨) ، ومسلم في كتاب اللباس (٢٠٦٩) واللفظ له .

(٤) رواه البخاري في كتاب اللباس (٥٧٨٧) ، والنسائي في كتاب الزينة (٥٣٣٠) ، وأحمد في مسند المكثرين (٧١٥٥) .

(٥) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب اللباس (٥٧٨٤) واللفظ له ، ومسلم في كتاب اللباس (٢٠٨٥) .

(٦) النهاية لابن الأثير ٩/٢ .

ومن العرف الشرعي أن يكون بيت المسلم خالياً من مظاهر الترف والتبذير والإسراف ، ومِمَّا عمت به البلوى في عصرنا في هذا الباب افتتان الناس بالمظاهر الخادعة حيث التأثيث الفاخر والأبهة الكاذبة والملهية عن ذكر الله والدار الآخرة ، ومن النصوص التي توجه في هذا حديث أبي طلحة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولاتصاوير**»[1] وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**لا تدخل الملائكة بيتا فيه تماثيل وتصاوير**» [2] .

واتخاذ الكلاب لغير الحرث والصيد من سمات الكافرين ولم تكن في بيوت المسلمين في تاريخهم كله قط ، وكذلك تعليق التصاوير في البيوت وغيرها سواء كان لقصد الذكرى كما يقولون أو لأي غرض آخر ، وكل ذلك لا يجوز إلا ما حكمت به الضرورة كتصاوير البطاقات الشخصية وما أشبهها والضرورة تقدر بقدرها كما قال علماء أصول الفقه .

وكذلك اتخاذ الستور الفاخرة لغير حاجة شرعية ، قالت أم المؤمنين رضي الله عنها : كان لنا ستر فيه تمثال طائر وكان الداخل إذا دخل استقبله ، فقال لي رسول الله ﷺ : «**حولي هذا فإني كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا**»[3] .

- يبقى بعد هذا التذكير بخصال الفطرة المتضمنة للنظافة والطهارة الحسية والمعنوية ، وهي في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «**الفطرة خمس : الختان والاستحداد ونتف الإبط وقص الشارب وتقليم الأظفار**» [4] .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب اللباس (٥٩٤٩) واللفظ له ، ومسلم في كتاب اللباس (٢١٠٦) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب بدء الخلق (٣٢٢٥) ، ومسلم في كتاب اللبا س (٢١١٢) .

(٣) رواه مسلم في كتاب اللباس (٢١٠٧) .

(٤) متفق عليه : روا ه البخاري في كتاب الاستئذان (٦٢٩٧) واللفظ له ، ومسلم في كتاب الطهارة حديث رقم (٢٥٧) .

وينبغي للمسلم أن يحرص على إزالة شعر العانة والإبط وأن يقلم أظفاره كل أسبوع ولايترك ذلك أكثر من أربعين يوماً والتزامه بذلك دليل على وعيه الإيماني وكذلك وعيه الصحي وهو معلم من معالم التزام الأسرة بخلق عظيم وخصلة شريفة وهي خصلة النظافة الشخصية وسلامة الفطرة من هذه الحيثية .

ومن المظهر الإسلامي الذي يطالب به الرجال إعفاء اللحية وإحفاء الشوارب والتميز بذلك عن المشركين ، وفي حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : **«أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى»**[1] .

٧ - حجاب المرأة المسلمة :

للمرأة المسلمة دور كبير في تربية الولد وتقويمه وتهذيبه ، وبصلاح المرأة يصلح البيت فهي الأم الرؤوم والأخت المشفقة والابنة الصالحة والزوجة المخلصة وبفساد المرأة يفسد البيت إلامن رحم الله .

ولقد عني الإسلام بالمرأة المسلمة عناية فائقة وشرع لها من التدابير ما يكفل لها معيشة هنية رخية بعيدة عن المتاعب والمشاق لتؤدي دورها التربوي في بيت آمن وفي كنف زوج تقي وبين أبناء صالحين ، ومن جملة هذه التدابير الحجاب الشرعي ، والحجاب بمدلوله الواسع يتضمن التستر الحسي والمعنوي ، فالمرأة عورة إذا برزت استشرفها الشيطان فكان لا بد لها من حجاب يقيها عيون المتلصصين وكيدهم ، وأدب يصونها من مزالق الغواية والردى .

ولقد عرفت المرأة المسلمة على امتداد تاريخ المسلمين الطويل بالعفاف والحياء والقرار في البيت وعدم مخالطة الرجال الأجانب وكان ذلك جزءاً من شخصيتها وكيانها ، ومن ثم تخرج على يديها المجاهدون والأئمة المهديون والعلماء الربانيون .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الطهارة (٢٥٩) ، وأحمد في مسند المكثرين حديث (٨٤٢٣) .

وفي حجاب المرأة قول الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1] .

وفي كونها عورة لا يجوز بروزها قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾[2] .

وفي بيان محارمها قوله تعالى : ﴿ . . . وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[3] .

وقد استنبط العلماء لحجاب المرأة الحسي شروطاً هي[4] :

١ - أن يكون ساتراً سابغاً .

٢ - وأن لا يكون في نفسه زينة .

٣ - وأن لا يكون واصفاً كالضيق والصفيق والشفاف .

٤ - وأن لا يكون من لباس الكفار ولا من لباس الرجال ولا لباس شهرة .

كما ذكروا لحجابها المعنوي -وهي جملة آداب المرأة المسلمة- معالم هي :

١ - أن تقر في البيت فلا تخرج إلا لحاجة وضرورة .

٢ - أن لا ترقق قولها ولا تخضع فيه فيطمع الذي في قلبه مرض .

٣ - ألا تبرز إلى الرجال الأجانب ولا تخالطهم .

٤ - ألا تختلي برجل أجنبي ولا تسافر إلا ومعها محرم أو زوج .

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٥٩ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٣٣ .

(٣) سورة النور : الآية ٣١ .

(٤) حجاب المرأة المسلمة للألباني ص١٣ وما بعدها .

٥ - ألا تخرج من بيتها متعطرة متزينة كي لا تكون فتنة ! .
٦ - ألا تكشف الوجه ولا الكفين فذلك من العورة[١] .

وحري بالمرأة المسلمة العفيفة المصونة ، التي تدرك مكانتها في الأسرة ودورها التربوي في رعاية الناشئة ، الملتزمة بحجابها الوقور ، الصالحة في نفسها المتطلعة إلى معرفة أحكام دينها أن تكون بعيدة عن مواطن الشهوات والفتن ، وأن تقوم بدورها على خير وجه ، وقد قالوا :

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعباً طيب الأعراق

هذا وما من ريب في أن قيام الرجل بواجب القوامة في بيته على الوجه المرضي له آثاره الحميدة في انتظام أفراد البيت في واجباتهم المعاشية والمعادية ، ومعرفتهم بالحقوق والواجبات ، وتخلقهم بأخلاق المسلمين .

كما أن لزوم جانب التقوى من جميع أفراد الأسرة بدءاً بالأب فالأم له كذلك ثمراته المباركة ، إذْ ينشأ ناشئ الفتيان على تقوى الله عز وجل وابتغاء مرضاته وتجنب معصيته وسخطه ، وفي ذلك استتباب للأمن في المجتمع ، فبصلاح الأسر يصلح المجتمع وبفسادها يفسد ، كما أن لصلاح الأسرة المسلمة أثراً بالغاً في تحقيق التوازن العاطفي والانفعالي فتختفي أو تخفت المشكلات النفسية المتفشية في المجتمعات التي لا تتقي الله ولا تعرف التقوى ولا تريد أن تعرفها ! كالاكتئاب ، والقلق ، والانحراف السلوكي وجنوح الأحداث والشذوذ الجنسي ، والتطرف الديني ، وما ينتج عنه من ويلات تحيق بالمجتمع كالعنف والجريمة والانتحار .

وإن درء هذه الأخطار المهلكة لمن واجبات المجتمع ، ويبدأ هذا الواجب من البيت بقيام الآباء بواجباتهم ومسئولياتهم تجاه الأبناء .

فالحمد لله على نعمة الإسلام ، له الحمد في الأولى والآخرة وهو الحكيم الخبير .

---

(١) حجاب المرأة المسلمة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٤-٣٦ ، ورسالة الحجاب للشيخ محمد العثيمين ص ٣-٣١ ، وفصل الخطاب في مسألة الحجاب والنقاب لدرويش حسن مصطفى ص ٢٠ وما بعدها .

الفصل الثاني

مسئولية الآباء في مجال العقيدة

وفيه أربعة مباحث :

- **المبحث الأول :**

تنشئة الأولاد على عقيدة التوحيد وإفراد الله في العبادة وأهمية ذلك .

- **المبحث الثاني :**

التربية على أركان الإسلام والإيمان والإحسان (مراتب الدين الثلاث) .

- **المبحث الثالث :**

التنشئة على مستلزمات العقيدة .

- **المبحث الرابع :**

أثر التنشئة على العقيدة في حياة الأولاد وسلوكهم .

الفصل الثاني

مسئولية الآباء في مجال العقيدة

تمهيد :

العقيدة الإسلامية أساس الدين الحنيف وأصله ، ومرتكز الشريعة والأخلاق ، فالعبادات والمعاملات والأخلاق والسلوك ، كل ذلك مرتبط بالعقيدة ومؤسس عليها وقائم بها ، فمتى اختلت العقيدة اختل ما بُني عليها .

والعقيدة تتضمن ما يعتقده الإنسان ويدين به ، ومن هنا فإنها تتضمن جميع ما هدى إليه الدين الحنيف مما هو من أعمال القلوب والجوارح ، وعلى الأخص فإنها تتضمن الدين بمراتبه الثلاث : (الإسلام ، والإيمان ، والإحسان) ، وهذه المراتب الثلاث بمستلزماتها من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق تؤسس على أصل الدين ، الذي هو أصل الأصول وهو توحيد الله عز وجل في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته .

ولئن كانت الدعوة الإسلامية في مقصدها الأجل تهدف إلى تحقيق العبودية لله تعالى ، فلا جرم أن تربية الناشئة على هذه العقيدة بغية جليلة ، ومقصد نبيل ، وغرض شريف ، بل لا تصح التربية ولا تستقيم الحياة بغير عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، فهو الأصل الذي قامت عليه دعوات الرسل جميعاً ، وحسبنا في ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾[1] .

والحديث عن أهمية العقيدة في الحياة حديث الفطرة والبديهة والثوابت ، فالإنسان بغير العقيدة الإسلامية لا معنى لوجوده ولا هدف من حياته ، يعيش

(١) سورة البينة : الآية ٥ .

كالسائمة لا هم له غير البطن والفرج ، يعيش لنفسه وشهواته وهو في غفلة عن ذكر ربه وعن الدار الآخرة ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[1] .

ويبدأ تعليم الأولاد أمور الدين منذ سن التمييز والإدراك ، وليس للتمييز سن معين كما قال ابن القيم -رحمه الله- : بل من الناس من يميز لخمس كما قال محمود بن الربيع : **«عقلت من النبي ﷺ مجة مجها في وجهي من دلو في بئرهم وأنا ابن خمس سنين»**[2] .

ولذلك جعلت الخمس سنين حداً لصحة سماع الصبي . . . فإذا صار له سبع سنين دخل في سن التمييز وأمر بالصلاة . ثم ساق ابن القيم جملة من الأحاديث والآثار في تقرير ذلك[3] .

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٧٩ .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب العلم حديث (٧٧) ، ومسلم في كتاب المساجد (٣٣) .

(٣) انظر تحفة المودود ص ١٧٣ .

المبحث الأول : تنشئة الأولاد على عقيدة التوحيد وإفراد الله تعالى في العبادة ، وأهمية ذلك

لا جرم أن توحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة هو لب الإسلام وأصله الأصيل ومرتكزه الركين ، وبغير تحقيق التوحيد في العبادة لا يكون الإنسان مسلماً ، ولا يكون عمله مقبولاً ، إذ أن قبول العمل منوط بالإخلاص لله عز وجل والمتابعة للنبي ﷺ ، وتوحيد الألوهية وهو توحيد العبادة هو الذي عليه مدار الجزاء والحساب ، وبه نزلت الكتب السماوية ومن أجله بعثت الرسل ، وعليه جردت سيوف الجهاد .

وفيما يلي بعض النصوص الشرعية المبينة لقيمة وأهمية توحيد العبادة في حياة الإنسان وأثره المصيري :

- في أن التوحيد مضمون رسالات الله كلها قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ . . .﴾(١) ، وقال : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾(٢) ، وقال : ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾(٤) ، ومن السنة حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد**»(٥) .

(١) سورة النحل : الآية ٣٦ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٢٥ .

(٣) سورة النحل : الآية ٢ .

(٤) سورة البينة : الآية ٥ .

(٥) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأنبياء (٣٤٤٢) ، ومسلم في كتاب الفضائل (٢٣٦٥) .

فلقد اتفقت رسالات الله تعالى كلها على هذا المبدأ العظيم مبدأ التوحيد، مع اختلافها في الشرائع كما قال تعالى: ﴿ ... لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ... ﴾[1] ويدل على أن دينهم كلهم واحد وهو الإسلام، الذي لا يقبل الله ديناً غيره، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ... ﴾[2] وقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[3] فجميع الملل والنحل غير دين الإسلام باطلة، ومن مات على غير دين الإسلام فهو من أصحاب النار قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾[4].

- وعبادة الله وحده أعظم ما يجب على الخلق تجاه الخالق جل وعلا، وفيه يقول تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ... ﴾[5]، وقال: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ... ﴾[6]، وقال ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾[7].

ويردد المسلم في اليوم أكثر من سبع عشرة مرة قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[8].

فأعظم الحقوق على الإطلاق حق الله تعالى في أن يعبد فلا يشرك معه غيره، وفي حديث معاذ رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ فقال: «يا معاذ» **قلت: لبيك وسعديك، ثم قال مثله ثلاثاً: «هل تدري ما حق الله على العباد»؟ قلت: لا. قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً»، ثم سار ساعة فقال: «يا معاذ» قلت: لبيك وسعديك، قال:**

(١) سورة المائدة: الآية ٤٨.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٨٥.
(٤) سورة آل عمران: الآية ٩١.
(٥) سورة الإسراء: الآية ٢٣.
(٦) سورة النساء: الآية ٣٦.
(٧) سورة الزمر: الآية ٦٦.
(٨) سورة الفاتحة: الآية ٥.

«هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ : أن لا يعذبهم»[1] .

– وتوحيد العبادة كما أنه أساس الدين ، فإن نقيضه وهو الشرك يحبط العمل ويورث الوزر كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾[2] .

ومن مات على الشرك فإنه خالد في النار غير مغفور له ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[3] وعليه فإن أعظم ذنب عصي الله به وأكبر الكبائر هو الشرك بالله ، ولما قال عبدالله بن مسعود ﷺ يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال ﷺ : «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»[4] .

– وفي أن الجهاد إنما شرع لمقاصد جليلة من أعظمها تعبيد العباد لخالقهم وبارئهم ، وإخراجهم من عبادة غير الله كائنا من كان ، فإذا دفعوا الجزية مقابل حمايتهم أقروا على ملتهم ، وإن أبوا قوتلوا حتى يشهدوا شهادة الحق ، على تفصيل ذكره الفقهاء في المشرك والكتابي وغيرهما ، وفي هذا حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على الله»[5] .

– وفي أن الجزاء الأخروي ومصير المكلف مرتهن بمدى تحقيقه للتوحيد يقول الله جل ذكره : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[6] .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الاستئذان (٦٢٦٧) واللفظ له ، ومسلم في كتاب الإيمان (٣٠) .

(٢) سورة الزمر :الآيتان ٦٥ ، ٦٦ .

(٣) سورة النساء : الآية ١١٦ .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الحدود (٦٨١١) ، ومسلم في كتاب الإيمان (٨٦) .

(٥) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الإيمان (٢٥) ، ومسلم في كتاب الإيمان (٢٢) .

(٦) سورة الكهف : الآية ١١٠ .

ومن السنة حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: عن النبي ﷺ قال: قال لي جبريل ﷺ: **«من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، أو لم يدخل النار» قال: «وإن زنى وإن سرق؟» قال: «وإن»»**[1].

وفي حديث عتبان بن مالك الأنصاري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«لا يوافي عبدٌ يوم القيامة يقول لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله إلاحرم الله عليه النار»**[2].

فتوحيد الله تعالى سبيل الفوز برضوانه وجناته، والنجاة من سخطه ونيرانه، وتوحيد العبادة هوتوحيد الألوهية أصل الدين ومرتكزه الأول الذي عليه وبه تقوم مبانيه العظام من عبادات ومعاملات وأخلاق.

إن الولد جوهرة نفيسة عند والديه، فهو نواة الأسرة والمجتمع، وأمل الغد والمستقبل، وموئل الإسلام بعد الله تعالى، فتربيته على عقيدة التوحيد أساس تربوي وطيد، بل لا تصح التربية ولا تستقيم بغير عقيدة التوحيد الذي هو أساس الإسلام وأصله الأصيل.

وبعد هذا التقديم المهم عن أهمية عقيدة التوحيد وأثرها في تقرير المصير أورد فيما يلي معالم (تربية الأولاد على عقيدة التوحيد) مع ضرب الأمثلة من الكتاب والسنة على ذلك فأقول وبالله تعالى التوفيق ومنه التسديد:

أ - تصحيح النية فالنية الصالحة بداية كل خير وسبب كل رشد بعد توفيق الباري، وطلب الذرية الصالحة التي توحد الله تعالى مطلب أسنى يتوخاه المسلمون بالإكثار من الدعاء والابتهال إلى الله تعالى كما في دعوة عباد الرحمن: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[3]، وبالسعي إلى تحصيل هذه الغاية، كما يلاحظه المتأمل في حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ، لما آذاه الكفار وأرسل الله إليه ملك الجبال فقال: **«إن شئت أطبق عليهم الأخشبين»** قال ﷺ: **«بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا»**[4].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب بدء الخلق (٣٢٢٢)، ومسلم في كتاب الإيمان (٩٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الرقاق (٦٤٢٢)، ومسلم في كتاب الإيمان (٣٣).

(٣) سورة الفرقان: الآية ٧٤.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب بدء الخلق (٣٢٣١)، ومسلم في كتاب الجهاد (١٧٩٥).

فطلب الذرية الصالحة التي تعبد الله وحده أمنية عزيزة يسعى إليها المسلمون لا يعدلون بها شيئاً ، وأي شيء أعز وأنفس من عبد لله يوحده ويمجده ويدعو الناس إلى توحيده وتجنب الشرك به سبحانه وتعالى .

ب - الاجتهاد في الدعاء بأن يهدي الله الولد إلى صراطه المستقيم وهديه القويم ، فيوحد الله ولا يشرك به شيئاً ، وهذا منهج النبيين فهذا إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والتسليم قال الله تعالى عنه : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾[1] . ودعاء الوالدين من جملة الأسباب التي يؤمر بها المسلم لطلب صلاح الأولاد .

ج - تلقين الولد مبادئ التوحيد إذا بلغ سن التمييز ، بتدريبه على نطق الشهادتين ، وإفهامه معناهما بحسب مداركه العقلية وقدراته الفكرية ، ويبصر بالأصول الثلاثة وهي معرفة العبد ربه ودينه ونبيه ﷺ في الوقت المناسب وبالأسلوب المناسب الملائم إلى عقله ونفسه ، وتكرار ذلك بغير إملال ، كي ينطبع ذلك في فؤاده وينغرس في قلبه الغض فيشب سليم الفطرة قويم العقيدة .

وتأمل كيف طفق النبي ﷺ يعلم ربيبه عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه لما كان صبياً تطيش يده في الصحفة ، لقد قال له : «يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك»[2] فهو يعلمه اسم الله قائلاً : «يا غلام سم الله» واسم الله تبارك وتعالى أجل ما يتعلمه الولد منذ الصبا ، وإذا تعلمه تعلم معه لوازمه وهو معرفة الدين والنبي ﷺ وهذا أمر بدهي .

د - العمل التربوي الدائب في تعليم الولد وتلقينه وتبصيره بتوحيد الله تعالى ، بمختلف الوسائل والأساليب المشروعة .

وفيما يلي أربعة نماذج في هذا الباب وهي غيض من فيض مما تزخر به قصص القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة :

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ٣٥ .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأطعمة (٥٣٧٦) ، ومسلم في كتاب الأشربة (٢٠٢٢) .

- في قصة أبي الأنبياء إبراهيم الخليل -عليه وعلى نبينا صلوات الله وتسليماته- الذي أقام قواعد البيت بأمر الله عز وجل على أساس التوحيد ، إذ قال في شأنه الباري تقدست أسماؤه : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾(١) .

وحرص إبراهيم عليه السلام كل الحرص على تربية أبنائه على هذا المبدأ العظيم مبدأ التوحيد يتجلى ذلك في دعواته : ﴿ . . . وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾(٢) وفي موضع آخر : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ . . . ﴾(٣) . والإسلام أساسه التوحيد وبغير التوحيد لا يكون الإنسان مسلماً .

وامتد هذا الأسلوب التربوي وتلك الوصية الميمونة في عقبه ونسله ، في ابنيه إسماعيل وإسحاق ، ومن بعدهما أولادهما . . . فكل واحد منهم كان موحداً يعبد الله ويربي على ذلك ولده ويحذرهم من الشرك بالله ومغبته ، ولنتأمل سيرة يعقوب ابن إسحاق عليهما السلام وهو في سياق الموت ، لقد جمع أولاده الاثني عشر وراح يوصيهم وهو على فراش الموت بهذه الوصية الخالدة الجليلة ، قال الله تعالى : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾(٤) .

وسرت هذه التربية المباركة بعد ذلك في جيل أبناء الأحفاد ، فهذا يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم وهو **«الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم»** كما في حديث ابن عمر مرفوعاً(٥) يدعو قومه إلى توحيد العبادة لله تعالى ، حتى

(١) سورة الحج : الآية ٢٦ .

(٢) سورة إبراهيم : الآية ٣٥ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٢٨ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٣٣ .

(٥) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء حديث (٣٣٩٠) ، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة ، حديث (٥٤٥٤) .

وهو في السجن ، لقد قال : ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

وهكذا فإن تربية الأولاد على الإيمان بالله تعالى وعلى إفراده جل وعز في العبادة دأب المرسلين ، وإلى ذلك دعوا أممهم وأقوامهم وعليه ربوا أولادهم وأهليهم ومن أجل نشره بين الناس جاهدوا وصبروا وصابروا حتى الرمق الأخير ، ونهج الأنبياء هو النهج القويم والصراط المستقيم .

-وفي قصة لقمان ووصيته لابنه يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[2] .

فلقمان عليه السلام في الوصية الجليلة يحذر ابنه من الشرك ويصفه بأنه ظلم عظيم فهو أعظم ذنب عصي الله به وهو أكبر الكبائر ومن مات عليه خلد في النار والعياذ بالله ، ثم طفق يذكره بحقوق الوالدين وأن حقهما بعد حق الله وطاعتهما من طاعة الله إلا إن أمرا بالشرك بالله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وراح يبين له عظمة الخالق في خلقه وملكه وقدرته وعلمه ، فلا يعزب عنه مثقال ذرة ولا تخفى عليه خافية ، كل هذه المضامين الإيمانية الجليلة وصى

(١) سورة يوسف : الآيات ٣٧ - ٤٠ .

(٢) سورة لقمان : الآيات ١٣ - ١٦ .

بها لقمان ابنه ، وغرسها في عقله وقلبه ، وهي أجل وأعظم ما يزجيه والد لولده ويربيه عليه ويوصيه به ويتعاهده عليه .

– ومن النماذج المحببة إلى الأطفال أسلوب القصة ، إذ تشد فيهم الرغبة إلى معرفة النتيجة أو ما يسمى بعقدة القصة ، والقرآن العظيم حافل بالقصص التي تتضمن معاني ومستلزمات التوحيد ، بل قصص القرآن كلها ترتكز على ركيزة الإيمان بالله ووحدانيته جل وعلا ، وأيضاً القصص الأقرب إلى عقل الطفل وقلبه ومشاعره وأحاسيسه وميوله كالقصص التي تتضمن عنصراً من الحيوانات أو الطيور ، ولنختر منها قصة الهدهد الذي رأى الشرك بالله وشاهد أهل سبأ يسجدون للشمس ويعبدونها من دون الله فغضب وهو طائر من الطيور التي كانت في مملكة سليمان وجاء إلى سيده نبي الله سليمان عليه السلام يقص عليه ما شاهد وعاين فكانت بداية للدعوة الإسلامية التي وجهها سليمان إلى قوم بلقيس وانتهت إلى إيمان ملكتهم ودخولها في دين الإسلام وتركها الشرك وأسبابه .

قال تعلى : ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(1) .

– ومن السنة النبوية الشريفة ، ما دأب عليه النبي ﷺ كغيره من الأنبياء الذين سبقوه ، من الدعوة إلى عبادة الله وحده وترك كافة صور وأشكال الشرك وأسبابه ، وكان صلوات الله عليه يدعو إلى التوحيد قومه رجالهم ونساءهم وصغارهم

(1) سورة النمل : الآيات ٢٠-٢٦ .

وكبارهم ، كما قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[1] فتلاوة الآيات أي قراءتها والعمل بها ، وتزكية النفس بصنوف العبادات والقربات ، وأيضاً علم الكتاب والحكمة ، كما أنها أسس التربية الإسلامية ومنابعها ، فهي إنما تؤسس على أصل التوحيد ، وتقوم شجرتها على جذور التوحيد ، كي تينع وتورق وتثمر ثمراتها المباركة .

ومن الأمثلة على تربية الأولاد على مبدأ التوحيد حديث معاذ رضي الله عنه قال : كنت رديف النبي ﷺ فقال : «يا معاذ» قلت : لبيك وسعديك ، ثم قال مثله ثلاثاً : «هل تدري ما حق الله على العباد»؟ قلت : لا . قال : «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً» . ثم سار ساعة فقال : «يا معاذ» قلت : لبيك وسعديك ، قال : «هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ : أن لا يعذبهم»[2] .

ومثل آخر يتبين من خلاله كيف كان صلوات الله عليه يغرس التوحيد ولوازمه في عقول وقلوب الناشئة ، ويربيهم عليه ، ويتعاهدهم به .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «كنت رديف النبي ﷺ يوماً فقال : يا غلام إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[3] .

وعلى هذا المنوال فالتوحيد يقوي اليقين بالله ويجعل القلوب تتعلق بخالقها وبارئها وحده ، ترجو رحمته وتخشى عذابه ، وتهون الدنيا كلها في ذات الله ، فلا يملك أحد ضراً ولا نفعاً إلا بإذن الله وعلى ما جرت به مشيئته وأقداره .

---

(١) سورة الجمعة : الآية ٢ .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الاستئذان (٦٢٦١) واللفظ له ، ومسلم في كتاب الإيمان (٣٠) .

(٣) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة حديث (٢٥١٦) ، وأحمد في مسند بني هاشم حديث رقم (٢٥٣٧) .

هذا ومن لوازم توحيد الألوهية وهو (توحيد العبادة) مما ينبغي للآباء والمربين غرسه في قلوب الناشئة :

- تجنب كل ما ينافيه من الأعمال الشركية كالحلف بغير الله ، والاستعانة والاستغاثة بغير الله ، والذبح والنذر والتوكل وطلب المدد واعتقاد أن غير الله يتصرف في الكون كائناً من كان ملكاً أو نبياً أو ولياً ، وكل ما هو من خصائص الألوهية مما يدخل في مسمى العبادة لا يصرف إلا لله وحده لا شريك له ، لا إله غيره ولا رب سواه ، ولا معبود بحق إلا هو ، بيده ملكوت كل شيء وهو الواحد القهار .

- التلازم بين الربوبية والألوهية ، فاعتقاد أن توحيد الله تعالى هو الإيمان بأنه الخالق الرازق المحيي المميت ، والاقتصار على ذلك اعتقاد غير صائب لأنه إيمان بالربوبية فقط ، ولا ينتفع بالإيمان بها الإنسان إن لم يكن معها إيمان بالألوهية لأن المشركين يقرون بالربوبية ولم يدخلهم ذلك في مسمى الإيمان كما قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ . . . ﴾[1] .

ولقد شذ بعض المنتسبين إلى الدعوة وفهموا هذا الفهم السقيم فالتوحيد عندهم اعتقاد أن الله هو الخالق الرازق المبدئ المعيد ، دون الاعتقاد أن العبادة لا تصرف إلا له عز وجل ، وهو مفهوم خاطئ كما ترى ، ولا ينتفع به صاحبه ما لم يأت بتوحيد الألوهية .

- تأسيس كل مجريات الحياة على هذا الأساس الإيماني الوطيد من عبادات ومعاملات وأخلاق ، فمن لوازم التوحيد إقامة كافة أنساق الحياة وفق أركان الإيمان وأركان الإسلام والإحسان ، فالإيمان اعتقاد وعمل ، والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، والمسلم لا يكفر بارتكاب الكبائر بل يفسق إن لم يتب منها .

وجدير بالتنويه والإشادة هنا ما يحظى به الناشئة في المملكة العربية السعودية من اهتمام بالغ بأمور العقيدة منذ المرحلة الابتدائية ، إذ يلقن الأصول الثلاثة التي لا يسع المسلم جهلها ، ويكرر ذلك على مسامعه ومداركه العقلية في السنوات

(١) سورة الزمر : الآية ٣٨ .

التالية بصورة أوفى تتناسب مع قدراته الاستيعابية ، فينشأ -بإذن الله- سليم العقيدة بعيداً عن الخرافات والبدع التي تعاني منها المجتمعات التي لا تهتم بالعقيدة هذا الاهتمام البالغ الضروري ، وأثمر ذلك بفضل الله منذ أن صدع بالدعوة إلى تصحيح المفاهيم العقدية الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وآزره الإمام محمد بن سعود -رحمهما الله رحمة واسعة- ، وانتهج ملوك آل سعود -وفقهم الله وأعزهم بالإسلام- نهج العقيدة السلفية الصافية ، فليس في المملكة بحمد الله مظاهر شركية لا قبور يطاف حولها ، ولا مزارات ومشاهد تشد إليها الرحال ، ولا معابد تعبد من دون الله عز وجل ، وتلكم نعمة لا يعرفها إلا العالمون ، ولا ينكرها إلا الجاهلون والجاحدون .

والاهتمام بأمور العقيدة في المجالات التربوية وفي كل شؤون الحياة على المستوى الشعبي والرسمي ميزة انفردت بها في هذه الحقبة من تاريخ المسلمين بلاد الحرمين الشريفين ، وهو أمر ينبغي أن يذكر فيشكر وأن يعرف الفضل لأهله فلا ينكر .

وهذه منة مَنَّ الله بها على المسلمين قاطبة إذ أقام لهم في بلاد الحرمين الحجة البالغة لمن أراد الرشاد وطلب السداد في معرفة صحيح الاعتقاد .

وإن تعليم وتذكير الأولاد بهذه النعمة الجليلة وتلك الخصلة الفريدة كما أنه أداء لواجب الشكر عملاً بقول النبي ﷺ : «من لا يشكر الناس لا يشكر الله» -رواه أبو هريرة رضي الله عنه-[1] هو أيضاً حماية لفلذات الأكباد من الفتن التي تتماوج هنا وهناك ، بينما يرفل أبناؤنا وبناتنا في واحة الأمن الفكري والأمن العقدي وكل ثمرات العقيدة كالأمن الغذائي والأمن العام وهو واقع نعيشه ونشهده لا ينكره إلا جاهل أو جاحد .

نسأل الله أن يكتب هذه النعمة التي يعيشها جيلنا والتي عاشتها الأجيال من قبلنا وسيعيشها من بعدنا إن شاء الله في موازين حسنات ولاة أمرنا ، وأن يثبتنا على ذلك حتى الممات إنه سميع مجيب .

---

(١) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة حديث رقم (١٩٥٤) وقال : حديث حسن صحيح ، وأبو داود في كتاب الأدب حديث رقم (٤٨١١) ، وأحمد في مسند المكثرين حديث رقم (٧١٩١) واللفظ للترمذي وأحمد .

المبحث الثاني : التربية على أركان الإسلام والإيمان والإحسان (مراتب الدين الثلاث)

أخرج الشيخان بسنديهما عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ﷺ ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا» قال : صدقت! قال فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : أخبرني عن الإيمان ، قال : «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال : صدقت! . قال : فأخبرني عن الإحسان ، قال : «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» الحديث[1] .

هذا الحديث النبوي الجليل تضمن مراتب الدين الثلاث «الإسلام والإيمان والإحسان» وأركانها ، وهي أسس الدين ومرتكزاته التي لا يسع المسلم جهلها ، ولا يستقيم أمره ولا يرشد إلا بالإتيان بها .

فهي من الأمور الأساسية التي تنهض عليها التربية الإسلامية ، سواء من قبل الأبوين أو من قبل المربين والمعلمين والمرشدين .

وتعليم الولد هذه المراتب وأركانها وتربيته عليها منذ الصغر من فرائض الدين ومن أجل مسئوليات الأبوين المسلمين ، فإن اعتنيا به ووجهاه الوجهة الصحيحة

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الإيمان (٥٠) ، ومسلم في كتاب الإيمان (٨) واللفظ لمسلم . وانظر الفتح ١١٥/١ في مفهوم الإيمان والإسلام والفرق بينهما . وأيضاً مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٨٩/٣ وما بعدها .

فسلمت فطرته التي فطره الله عليها رشد وسعد ، وسعد والداه ، وإن أهملاه هلك وانحرفت به الفطرة عن سواء السبيل ، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء**»(١) .

ومن بدهيات الدين أن الاهتمام بالولد وتبصيره بأمور دينه من مسئوليات الوالدين إن أهملا في ذلك وفرطا فيه استحقا العقوبة لأن إهمال الولد في عصر كعصرنا هذا مع كثرة أسباب الإغواء عن الاستقامة والإغراء بالشهوات والشبهات يعد من كبائر الذنوب ، فمع اشتداد الحاجة إلى التربية والتقويم والتهذيب والتحصين تعظم المسئولية وتكبر الأمانة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : «وأما فساد الأولاد بحيث يعلمه الشحاذة ، ويمنعه من الكسب الحلال أو يخرجه ببلاده مكشوف الشعر في الناس ! فهذا يستحق صاحبه العقوبة البليغة التي تزجره عن هذا الإفساد ، لاسيما إن أدخلوهم في الفواحش وغير ذلك من المنكرات ، ويجب تعليم أولاد المسلمين ما أمر الله بتعليمهم إياه ، وتربيتهم على طاعة الله ورسوله كما في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «**مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع**(٢)»(٣) .

وفيما يلي معالم تربية الأولاد على المراتب التي تضم أصول الدين الثلاثة : معرفة العبد ربه ، ونبيه ﷺ ، ودينه وهو الإسلام .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الجنائز (١٣٥٨) ، ومسلم في كتاب القدر (٢٦٥٨) ، وقد تقدم

(٢) رواه أبو داود في كتاب الصلاة حديث رقم (٤١٨) ، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة ، حديث رقم (٦٤٦٧) .

(٣) مجموع الفتاوى ٥٠٤/١١ .

- التربية على أركان الإسلام :

في الصحيحين من رواية عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : **«بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا»**[1] .

- الشهادتان هما أعظم أركان الإسلام الخمسة ، وهما أساس الدين ومحوره ، وتتضمنان شرطي قبول العمل : الإخلاص لله تعالى ، والمتابعة للنبي ﷺ . . . وفي فضل الشهادتين الجليلتين نصوص كثيرة جداً لا يتسع المقام لذكرها ، منها حديث معاذ رضي الله عنه وهو رديف النبي ﷺ على الرحل ، قال : **«يا معاذ بن جبل»** . قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ، قال : **«يا معاذ»** . قال : لبيك وسعديك يا رسول الله -ثلاثاً- قال ﷺ : **«ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار»** قال : يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا !؟ قال : **«إذاً يتكلوا»** ، وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً[2] أي خوفاً من الوقوع في إثم كتمان العلم .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : **«أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»**[3] .

وهذه الشهادة ليست مجردة من العمل كما قد يفهمه بعض الناس ، بل لابد من الإيمان والعمل الصالح كما ذكر تعالى في غير موضع من كتابه المبين من مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾[4] .

وقد بين ذلك علماء الإسلام أكمل بيان من مثل ما رواه البخاري قال : ما

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الإيمان (٨) ، ومسلم في كتاب الإيمان (١٦) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب العلم (١٢٨) ، ومسلم في كتاب الإيمان (٣٢) .

(٣) رواه البخاري في كتاب العلم (٩٩) .

(٤) سورة الكهف : الآية ١٠٧ .

جاء في الجنائز : ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله : وقيل لوهب بن منبه -رحمه الله- : أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال : بلى ، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان ! فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك[1] .

ومعنى -لا إله إلا الله- : أي لا معبود بحق إلا الله ، وإن تلقين الطفل منذ سن التمييز لفظ الشهادة وتدريبه على النطق بها لهو الخطوة الأولى في سبيل تربيته على مبدأ التوحيد وتعليمه مستلزماتها على حسب مداركه في مراحل عمره ، ومن أهم مستلزماتها الإخلاص لله وهو التلازم بين الربوبية والألوهية ، فالله هو الخالق الرازق فهو سبحانه المعبود بحق وحده لا إله غيره ولا رب سواه .

وإن عقل الطفل المدرك وقلبه كالجوهرة النفيسة الخالية من كل نقش ، والطفل -وقد خلقه الله على الفطرة- لديه قابلية فطرية للإقرار بالألوهية . والوالدان يقويان لديه المدارك من خلال لفت نظره بالأسلوب المناسب إلى مخلوقات الله المحيطة به من البهائم والحشرات والجمادات والأشجار ونحوها مما يحيط به مما هو من بيئته ومحيطه ، وذلك في شكل قصص صادقة أو في قالب إعلامي مناسب في الإطار الشرعي لإيقافه على عظمة الخالق سبحانه ، ومن ثم تعريفه بهذا الخالق المدبر ، وأنه الذي يستحق العبادة ، وأن هذا هو صراط المسلمين ، وأن الكافرين الذين يعبدون معه غيره في ضلال مبين .

وتأمل سيرة الفاروق عمر رضي الله عنه كيف ذكر الناس بالتوحيد وهو يطوف حول الكعبة قائلاً وهو يخاطب الحجر الأسود : **«إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك»**[2] .

وهذا يدل على أن الاهتمام بالتوحيد وهو أساس الدين ينبغي أن يكون هاجس المسلم في تذكير نفسه وولده ومن ولاه الله عليه وعامة الناس على قدر الوسع .

---

(١) صحيح البخاري كتاب الجنائز باب ما جاء في الجنائز .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الحج (١٥٩٧) ، ومسلم في كتاب الحج (١٢٧٠) .

وشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ ، تستدعي من الأبوين تعريف الولد بمعناها وهو طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرعه ﷺ .

وإن في أحداث السيرة النبوية الشريفة قبل البعثة وبعدها لمادة علمية زاخرة يستوعبها عقل الطفل المدرك إن أحسن مربيه عرضها بأسلوب القصة التي ينجذب إليها الأولاد وغيرهم وهو أفضل ما يهديه والد لولده ليملأ به وقته ويشبع فضوله ، ويروي تطلعه إلى الجديد المفيد .

وإن محبة النبي ﷺ لمن كبرى مقاصد التربية التي يتوخاها الأبوان المسلمان كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين»[1] .

ومحبة النبي ﷺ إنما تكون في اتباع سنته واقتفاء أثره واتخاذه قدوة وأسوة في العبادات والمعاملات وكل مناحي الحياة ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[2] .

قال الإمام ابن سعدي : هذه الآية هي الميزان التي يعرف بها من أحب الله حقيقة ومن ادعى ذلك دعوى مجردة ! .

فعلامة محبة الله اتباع محمد ﷺ الذي جعل متابعته في جميع ما يدعو إليه طريقاً إلى محبته ورضوانه فلا تنال محبة الله ورضوانه وثوابه إلا بتصديق ما جاء به الرسول ﷺ من الكتاب والسنة وامتثال أمرهما واجتناب نهيهما فمن فعل ذلك أحبه الله وجازاه جزاء المحبين وغفر له ذنوبه وستر عليه عيوبه[3] .

وهذه المعاني الإيمانية كلها من أهم المقاصد التربوية التي ينبغي أن يرنو إليها الآباء وهم يربون أبناءهم .

إن تلقين الولد منذ مرحلة الصبا مبادئ الدين ينبغي أن يكون مناسباً لمدارك الطفل العقلية وقدراته الاستيعابية ، ومهما يكن من أمر فليس هناك مندوحة

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الإيمان (١٤) ، والنسائي في كتاب الإيمان (٥٠١٥) .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٣١ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ١/١٧٩ .

عن تلقينه الأصول الثلاثة المعروفة بصيغة الاستفهام ومعه تلقين الجواب بتكرار ذلك من الأبوين حتى يصبح ذلك فيه سجية وطبعاً بأن يقال له :

- من ربك؟

* ربي الله .

- من نبيك؟

* نبيي محمد ﷺ .

- ما دينك؟

* ديني الإسلام .

مع الاهتمام البالغ بتساؤلات الولد واستفهامه المتكرر عن الله عز وجل ، وعن الرسول ﷺ وعن معنى الإسلام ، ولماذا خلقنا الله؟ وأين كنا قبل الحياة الدنيا؟ أو من أين يجيء الناس بالأطفال ؟! .

وإلى أين يذهب الناس بعد الموت؟ ولماذا نحب المسلمين ونكره الكافرين؟ وأسئلة أخرى كثيرة تنبعث بتلقائية وبراءة يتفتق عنها عقل الطفل وتفكيره ، والأب الكيس يحسن التوجيه بإحسان الإجابة عن تساؤلات أولاده . . . والطفل الذكي المفكر ينبغ إن أحسن تربيته ، ووفق إلى أب راشد لبيب يعرف كيف يبني في ولده العقل والتوجه الرشيد ! .

وهذا أمر في غاية الأهمية مع كونه في غاية السهولة والبساطة بعد توفيق الله لأنه أمر فطري جبلي ، ويصبح الترقي بعد ذلك إلى ما يليه من أمور العقيدة أمراً سهلاً ميسوراً .

- الصلاة :

قال ابن تيمية : من أحب الأعمال إلى الله وأعظم الفرائض عنده الصلوات الخمس في مواقيتها ، وهي أول ما يحاسب عليها العبد من عمله يوم القيامة ، وهي التي فرضها الله تعالى بنفسه ليلة المعراج لم يجعل فيها بينه وبين محمد ﷺ واسطة ، وهي عمود الدين الذي لا يقوم إلا به ، وهي أهم أمر الدين كما كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى عماله : إن أهم أمركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ، ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد إضاعة .

وقد ثبت في الصحيح عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : **«بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»**[1] .

وفي حديث عبدالله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه مرفوعاً : **«العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»**[2] فمن لم يعتقد وجوبها على كل عاقل بالغ غير حائض ونفساء فهو كافر مرتد باتفاق أئمة المسلمين[3] .

ولئن ذكرت الصلاة ذكرت معها الطهارة لأنها من شروطها ولوازمها ، ومسائل الطهارة كثيرة أختار منها ما يتعلق بتربية الأولاد .

- فمن ذلك : معرفة حكم التطهر من بول الغلام والجارية .

أما الغلام الصغير الذي يرضع ولم يأكل الطعام بعد فإن بوله طاهر يكتفى فيه بالنضح وهو الرش وفيه حديث أم قيس بنت محصن رضي الله عنها قالت : **«أنها أتت بابن لها صغير لم يأكل الطعام إلى رسول الله ﷺ فأجلسه رسول الله ﷺ في حجره فبال عليه ! فدعا بماء فنضحه ولم يغسله»**[4] .

أما الجارية فيغسل بولها ولا ينضح ، قال ابن القيم - قال إسحاق بن راهويه : مضت السنة من رسول الله ﷺ بأن يرش بول الصبي الذي لم يطعم الطعام ، ويغسل بول الجارية طعمت أو لم تطعم ، قال وعلى ذلك كان أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم ، قال . ولم يسمع عن النبي ﷺ ولا عمن بعده إلى زمان التابعين أن أحداً ساوى بين الغلام والجارية[5] .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان (٨٢) ، وأبو داود في كتاب السنة (٤٦٧٨) ، والترمذي في كتاب الإيمان (٢٦١٨) وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة (١٠٧٨)

(٢) رواه الترمذي في كتاب الإيمان حديث (٢٦٢١) ، والنسائي في كتاب الصلاة حديث (٤٦٣) ، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة حديث (١٠٧٩) ، وأحمد في مسند الأنصار حديث (٢١٥٩) .

(٣) مجموع الفتاوى ٤٣٣/١٠ .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الوضوء (٢٢٣) ، ومسلم في كتاب الطهارة (٢٨٧) .

(٥) تحفة المودود ص ١٣١ .

والأولاد يعلمون التطهر للصلاة من الحدث الأكبر والأصغر، وتعليم ذلك يقع على كاهل الآباء، فالولد إذا ميز وجب تعليمه التطهر فالصلاة وكذلك الفتاة، وقد ذكر الله تعالى التطهر للصلاة في محكم التنزيل لأهميته فقال:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[١].

فذكر ها هنا التطهر من الحدث الأصغر وهو الوضوء وفصل كيفيته بذكر الأعضاء التي تغسل والتي تمسح، وذكر التطهر من الحدث الأكبر وهو الغسل، وذكر موجبات كل، ثم ذكر التيمم إذا عدم الماء أو عجز المسلم عن استعماله.

وصفة الوضوء من السنة النبوية الشريفة ما رواه الشيخان:

أن رجلاً قال لعبدالله بن يزيد **ألا تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ ؟ فقال عبدالله بن يزيد: نعم ! فدعا بماء فأفرغ على يديه فغسل مرتين ثم مضمض واستنثر ثلاثاً، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل يديه مرتين مرتين إلى المرفقين، ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر بدأ بمقدم رأسه حتى ذهب بهما إلى قفاه ثم ردهما إلى المكان الذي بدأ منه، ثم غسل رجليه**[٢].

والإسباغ في الوضوء فضيلة يبتغيها المؤمن، وفي حديث نعيم بن عبدالله المجمر قال: «**رأيت أبا هريرة رضي الله عنه يتوضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد ثم يده اليسرى حتى أشرع في العضد ثم**

(١) سورة المائدة: الآية ٦.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الوضوء (١٨٥)، ومسلم في كتاب الطهارة (٢٣٥).

مسح رأسه ، ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع في الساق ، ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق ثم قال : هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ»[١] .

ومن خصائص الأمة المحمدية أنها تتميز عن غيرها من الأمم بخاصية الوضوء أو بخاصية الغرة والتحجيل كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «إن أمتي يأتون يوم القيامة غراً محجلين من أثر الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل»[٢] .

قال الإمام النووي : أهل اللغة الغرة بياض في جبهة الفرس ، والتحجيل بياض يديها ورجليها .

قال العلماء : سمي النور الذي يكون على مواضع الوضوء يوم القيامة غرة وتحجيلاً تشبيهاً بغرة الفَرَس ، والله أعلم[٣] .

وفي هذا قول الباري جل ذكره : ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[٤] .

أما الغسل فكما وصفته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : «كان النبي ﷺ إذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه ثم توضأ كما يتوضأ للصلاة ، ثم يدخل أصابعه في الماء فيخلل بها أصول شعره ، ثم يصب على رأسه ثلاث غرف بيديه ، ثم يفيض الماء على جلده كله»[٥] .

وهذا ما يسميه الفقهاء الغسل الكامل وهو كما في الحديث وفيه البدء بالوضوء ثم غسل الشق الأيمن ثم الأيسر ثم إفاضة الماء على سائر جسده ، وأما الغسل المجزئ فالإفاضة أو كمن يغطس في ماء كثير أو يغوص في نهر ثم يخرج .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الطهارة (٢٤٦) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الوضوء (١٣٦) ، ومسلم في كتاب الطهارة (٢٤٦) .

(٣) المنهاج ٣/١٣٨ .

(٤) سورة الحديد : الآية ١٢ .

(٥) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الغسل (٢٤٨) ، ومسلم في كتاب الحيض (٣١٦) .

- ومن أحكام الطهارة مما يخص النساء تعليم الفتيات أحكام الحيض، ولقد كان من حرص الصحابيات على تعلم ذلك لتصح عبادتهن أن كانت إحداهن تأتي إلى النبي ﷺ فتسأله عما يعن لها كما في حديث أسماء رضي الله عنها قالت: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ **فقالت: أرأيت إحدانا تحيض في الثوب كيف تصنع؟ قال: «تَحتُّه ثم تقرصه بالماء وتنضحه وتصلي فيه»**[1].

ومن أحكام الحيض أن الحُيّض والنفساء يدعن الصلاة والصوم حتى يطهرن، والحائض والنفساء تقضيان الصوم ولا تقضيان الصلاة، وفي حديث جابر بن عبدالله وأبي سعيد مرفوعاً: **«أن الحائض تدع الصلاة»**[2].

وأما النفساء فقال الترمذي: أجمع أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ والتابعين ومن بعدهم على أن النفساء تدع الصلاة أربعين يوماً إلا أن ترى الطهر قبل ذلك فإنها تغتسل وتصلى، فإذا رأت الدم بعد الأربعين فإن أكثر أهل العلم قالوا: لا تدع الصلاة بعد الأربعين[3].

وحديث أم سلمة رضي الله عنها أنها سألت النبي ﷺ: **أتصلي المرأة في درع وخمار ليس عليها إزار؟ قال: «إذا كان الدرع سابغاً يغطي ظهور قدميها»**[4].

ويستفاد من النصوص السابقة: أن الصلاة لا تصح إلا بالطهارة وأن من مسئولية الآباء تعليم الأولاد الصلاة والتطهر لها، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وأن من وسائل تعليم الأولاد وتربيتهم أسلوب القدوة بتدريبهم عملياً على كيفية الوضوء، وهو أمر في غاية الأهمية لا سيما أن الأولاد وهم في سن التعليم والإدراك مفطورون على التقليد والمحاكاة فإذا كان الأبوان يؤديان الفروض الخمسة في أوقاتها ويتطهران لذلك فإن الأولاد يترسمون خطاهما ويتبعونهما في ذلك وهو من أمثل أساليب التربية.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الوضوء (٢٢٧)، ومسلم في كتاب الطهارة (٢٩١).

(٢) رواه البخاري في كتاب الحيض باب لا تقضي الحائض الصلاة.

(٣) رواه الترمذي في كتاب الطهارة (١٣٩)، واللفظ له، وأبو داود في كتاب الطهارة (٣١٢)، وابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها (٦٤٨).

(٤) رواه أبو داود في كتاب الصلاة (٦٤٠)، ومالك في الموطأ كتاب النداء للصلاة (٢٩٥).

وإنه لمن أكبر أخطاء الأبوين إهمال الأولاد في هذا الجانب فقد يكون الوالد صالحاً في ذات نفسه لكنه لا يلزم من تحت يديه من البنين والبنات بالصلاة ، وقد يهتم بأمور المعاش من مأكل وملبس اهتماماً بالغاً ولا يحفل بما هو أهم من ذلك وهو أمر الصلاة والدين ، وكذلك الأم قد يقع منها التفريط ، فقد تبلغ الفتاة المسلمة سن التكليف بالحيض وغيره من علامات البلوغ وتمكث سنين لا تصلي ولا تعرف أحكام الحيض والطهارة والصلاة وهو تفريط مهلك من الأبوين وغفلة ، والله عز وجل سائلهما عن ذلك .

وبعد تحقق الطهارة في البدن لابد من طهارة الثوب والبقعة التي يصلى فيها ، فإذا تحقق من ذلك شرع في تعليم الأولاد الصلاة وبيان ذلك كالآتي :

وفي تعليم الأهل والأولاد الصلوات وإلزامهم بها قول الله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[1] .

وهو دأب الأنبياء والصالحين كما في قوله تعالى حكاية عن أبي الأنبياء إبراهيم الخليل أنه ابتهل إلى الله قائلاً : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾[2] .

وهذا التواصي بإقامة الصلاة بين الأب وبنيه وسؤال الله ذلك ، نراه ماثلاً في إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، قال الله تعالى عن إسماعيل : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾[3] .

وإلزام الأولاد إقام الصلاة من أعظم الأمانات التي تقع على كاهل الآباء تجاه الأولاد بعد تلقينهم العقيدة وتربيتهم عليها ، وتأمل كيف تأتي أهمية الصلاة بعد العقيدة مباشرة في الاصطبار على إقامتها وفي تربية الأولاد عليها ، وذلك في :

---

(١) سورة طه : الآية ١٣٢ .

(٢) سورة إبراهيم : الآية ٣٧ .

(٣) سورة مريم : الآيتان ٥٤ – ٥٥ .

- دعاء إبراهيم عليه السلام، وهو قوله: ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾، ثم قال: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾[1].

- ووصية لقمان لابنه إذ قال له: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾، ثم قال: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[2].

ولقد كان النبي ﷺ حريصاً على تربية الناشئة وغيرهم على إقامة الصلوات وتعهدهم بذلك، والأمثلة عليه أكثر من أن تحصر، منها:

- حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: **أتينا النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أنا اشتقنا أهلنا، وسألنا عمن تركنا في أهلنا فأخبرناه، وكان رقيقاً رحيماً، فقال: «ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم، وصلوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ثم ليؤمكم أكبركم»[3].**

- ومنها حديث أنس رضي الله عنه: **«أن جدته مليكة دعت رسول الله ﷺ لطعام صنعته له، فأكل منه ثم قال: «قوموا فلأصل لكم» قال أنس: فقمت إلى حصير لنا قد اسود من طول ما لبث، فنضحته بماء، فقام رسول الله ﷺ وصففت أنا واليتيم وراءه والعجوز من ورائنا، فصلى لنا رسول الله ﷺ ركعتين ثم انصرف»[4].**

وهكذا دأب عليه الصلاة والسلام على تربية الشباب على إقام الصلاة لترنو نفوسهم إلى معالي الأمور وليقفهم على مكانة المسلم ورسالته في الحياة من خلال التقرب إلى الله تعالى بطاعته وبأحب العمل لديه -الصلاة- التي هي عمود الدين.

---

(١) سورة إبراهيم: الآيتان ٣٥، ٤٠.

(٢) سورة لقمان: الآيتان ١٣، ١٧.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأدب (٦٠٠٨)، ومسلم في كتاب المساجد (٦٧٤) واللفظ للبخاري.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الصلاة (٣٨٠)، ومسلم في كتاب المساجد (٦٥٨).

وهذا درس عملي تطبيقي على الآباء أن يحذوا حذوه في تعليم الأولاد ذكوراً وإناثاً الصلاة وتعويدهم وتربيتهم عليها .

قال ابن حجر : وفي الحديث صحة صلاة الصبي المميز ووضوئه ، وأن محل الفضل الوارد في صلاة النافلة منفرداً حيث لا يكون هناك مصلحة كالتعليم ، بل يمكن أن يقال هو إذ ذاك أفضل ولا سيما في حقه ﷺ[1] .

ومما يجب على الآباء أن يولوه العناية بعد التربية على الصلوات المفروضة والنافلة ، التربية على الأذكار المشروعة ، عقب الصلوات أو في الأحوال العادية ، وقد أمر الله عباده بالإكثار من ذكره بكرة وأصيلا فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[2] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : لم يعذر أحد في ترك ذكر الله إلا من غلب على عقله[3] .

وامتدح الله سبحانه عباده المتصفين بهذه الصفة الجليلة وهي ذكره تعالى على كل الأحوال الشريفة بشتى أصناف الذكر ، وأفضل ذلك تلاوة كتابه فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾[4] ، وقال : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[5] .

ونوه بالأوقات الفاضلة للاستغفار والذكر فقال : ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾[6] . وقال جل ذكره :

(١) الفتح ٤٩١/١ .

(٢) سورة الأحزاب : الآيتان ٤١ ، ٤٢ .

(٣) تفسير القرطبي ١٩٧/١٤ .

(٤) سورة فاطر : الآية ٢٩ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ١٩١ .

(٦) سورة آل عمران : الآية ١٧ .

﴿... إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[١] .

إن إقامة الصلوات بكامل أركانها وشروطها لا يتأتى إلا بالرغبة فيها والحرص على أدائها كاملة غير ناقصة ، والحرص مع ذلك على تحري الأوقات الفاضلة وعلى أن يكون المسلم كثير الذكر والشكر لربه عز وجل ، وكل ذلك لا يتأتى على الوجه الأتم إلا بالإيمان به والقناعة بأهميته والرغبة الذاتية فيه ، وهو ما يعمل الآباء بدأب وحرص على غرسه في نفوس وقلوب الأولاد . ومن الأذكار المشروعة الأذكار التي سنها النبي ﷺ ، عقب الصلوات المفروضة .

وأما الأذكار الأخرى التي ينبغي تعليم الأولاد إياها فكثيرة منها أذكار الطعام والشراب ، وأذكار النوم والاستيقاظ ، وأذكار ركوب الدابة والخروج من المنزل ، وأذكار قضاء الحاجة ، وأذكار قيام الليل مما يحرص عليها المسلم بشكل يومي وسيأتي ذكرها في المبحث الثالث إن شاء الله ، وأورد فيما يلي ما يسمح به المقام :

– حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **«من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين ، فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء»**[٢] .

– حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **«أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، لا يضرك بأيهن بدأت»**[٣] .

---

(١) سورة الذاريات : الآيات ١٦ – ١٨ .

(٢) رواه الترمذي في كتاب الطهارة (٥٠) ، والنسائي في كتاب الطهارة (١٤٨) ، وابن ماجه في كتاب الطهارة (٤٧٠) .

(٣)رواه البخاري تعليقاً في كتاب الإيمان ، ومسلم في كتاب الآداب (٢١٣٧) ، وأحمد في مسند البصريين (١٩٢٤٨) واللفظ لمسلم .

– ما رواه قتادة قال سألت أنساً أي دعوة كان يدعو بها النبي ﷺ أكثر؟ قال: كان أكثر دعوة يدعو بها يقول: «**اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**»[1].

– حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له لهُ الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك، ومن قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر**»[2].

– في حديث الأغر المزني أن رسول الله ﷺ قال: «**إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**». ولفظ البخاري: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»[3].

– وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «**يا أبا موسى ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة**»؟ قلت: ما هي يا رسول الله؟ قال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**»[4].

– في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً عن النبي ﷺ قال: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»[5].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الدعوات (٦٣٨٩)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء (٢٦٩٠) واللفظ لمسلم.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب بدء الخلق (٣٢٩٣)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء حديث رقم (٢٦٩١) واللفظ لمسلم.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الدعوات (٦٣٠٧)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء (٢٠٧٥) واللفظ لمسلم.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الدعوات (٦٤٠٩)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء (٢٧٠٤).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب التوحيد (٧٥٦٣)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء (٢٦٩٤).

وهناك أدعية أخرى كثيرة بحسب الأحوال ، على المسلم تعلمها وسؤال أهل العلم عنها ، لاسيما الأدعية الواردة في القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة .

وقد أورد الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء ما هو أنفس من الدرر فطالعه أكرمك الله واحفظه والزمه وعلمه أهلك وولدك تفز ! .

– التربية على إيتاء الزكاة :

الزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله تعالى ، وذلك في غير ما آية مثل قول الباري جل ذكره :

– في الأمر بها : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[1] .

– وفي مدح القائمين بها : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[2] .

– وفي بيان أجرها العظيم : ﴿ . . . وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[3] .

– وفي أنها أمارة الإيمان والإسلام : ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ . . . ﴾[4] .

قال قتادة : الناس ثلاثة رهط : مسلم عليه الزكاة ، ومشرك عليه الجزية وصاحب حرب يأمن بتجارته في المسلمين إذا أعطى عشور ماله[5] .

– وفي أنها من أصول الدين التي اتفقت عليها شرائع الرسل والنبيين ، في قصة عيسى عليه السلام : ﴿ . . . وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[6] ، وفي

---

(١) سورة البقرة : الآية ٤٣ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٧٧ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٦٢ .

(٤) سورة التوبة : الآية ١١ .

(٥) تفسير الطبري ١٣٦/١٤ .

(٦) سورة مريم : الآية ٣١ .

قصة إسماعيل عليه السلام : ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾[1] ، وعن عامة النبيين : ﴿ . . . وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾[2] .

قال الإمام السعدي : عطف الصلاة والزكاة على الخيرات وهو من عطف الخاص على العام لشرف هاتين العبادتين وفضلهما ولأن من كمّلهما كما أمر كان قائماً بدينه ومن ضيعهما كان لما سواهما أضيع ، ولأن الزكاة أفضل الأعمال التي فيها الإحسان إلى خلقه[3] .

– وفي أن الزكاة تستوجب رحمة الله : ﴿ . . . قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾[4] .

– وفي صفة المتقين المهتدين : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ . . . ﴾[5] .

– وفي وصف النساء الصالحات القانتات : ﴿ . . . وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ . . . ﴾ .[6]

والنصوص في فضل الزكاة وأهميتها في استقرار الحياة الاجتماعية وعظيم آثارها الأخروية أكثر من أن تحصر ، ولئن كانت الزكاة بهذه المثابة من الأهمية والمكانة والفضل ، كان تربية المسلم عليها منذ صباه مقصداً شرعياً لتسهل عليه حال الكبر وليقوم بها عن رغبة ذاتية وقناعة وإيمان .

(١) سورة مريم : الآية ٥٥ .
(٢) سورة الأنبياء : الآية ٧٣ .
(٣) تيسير الكريم الرحمن ١٢٢/٥ .
(٤) سورة الأعراف : الآية ١٥٦ .
(٥) سورة الحج : الآية ٤١ .
(٦) سورة الأحزاب : الآية ٣٣ .

وتربية الولد على الزكاة الحسية والمعنوية مقصد تربوي من أوليات المقاصد التي يقع على كاهل الآباء تحقيقها ، وتربيته عليها تغرس في نفسه الرحمة بالمساكين والعطف على الفقراء والمحتاجين ، ويرغبه في صلة الرحم وإيتاء ذي القربى حقه ، وأن خير الناس أخيرهم للناس ، تلك أخلاقيات الزكاة التي يزرعها الإسلام في المسلم ، إذ يشعره بالشعور الجمعي المبني على أن المجتمع الإسلامي بنيان واحد يسوده التعاطف والتواد والتراحم لا فرق في ذلك بين كبير وصغير ولا بين قوي وضعيف ولا بين حاكم ومحكوم .

ومن الأساليب التي ينبغي أن يسلكها الأبوان في غرس تلك المعاني الإسلامية والقيم الأخلاقية في نفس الولد :

– تعريفه بحياة الفقر والفقراء والبؤساء ، وأن من المحتاجين من يبيت بلا مأوى وبلا كساء ، ومنهم من يبيت طاوياً بلا عشاء ، ومنهم اليتيم المقهور والبائس الفقير والغارم والأرملة وابن السبيل ، والمشرد والمستضعف . . . إلخ .

وتبصير الولدان بذلك على اختلاف وسائل الإعلام المتاحة ينمي لديهم الإحساس بحاجات البؤساء والمعوزين وكما قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[1] ، وقال : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾[2] .

– تدريبه عملياً على إيتاء الزكاة وذلك بأن يعطي المساكين والمستحقين الزكاة والصدقة على سبيل المناولة ، إذ يحس عندئذ وهو يباشر التصدق بأنه كيان له شخصيته واعتباره وأنه فرد في المجتمع له دوره وسمته ، ويتعلم من خلال ذلك معاني العطاء والتراحم والتعاطف والتعاضد الذي يسود المسلمين ، حين يعطف بعضهم على بعض ويرحم غنيهم فقيرهم لا طلباً لمقابل بل عملا

(١) سورة الضحى : الآيات ٩-١١ .

(٢) سورة الإنسان : الآية ٨ .

بأخلاق الإسلام : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾[1] ، وينبغي للأبوين أن يتفطنا إلى ذلك ولا يهملا هذا الجانب التدريبي الذي سيكون امتداداً لمستقبل حياة الولد .

ومما يعزز هذا الجانب الذي يزرع في الولد معنى المرحمة إيجاب الشرع الزكاة في مال الصغير الغني كإيجابها في مال البالغ المكلف ، ومثل ذلك مال الكبير الخرف والمعتوه ، إذ أن زكاة المال ليست منحصرة في أموال المكلفين ، وهو قول جمهور الفقهاء[2] .

- تنمية إيمان الولد باليوم الآخر ، وتربيته على أن ما ينفقه المسلم يبتغي به وجه الله فإنه يدخر له ليوم التغابن ، قال إبراهيم بن أدهم في قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ : نعم القوم السؤال! يحملون زادنا إلى الآخرة .

وقال إبراهيم النخعي : السائل بريد الآخرة يجيء إلى باب أحدكم فيقول : أتبعثون إلى أهليكم بشيء ؟![3] .

- التربية على الصيام :

الصيام جنة ، والصيام تربية للنفس على مكارم الأخلاق وضبط شهوات النفس ، وكبح جماح النفس وتوجيهها نحو الخير والفضيلة ، والصيام مبدأ أصيل من مبادئ التربية ، وحسبنا في فضل صيام رمضان أنه يكفر السيئات ويرفع الدرجات كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ : «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[4] .

---

(١) سورة الإنسان : الآية ٩ .

(٢) انظر المغني لابن قدامة ٦٩/٤ المسألة (٤١٦) ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٤٤/٢٥ .

(٣) تفسير أبي السعود ١٧١/٩ .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الإيمان (٣٨) ومسلم في كتاب صلاة المسافرين (٧٦٠) .

وصوم يوم من أي أيام السنة يباعد الله به وجه المسلم عن النار سبعين خريفاً كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «من صام يوما في سبيل الله بعّد الله وجهه عن النار سبعين خريفا»[1] .

وكما أن من فضائل الصوم التجافي عن عذاب السعير فإن عظم الأجر والمثوبة من لوازمه وهو أمر مطرد في الصوم بحسب ما يحققه الصائم من الإخلاص لله عز وجل وفي الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : قال الله عز وجل : «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فهو لي وأنا أجزي به فوالذي نفس محمد بيده لخلفة فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»[2] .

وإذا ذكر صوم رمضان ذكر معه قرينه وهو القيام الذي هو دأب الصالحين وسنة المتقين وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[3] .

ولئن كان لشهر الصوم في حياة المسلم مكانة خاصة وروحانية لا يعرفها غيره ، فإن الطفل المسلم يربى على هذه الفريضة منذ سن التمييز كي يتمرس على ضبط النفس وكفها عن المأكل والمشرب والجهل والكذب وسائر ما ينتهي عنه الصائم ، وليسهل عليه حال الكبر صيام رمضان وقيامه ، وتأمل المقاصد الأخلاقية في الصوم المذكورة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «إذا أصبح أحدكم يوماً صائماً فلا يرفث ولا يجهل فإن امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل إني صائم إني صائم!»[4] .

وليس أوفق من (التدرج) في تربية الأولاد على الصوم ، ولقد شرعت فريضة الصيام بالتدرج على أربع مراحل :

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الجهاد حديث (٢٨٤٠) ، ومسلم في كتاب الصيام (١١٥٣) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الصوم حديث (١٨٩٤) ، ومسلم في كتاب الصيام (١١٥١) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الإيمان حديث (٣٧) ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين حديث رقم (٧٥٩) .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الصوم (١٨٩٤) ، ومسلم في كتاب الصيام (١١٥١) .

١- ترسيخ التوحيد والدعوة إليه وترسيخ كافة أمور العقيدة، طيلة العهد المكي، ولم يفرض في هذه الحقبة من أحكام الشريعة شيء سوى الصلاة، وفي قول: والزكاة.

٢- الترغيب في صوم يوم واحد فقط في العام وهو يوم عاشوراء مع الحض عليه وعدم التهاون فيه، وتوضح ذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بقولها: **«كان رسول الله ﷺ يأمر بصيامه قبل أن يفرض رمضان فلما فرض رمضان كان من شاء صام يوم عاشوراء ومن شاء أفطر»**(١).

ويقول جابر بن سمرة رضي الله عنه: **«كان رسول الله ﷺ يأمرنا بصيام يوم عاشوراء ويحثنا عليه ويتعاهدنا عنده، فلما فرض رمضان لم يأمرنا ولم ينهنا ولم يتعاهدنا عنده»**(٢).

٣- استحباب صوم رمضان من غير إيجاب، فمن شاء صام ومن شاء أفطر وفدى.

وفي هذا حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: **«لما نزلت هذه الآية: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾(٣) كان من أراد أن يفطر ويفتدي، حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها»**(٤).

وفي رواية أخرى عند مسلم عنه رضي الله عنه: **«كنا في رمضان على عهد رسول الله ﷺ من شاء صام ومن شاء أفطر فافتدى بطعام مسكين حتى أنزلت هذه الآية: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾(٥)**.

٤- وجوب صيام رمضان بشرط الإفطار عند غروب الشمس فمن لم يتمكن فعليه متابعة الصيام إلى غروب الشمس من اليوم التالي! ويوضح ذلك البراء رضي الله عنه

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الصوم (٢٠٠١)، ومسلم في كتاب الصيام (١١٢٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الصوم (١٨٩٣)، ومسلم في كتاب الصيام (١١٢٨).

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٤.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن (٤٥٠٧)، ومسلم في كتاب الصيام (١١٤٥).

(٥) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

بقوله : «كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي ، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها : أعندك طعام؟ قالت : لا ولكن أنطلق فأطلب لك ، وكان يومه يعمل فغلبته عيناه ، فجاءته امرأته فلما رأته قالت : خيبة لك! فلما انتصف النهار غشي عليه ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ﴾[1] ، ففرحوا بها فرحاً شديداً ، ونزلت : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾[2]»[3] .

فيؤخذ الطفل المميز القادر على الصيام بالتدرج على هذا النحو صوم يوم ثم بعد فترة صوم يومين ثم أكثر مع إيجاد الحوافز المشجعة والملهيات المشروعة لإلهائه عن حرقة الجوع ساعات الصيام ، حتى إذا كبر سهل عليه الصوم ورغب فيه وأحبه .

وتقع على الأم المسلمة مسئولية تربية الطفل وتعويده على الصيام إذا أطاقه في سن التمييز وفي مرحلة ما قبل البلوغ ، وهذا راجع إلى فطنتها وكياستها وحسن تدبيرها ، ولنتأمل ما كانت تقوم به الأمهات في هذا الصدد على عهد النبي ﷺ :

تقول الربيع بنت معوذ رضي الله عنها : أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار : «من أصبح مفطراً فليتم بقية يومه ومن أصبح صائماً فليصم» قالت : فكنا نصومه ونصوم صبياننا ، ونجعل لهم اللعبة من العهن (أي من الصوف) فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار[4] .

---

(١) ، (٢) سورة البقرة : الآية ١٨٧ .

(٣) رواه البخاري في كتاب الصوم (١٩١٥) ، وأبو داود في كتاب الصوم (٢٣١٤) ، والترمذي في كتاب التفسير (٢٨٩٤) ، والنسائي في كتاب الصيام (٢١٦٨) ، وأحمد في مسند الكوفيين (١٧٨٧٠) .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الصوم (١٩٦٠) ، ومسلم في كتاب الصوم (١١٣٦) .

قال ابن حجر : الجمهور على أنه لا يجب الصيام على من دون البلوغ ، واستحب جماعة من السلف منهم ابن سيرين والزهري ، وقال به الشافعي أنهم يؤمرون به للتمرين عليه إذا أطاقوه ، وحدّه أصحابه بالسبع والعشر كالصلاة ، وحدّه إسحاق باثنتي عشرة سنة ، وأحمد في رواية بعشر سنين ، وقال الأوزاعي إذا أطاق صوم ثلاثة أيام تباعاً لا يضعف فيهن حمل على الصوم[1] .

ومن الأساليب التي تترك أثراً بينا في مشاعر الطفل ومداركه الإفطار الجماعي وتهيئة مائدة الإفطار والأدعية المأثورة التي يقولها المفطرون عند الإفطار ، ومظاهر البهجة في رمضان ومنها مدفع الإفطار ومدافع العيد وملابسه الجديدة التي درج عليها الناس وأيضاً اصطحاب الأب الأبناء إلى المسجد لصلاة الليل وهي (صلاة التراويح) ، وكل هذه المظاهر تسكب في روع الأولاد بهجة وحبوراً وسروراً ويرونها بمنظار لا يراها به الكبار !! فتراهم يقبلون على الصيام بنفس منشرحة ورغبة وتنافس ، وإن واكب هذا من الأبوين تشجيعاً وحثاً وحضا تَكاملَ أسلوب الترغيب في تربية الأولاد على شعيرة الصيام .

- التربية على مناسك الحج :

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام ، وفرضيته مشروطة بالاستطاعة قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] .

والحج عبادة مالية بدنية سماه النبي ﷺ : جهاداً ، قالت : أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها للنبي ﷺ : نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ قال : «لا . **لكن أفضل الجهاد حج مبرور**»[3] .

---

(١) الفتح ٤/٢٠٠ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٩٧ .

(٣) رواه البخاري في كتاب الحج (١٥٢٠) والنسائي في كتاب مناسك الحج (٢٦٢٨) وابن ماجه في كتاب المناسك حديث رقم (٢٩٠١) .

ومن فضائل الحج أنه من الأعمال الجليلة التي تلي مرتبة الجهاد في سبيل الله مع ما للجهاد من مكانة عالية ومنزلة سنية ولما سئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل قال : **«إيمان بالله ورسوله»** قيل : ثم ماذا؟ قال : **«جهاد في سبيل الله»** قيل : ثم ماذا؟ قال : **«حج مبرور»**[1] .

والحج رحلة تربوية تغرس في الحاج مكارم الأخلاق وتزرع فيه تقوى الله تعالى واستشعار حرماته وتعظيم شعائره ، وكل ذلك مقصد تربوي يسعى إلى تحقيقه الآباء في تربية الأولاد ، بالتعليم والتبصير ، وبالتنوير والتلقين منذ الصبا ، تأمل قول الله تعالى : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ . . . ﴾[2] .

وهكذا يكون الحاج في ميدان تطبيقي لمفهوم التقوى فهو يتجرد من الملذات والشهوات ويعمل على تجنب الفسوق بكل صوره وأسبابه ولا يجادل ولا يخاصم وإنما يسالم ليعيش جواً إيمانياً تربوياً فريداً طيلة أيام نسكه ، ليتمرس على ضبط النفس وكبح جماحها وأطرها على الحق أطرا حتى يسلس قيادها ، وهذا ملاحظ أيضاً في محظورات الإحرام إذ يتجنب الحاج والمعتمر الصيد البري والطيب والجماع ودواعيه وغير ذلك من المحظورات ، كما يتجنب الرجال لبس المخيط والمرأة الزينة .

- ومن النصوص الحاضة على أن يعيش الحاج هذا الجو التربوي ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : **«من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»**[3] ، وفي حديث آخر عنه : **«من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»**[4] .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الحج (١٥١٩) ، ومسلم في كتاب الإيمان حديث (٨٣) .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٩٧ .

(٣)متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الحج (١٨٢٠) واللفظ له ، ومسلم في كتاب الحج (١٣٥٠) .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الحج (١٥٢١) ، ومسلم في كتاب الحج (١٣٥٠) .

إن تربية الأولاد على التقوى مقصد تربوي جليل والعبادات كلها فرضها ونفلها تغرس في المسلم وازع التقوى وتحضه على التحلي بالفضائل فالتبري من الرذائل ، والحج يحقق ذلك ويعين عليه إذ يربط المسلم بروابط التقوى من أول يوم يحرم فيه بنسكه .

والتقوى ملحظ يتجلى في الحج أكثر من غيره من العبادات ، فالحج عبادة مالية بدنية ، والحج رحلة تربوية عملية ، وتأمل قول الله تعالى : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1] .

- ومن المقاصد التربوية في الحج تعظيم حرمات الله وتعظيم شعائر الله ، ومراعاة حرمة البيت والمشاعر ومراعاة قدسية الحرمين الشريفين ، ومن ثم احترام مقدسات المسلمين ، وليعرف المسلم ذلك ويلقنه منذ الصغر فهو جزء من عقيدة المسلم ، قال الله تعالى بعد أن ذكر مناسك الحج : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ . . . ﴾[2] .

وقال بعد أن ذكر التوحيد وبين عاقبة الشرك : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[3] .

ومن السنة في تعظيم حرمة البيت حديث ابن العباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : **«إن هذا البلد حرمه الله لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها»**[4] .

ولئن كانت مكة حرماً آمناً كما في قول الباري جل ذكره :

(١) سورة البقرة : الآية ١٩٧ .

(٢) سورة الحج : الآية ٣٠ .

(٣)سورة الحج : الآية ٣٢ .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الحج (١٥٨٧) ، ومسلم في كتاب الحج حديث (١٣٥٣) .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ . . .﴾[1] ، فإن المدينة النبوية -كذلك- حرم ، وحرمتها كحرمة مكة وذلك في حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «اللهم إني أحرم ما بين لابتيها كتحريم إبراهيم مكة ، اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا»[2] .

- ومن الأمور المعينة على تربية الولد على تعظيم حرمات الله وشعائر الله بعد تعليمه وتبصيره ، تمرينه العملي على أداء مناسك الحج والعمرة ، وإن لم يكن واجباً على من هم دون البلوغ من البنين والبنات إلا أن حجهم إن حجوا صحيح يؤجرون عليه كما يؤجر عليه الأبوان القائمان بذلك ، ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة رفعت صبياً إلى النبي ﷺ فقالت : ألهذا حج؟ قال : «نعم . ولكِ أجر»[3] .

ولقد حج النبي ﷺ وحج معه كثير من أبناء الصحابة من الشباب الصغار كعبدالله بن العباس والفضل بن العباس وابن عمر رضي الله عنهم جميعاً .

وهذا يدل على أن الأولاد منذ سن التمييز إلى ما قبل البلوغ يشرع في حقهم الحج ، وأن يدربوا عليه ويبصروا بمراميه ومقاصده التي تجتمع في التقوى ، وإن كان حج الصغير لا يسقط عنه حجة الإسلام الواجبة بعد البلوغ المقرون بالاستطاعة .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية ٦٧ .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الجهاد حديث (٢٨٨٩) ، ومسلم في كتاب الحج حديث رقم (١٣٦٥) .

(٣) رواه مسلم في كتاب الحج (١٣٣٦) ، وأبو داود في كتاب المناسك (١٧٣٦) ، والنسائي في كتاب مناسك الحج (٢٦٤٥) ، وأحمد في مسند بني شيبة (١٨٠٠) .

- التربية والتنشئة على أركان الإيمان :

الإيمان واسع المضمون كثير الشعب ، أسسه ستة كما قال الله تعالى : في وصف النبي ﷺ والمؤمنين : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾(1) ، وكما قال في وصف الكفار والضالين : ﴿ ... وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾(2) .

وقال النبي ﷺ : «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(3) .

فأركان الإيمان ستة هي المذكورة في النصوص الشرعية السابقة .

- الركن الأول : الإيمان بالله عز وجل :

وهو أعظم الأركان وعليه تنبني الأركان الأخرى ، والإيمان به عز وجل هو توحيده في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات ، والتبرؤ عن كل ما ينافي توحيده ويناقض الإخلاص له ، فهو سبحانه كما قال : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾(4) ، وقال ﴿ ... أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ... ﴾(5) ، ﴿ ... لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(6) ، فلا إله غيره ولا رب سواه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ، والإيمان بصفاته عز وجل كما أخبر بها ، مما يليق بكبريائه وجلاله من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل .

---

(1) سورة البقرة : الآية ٢٨٥ .

(2) سورة النساء : الآية ١٣٦ .

(3) متفق عليه ، وقد تقدم ص ٧٧ .

(4) سورة الإخلاص .

(5) سورة الأنعام : الآية ١٠١ .

(6) سورة الشورى : الآية ١١ .

- الركن الثاني : الإيمان بالملائكة :

وهم خلق من خلق الله عز وجل ، عباد مكرمون : ﴿ ... لَا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[1] ، موكلون بأعمال كثيرة منها ما قصه الله علينا كالكرام الكاتبين والموكلين بالسحب والرياح والأمطار ، وقبض الأرواح ... وفق المقادير التي قدرها الله ، ومنها ما لم يقصص ، والإيمان بهم واجب .

- الركن الثالث : الإيمان بالكتب السماوية :

وهي المنزلة على رسل الله لهداية الناس وإخراجهم بإذن الله ومشيئته من الظلمات إلى النور ، ومن الضلال إلى الرشد ومن الجهل والعمى إلى العلم والبصيرة .

وكُتُب الله تعالى هي : صحف إبراهيم ، والتوراة المنزلة على موسى ، والزبور المنزل على داود ، والإنجيل المنزل على عيسى ، والقرآن العظيم وهو آخرها والمهيمن على ما فيها المنزل على خاتم النبيين نبينا محمد عليه وعلى إخوانه النبيين والمرسلين أفضل الصلاة والتسليم .

قال تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾[2] ، وقال : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ... ﴾[3] ، وقال : ﴿ ... وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[4] ، وقال : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[5] ، وقال عن القرآن العظيم : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ ... ﴾[6] .

والقرآن العظيم هو المعجزة الباقية الخالدة للنبي ﷺ على مر العصور وتعاقب

---

(١) سورة التحريم : الآية ٦ .

(٢) سورة الأعلى : الآيتان ١٨ - ١٩ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٤٤ .

(٤) سورة النساء : الآية ١٦٣ .

(٥) سورة المائدة : الآية ٤٦ .

(٦) سورة المائدة : الآية ٤٨ .

الأجيال ، وعلى اختلاف أوجه الإعجاز القرآني : الإعجاز البلاغي اللغوي ، والتشريعي ، والتاريخي ، والغيبي ، والعلمي .

ومن أساليب تعليم الأولاد ذلك في سن الصبا أسلوب القصة التي تعطي الأولاد معلومات مشوقة عن كتب الله وتنزلها ، والوحي وكيفيته ومقاصده وأنه من مظاهر رحمة الله بعباده إذ لم يخلقهم عبثاً ولن يتركهم سدى ، وتبين كتب الله مصير من يؤمن بها وعاقبة من يكفر بها .

وإن من أجل مقاصد تربية الأولاد على الإيمان بكتب الله ، التربية على محبة القرآن العظيم محبة صادقة عميقة تستحوذ على مشاعر الولد وتشده إلى كتاب الله شداً إيمانياً عميقاً ، بغرس قيمة هذا الكتاب المعجز وقيمه في قلبه وعقله وأنه مصدر عزه وسؤدده وسبب فلاحه ونجاحه كي يقبل على حفظه وتلاوته وتدبره وتطبيقه ، بحب وثيق وإيمان عميق ، وبهذا يكونون ربانيين هادين مهديين ، ومن الله التوفيق والتسديد .

– الركن الرابع : الإيمان بالرسل :

رسل الله تعالى عباد مكرمون ، صفوة الناس خَلقاً وخُلقاً وإيماناً وزكاة ، اجتباهم الله تبارك وتعالى واصطفاهم –وهو أعلم حيث يجعل رسالته– ليكونوا قدوة الناس وأسوتهم في التمسك بكل خير وفضيلة واجتناب كل شر ورذيلة ، لذا كانوا كما قال الله تعالى : ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ . . . ﴾[1] .

وكانوا رجالاً أفذاذاً يتسمون بمؤهلات القيادة والريادة والإرشاد والمحاجة والتوجيه قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ . . . ﴾[2]

وجميعهم دعوا إلى الإسلام –دين الله الذي لا يقبل دينا سواه– قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[3] .

(١) سورة النساء : الآية ١٦٥ .

(٢) سورة يوسف : الآية ١٠٩ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ٢٥ .

وفي قصص النبيين والمرسلين مادة تربوية ثرّة تنمي لدى الولد مداركه العقلية وتوجه طاقاته العاطفية نحو الخير ، وتبصره بأخلاق المسلم والداعية ، وتعمق لديه الإيمان بالله تعالى وحبه والولاء له والرغبة فيه والدعوة إليه ، كما تنفره من الكفر والفسوق والعصيان . قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴾ الآية[1] .

ومن مسئوليات الأبوين تثقيف الأولاد بقصص القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة لا سيما قصص النبيين بذكر قصة كل نبي وما دعا إليه وما لاقاه من قومه من عنت وصدود وما ترتب على كفر الكافرين به ، وكيف أن العاقبة إنما تكون للمتقين ، وقصصهم حافلة بالدروس والعبر والعظات البالغات التي تناسب جميع فئات المجتمع على اختلاف الثقافات والأعمار والمدارك .

- الركن الخامس : الإيمان باليوم الآخر :

هو قرين الإيمان بالله تعالى في القرآن العظيم ، قال تعالى في بيان مضمون الدعوة إلى الله : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[2] .

وقال في بيان شروط الفوز بالجنة والنجاة من النار : ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[3]

وقال في مجاهدة الكفرة : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾[4] ، والنصوص في هذا كثيرة جداً .

ومن ثمرات الإيمان بالله واليوم الآخر ، الخوف من الله تعالى والخشية منه جل وعلا ، وهو مقصد تربوي يتوخاه المربون في تربية الولد كي ينشأ وضميره حي يقظ ، وحسه الإيماني مرهف وقاد ! وليس يتأتى ذلك على الوجه الأكمل إلا بالإيمان بيوم المعاد وما فيه من حساب وجزاء وجنة ونار .

---

(١) سورة يوسف : الآية ١١١ .

(٢) سورة العنكبوت : الآية ٣٦ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٦٢ .

(٤) سورة التوبة : الآية ٢٩ .

ومن القصص النيرة في هذا قصة الفتاة التي قالت لها أمها قومي وامذقي اللبن بالماء ، قالت إن عمر نهى عن ذلك . قالت : وأين عمر؟ إنه لا يرانا ، قالت الفتاة : إن كان عمر لا يرانا فإن الله يرانا ، وسمع عمر هذا الحوار الذي دار بين الأم وابنتها وهو يعس من الليل فخطب الفتاة لابنه عاصم ، وكان من نسلهما خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبدالعزيز .

وهكذا فإن تربية الأولاد على مخافة الله تثمر أينع الثمار وما التوفيق إلا من الله الكبير المتعال .

- الركن السادس : الإيمان بالقدر :

هو الركن السادس المتمم لأركان الإيمان ، وفيه قول الباري جل وعلا : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾[1] ، وقال : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[2] ، وقال : ﴿ ... وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ... ﴾[3] .

ولقد كان السلف الصالح يحرصون على تربية أولادهم على الإيمان بأقدار الله ويتحينون لذلك الفرص المناسبة لغرس ذلك في عقولهم وقلوبهم وليعلموا أن ما يجري في الكون فإنما هو بمشيئة الله وإرادته وتدبيره ، من ذلك قصة عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه : يا بني ! إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب ! قال : يا رب وماذا أكتب؟! قال : اكتب مقاديركل شيء حتى تقوم الساعة» . يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من مات على غير هذا فليس مني»[4] .

(١) سورة الفرقان : الآية ٢ .

(٢) سورة القمر : الآية ٤٩ .

(٣) سورة الرعد : الآية ٨ .

(٤) رواه أبو داود في كتاب السنة حديث رقم (٤٧٠٠) وابن ماجه في المقدمة حديث (٧٧) .

وأيضاً حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ : «**إن الله قد علم أهل الجنة من أهل النار وما يعمله العباد قبل أن يعملوه**»(١) .

وفى حديث عمر رضي الله عنه قال : قام فينا النبي ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم ، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه(٢) .

ومن ثمرات الإيمان بأقدار الله تخفيف وقع المصائب على النفس ، وأيضاً الاتزان إبان المسرات ، على حد قول الباري جل ذكره : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾(٣) .

والولد كغيره من أفراد الأسرة معرض للأفراح والأتراح فلئن كانت تربيته على الإيمان بأقدار الله والتسليم لأمر الله ومشيئته كان متزناً رابط الجأش صبوراً ، لا تذهله المصائب والنوائب ولا تبطره النعمة والدعة . وهذا مقصد تربوي جليل .

- التربية على مرتبة الإحسان :

الإحسان أعلى مراتب الدين ، وذروة سنام الإسلام ، ولا يصل مرتبة الإحسان إلا المسلم الصادق الإيمان ، من زكت نفسه بصنوف العبادات المفروضة والمسنونة ، وصفا قلبه عن الأدواء المهلكة كالشح والحقد والضغينة . . . وكثر خيره وبره وانحسر شره وكان عاملاً بقوله تعالى : ﴿ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾(٤) ، وفاز من ثم بمعية الله تعالى ومحبته جل وعز : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾(٥) .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب القدر حديث (٦٥٩٦) ، ومسلم في كتاب القدر حديث (٢٦٤٩) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب بدء الخلق حديث رقم (٣١٩٢) واللفظ له ، ومسلم في كتاب الفتن حديث رقم (٢٨٩١) .

(٣) سورة الحديد : الآية ٢٣ .

(٤) سورة القصص : الآية ٧٧ .

(٥) سورة النحل : الآية ١٢٨ .

وينبغي أن يأخذ الإحسان في تربية الولد مدى بعيداً ، بحيث يسلك به مسلك الرشد في كل شئونه ، كما في حديث شداد بن أوس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**»[1] .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الصيد والذبائح حديث رقم (١٩٥٥) ، والترمذي في كتاب الديات حديث رقم (١٤٠٩) ، والنسائي في كتاب الضحايا حديث رقم (٤٤٠٥) ، وأبو داود في كتاب الضحايا حديث رقم (٢٨١٦) ، وابن ماجه في كتاب الذبائح حديث (٣١٧٠) .

المبحث الثالث : التنشئة على مستلزمات العقيدة

العقيدة الإسلامية على ما سبق بيانه من مراتب الدين ، تستلزم أموراً كثيرة ، وتقتضي لوازم هي ثوابت الدين ، وهي أسس التربية الإسلامية وقواعد التنشئة على حب الله وحب رسوله ﷺ .

ولعل من أهم وأبرز لوازم التربية على الإيمان ما أجمله في الفقرات التالية :

أ - العمل الصالح :

من أصول أهل السنة والجماعة أن العمل الصالح يدخل في مسمى الإيمان فلابد مع الإيمان من العمل الصالح ، وعليه فالإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي ، وعلى هذا المفهوم ينبغي أن تكون تربية الآباء وتنشئتهم الأولاد ، توخياً لمنهج السلف في الاعتقاد ووقاية من الانحراف العقدي .

تأمل قول الله تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾[1] . وقوله : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[2] . وقال : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾[3] . وقال : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾[4] فذكر في هذه الآيات البينات الإيمان الذي ينتفع به صاحبه مقترناً بالعمل الصالح .

ومن أسس التربية الإيمانية التي ينبغي أن تقوم عليها تنشئة الأولاد ، تعميق الوعي بمفاهيم الإيمان ، ومن ذلك :

---

(١) سورة طه : الآية ٨٢ .

(٢) سورة النحل : الآية ٩٧ .

(٣) سورة الإسراء : الآية ١٩ .

(٤) سورة الأحقاف : الآية ١٩ .

- أن الإيمان كما يشمل العمل الصالح على نحو ما سبق تقريره ، فإن العمل الصالح يشمل العبادات كما يشمل المعاملات ، أما العبادات فكما في قوله تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[1] .

وأما المعاملات فكما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : **«أتدرون من المفلس»؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، قال : «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ! فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»**[2] .

- والمعاملات لا تنحصر في التعامل مع بني الإنسان بل تتجاوزه إلى البهائم والعجماوات كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : **«دخلت النار امرأة في هرة حبستها لا أطعمتها ولا سقتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض»**[3] .

وكذلك تتضمن كل ما في وسع الإنسان عمله لخير الغير مما حوله من مظاهر الكون ، ومن الأمثلة عليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **«بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له»**[4] . وإن تربية الناشئة على هذا يجعلهم أعضاء صالحين في المجتمع يكثر خيرهم ويقل شرهم ويعم النفع بهم .

---

(١) سورة الحجر : الآية ٩٩ .

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة (٢٥٨١) واللفظ له ، والترمذي في كتاب صفة القيامة (٢٣٤٢) وأحمد في مسند المكثرين (٧٦٨٦) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب بدء الخلق حديث (٣٣١٨) ، ومسلم في كتاب السلام حديث (٢٢٤٢) .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأذان (٦٥٤) ، ومسلم في كتاب الإمارة (١٩١٤) .

ب - حب الله تعالى ورسوله ﷺ :

وهو مطلب تربوي في غاية الأهمية لا سيما أنه قد أصبح الأولاد في عصرنا هدفاً للغزو الفكري الشرس الذي يرمي إلى اجتثاث الإيمان من قلوب الناشئة بشتى الوسائل والأساليب ببث الشبهة وتزيين الشهوة بالإغواء والإغراء ! حتى يصبحوا رويداً رويداً من الكارهين للدين الصادين عن سبيل الله الراغبين عن هديه والعياذ بالله !

وكما حذرنا الله تعالى من ذلك فقال : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ . . . ﴾[1] وبعد أن حذر من مكر اليهود والنصارى وأساليبهم في إغواء المسلمين ، أمر بأعظم ما يحصن المسلم من نزغات الشياطين وهو إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فقال : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[2] .

فالولد ينبغي أن يربى على حب الله ورسوله ﷺ ، كي يكون قوي الإيمان صلب الإرادة لا يتزعزع في الفتن ولا يضطرب إبان المحن ، وحب الله ورسوله ﷺ الحب الحق يقتضي الاستمساك بالدين ، بالإخلاص لله تعالى والاتباع لنبيه ﷺ وهما شرطا قبول العمل والعاصم بإذن الله من الزلل ، لا يتوانى في ذلك ولا يغفل عنه قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ . . . ﴾[3] .

والاتباع هو اقتفاء هدي القرآن والاقتداء بسيد الأنام والحذر من الابتداع في الإسلام وفي حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال النبي ﷺ : **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**[4].

قال ابن حجر : هذا الحديث معدود من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده ، فإن

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٠٩ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١١٠ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٣١ .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الصلح (٢٦٩٧) ، ومسلم في كتاب الأقضية (١٧١٨) .

معناه : من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه[1] .

إن الإيمان بالله ورسوله واتباع هدي الإسلام وحبه وبغض ما يناقضه يورث الاعتزاز بالدين والتضحية في سبيله والحياة من أجله ! وحب الله تعالى يقتضي كثرة ذكره وشكره آناء الليل وأطراف النهار ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[2] .

وكذلك الإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[3] . وإيثار أقواله وأفعاله على قول كل أحد وفعله ، والتمسك بذلك والعض عليه بالنواجذ ، واعتقاد أنه سبيل المتقين وطريق الفوز برضوان رب العالمين والنجاة من عذاب الجحيم ، فإن حب الله ورسوله مبدأ إيماني عقدي وهو كذلك مقصد تربوي جليل به يكمل الإيمان ، فعن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»**[4] .

وفي أثر هذه المحبة الإيمانية ما رواه أنس رضي الله عنه أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ : متى الساعة؟ قال له رسول الله ﷺ : **«ماذا أعددت لها»**؟ قال : حب الله ورسوله . قال : **«أنت مع من أحببت»**[5] .

قال النووي : قال ابن بطال : ومعنى الحديث أن من استكمل الإيمان علم أن حق النبي ﷺ آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين لأن به ﷺ استنقذنا من النار وهدينا من الضلال .

قال القاضي عياض : ومن محبته ﷺ نصرة سنته والذب عن شريعته وتمني حضور حياته فيبذل ماله ونفسه دونه ، قال : وإذا تبين ما ذكرناه تبين أن حقيقة

---

(١) الفتح ٥/٣٠٢ .

(٢) سورة الأحزاب : الآيتان ٤١ - ٤٢ .

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٥٦ .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الإيمان (١٥) ، ومسلم في كتاب الإيمان (٤٤) .

(٥) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأدب (٦١٦٧) ، ومسلم في كتاب البر والصلة (٢٦٣٩) .

الإيمان لا تتم إلا بذلك ، ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إعلاء قدر النبي ﷺ ومنزلته على كل والد وولد ومحسن ومفضل[1] .

ج - حب السلف الصالح :

وهو من مقتضيات الإيمان ، وحبهم من محبة الله ورسوله ، لا سيما الصحابة الكرام رضوان الله عليهم الذين شرفهم الله بصحبة نبيه ﷺ وعن طريقهم وبجهادهم وجهودهم بعد فضل الله تعالى وصلت إلينا رسالة الإسلام .

ولقد زكاهم الله تعالى حيث قال : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[2] .

وقال في صفاتهم الحميدة وخصالهم الفريدة : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[3] .

وكما مدحهم الله تبارك وتعالى لسبقهم إلى الخير وما اتصفوا به من خصال الخير ، فقد مدح الخلف الذين جاؤوا من بعدهم وأحبوهم لله تعالى فقال : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[4] .

وأفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه خليفة رسول الله ﷺ وصاحبه في الهجرة ووزيره الأول ، -والفاروق- عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمير المؤمنين

---

(١) المنهاج للنووي ٢/٣٧٥ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١٠٠ .

(٣) سورة الفتح الآية ٢٩ .

(٤) سورة الحشر : الآية ١٠

الخليفة الثاني والإمام الملهم، وعثمان بن عفان رضي الله عنه -ذو النورين- الخليفة الثالث، -وأبو السبطين- علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخليفة الرابع، وإن تربية الولد على حب هؤلاء الخلفاء الأربعة بقص قصص إسلامهم وجهادهم في سبيل الله وسابقتهم في الإسلام وما خصهم الله به من المناقب والفضائل لمن واجبات الآباء نحو الأبناء، وكذا باقي الصحابة رجالاً ونساء وأمهات المؤمنين رضوان الله عليهم جميعا.

وكيف لا يحبهم مسلم وقد شهد الله لهم بالسبق والفضل ورضي عنهم من فوق سبع سموات فقال: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1].

د - التوسط والاعتدال:

وهو من مستلزمات العقيدة، إذ الإسلام دين الوسطية حيث لا غلو ولا تهاون، بين الإفراط والتفريط، وبين التساهل والتنطع، والأمة المحمدية وهي خاتمة الأمم وأفضلها هي أمة وسط كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[2].

ولئن كان الشرع قد نهى عن التشدد في الدين والغلو فيه كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «هلك المتنطعون»[3]، فإنه جعل في المقابل التخاذل والتكاسل في الدين مذموماً أيضاً وجعله من النفاق إذ قال عن المنافقين: ﴿ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[4].

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٠. وانظر تفسير القرطبي في موضع الآية: ٢٣٥/٨. فقد ذكر مسائل جليلة تتعلق بعقيدة المسلم في الصحابة وفضلهم وسابقتهم وما يجب علينا تجاههم.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٣) رواه مسلم في كتاب العلم الحديث (٢٦٧٠) وأبو داود في كتاب السنة حديث (٤٦٠٨)، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة حديث رقم (٣٤٧٣).

(٤) سورة النساء: الآية ١٤٢.

والمسلم المقصر في أمور دينه لا يخرج عن مسمى الإيمان ما لم يأت بما يناقض أصل الإسلام ، فلا يكفر بكبيرة ، ولا يفسق أو يبدع إلا ببينة وتثبت ، وبالطرق المشروعة ، ولا يفتات المسلم على ولاة الأمر في إقامة الحدود ولا فيما هو من اختصاصاتهم بحكم ولاياتهم ومسئولياتهم من التحري والإدانة .

وليس من أهداف التربية الإسلامية أن يحب الأولاد الدين ويرغبوا فيه فحسب ، بل أن يتمسكوا به على النهج الراشد في اعتدال وتوسط وإلا كانت نتائج التربية عكسية سلبية !! .

فالتدين المشوب بالغلو لا ينتج إلا التطرف والخروج عن منهج الإسلام بتأويلات فاسدة ومبالغات ممجوجة ، وكذلك التهاون والتخاذل لا ينهض من بلي به بعزائم الأمور .

هـ - الولاء والبراء :

يقيم المسلم علاقاته بإخوانه المسلمين ، وبغيرهم على أساس الدين ، فيوالي ويعادي لله تعالى وفي الله ، وعلى هذا المبدأ ينبغي أن تكون تربية الولد كي يبقى محافظاً على كيانه صيناً واقياً لمعالم دينه من الانحلال والذوبان ، عارفاً بمعايير المفاضلة بين الناس ، مدركاً لمقاييس القبول والرفض لما يسمع ويرى ويدرك .

والدين الحنيف يرفع وشيجة الدين وعروته الوثقى فوق كل الوشائج والعلاقات الأخرى ، ويجعل رابطة الدين مقدمة على رابطة الدم والنسب والمصالح ، وحتى العلاقات بين الآباء والأبناء ليست ترتقي إلى مستوى الرابطة الدينية .

ولنتأمل ذلك في النصوص التالية :

- في قصة نبي الله نوح عليه السلام لما دعا ابنه وقد أشرف على الغرق ناداه كما

قال تعالى : ﴿ ... وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1] ، فلما لم يستمع إلى الأب الشفيق وآثر الكفر على الإيمان وكان من المغرقين نادى نوح ربه : ﴿ ... فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[2] فولاية الإيمان فوق كل ولاية .

ذكر الإمام الطبري بسنده عن سعيد بن جبير أنه جاء إليه رجل فسأله فقال : أرأيت ابن نوح ابنه؟! فسبح طويلا ثم قال : لا إله إلا الله ، يحدث الله محمداً ﷺ : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ ﴾ وتقول ليس منه؟ ولكن خالفه في العمل فليس منه من لم يؤمن[3] .

- قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[4] ، فللوالدين البر والإحسان حتى وإن كانا كافرين ، وللأولاد حق الرعاية والتربية وتعليم أمور الدين ، لكن لا تعلو علاقة الأبوة والبنوة ولا ترتقي إلى مستوى علاقة الدين .

- قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ... ﴾[5] .

ففي هذه الآية أن ولاية الكفار لا تجوز ، لأن المودة إذا حصلت تبعتها النصرة والموالاة فخرج العبد من الإيمان وصار من جملة أهل الكفران كما يقول الإمام ابن سعدي[6] .

---

(1) سورة هود الآية : ٤٢ .

(2) سورة هود الآيتان : ٤٥ -٤٦ .

(3) تفسير الطبري ٥٢/١٢ .

(4) سورة التوبة : الآية ٢٣ .

(5) سورة الممتحنة : الآية ١ .

(6) تيسير الكريم الرحمن ١١٠/٨ .

وللموالاة الكفار في عصرنا صور كثيرة ، قد يقع فيها الناشئة وهم لا يشعرون ! كالافتتان بحضارتهم وما فيها من مساوئ وأوصار ، وكالتعلق بمن يسمونهم نجوم الفن والألعاب الرياضية ، والتشبه بهم وتقليدهم وتمني مؤاخاتهم ونحو ذلك مما قد يبتلى به الفتى المسلم أو الفتاة المسلمة ، وهو -راجع- كما ترى إلى ضعف التربية الأسرية على مستلزمات العقيدة الإسلامية

هذا وللتنشئة على العقيدة القويمة مستلزمات أخر . كحب الجهاد في سبيل الله لا سيما في بلاد المسلمين المنكوبة كفلسطين وتركستان وبورما والشيشان وغيرها ، وأيضاً حب الدعوة إلى الله تعالى والرغبة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة ، والاهتمام بأمور المسلمين ، والعمل على إسعاد البؤساء والمحرومين . . . وغير ذلك كثير ، مما تسكبه العقيدة الإسلامية في قلوب الآباء ووجدانهم ، فيربون عليه الأبناء ، ويؤدون بذلك الأمانة التي ائتمنهم الله عليها .

فليست العقيدة إيماناً يقر في القلب فحسب ، بل وعملاً يصدق ما وقر ، ويكون أمارة عليه .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **«الإيمان بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»** . وفي رواية : **«والحياء شعبة من الإيمان»**[1] .

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الإيمان حديث رقم (٩) ، ومسلم في كتاب الإيمان حديث رقم (٣٥) .

المبحث الرابع : أثر التنشئة على العقيدة في حياة الأولاد وسلوكهم

لا جرم أن للعقيدة في حياة الإنسان الأثر الأكبر في توجهه وسلوكه وأسلوب تفكيره وجميع أنماط حياته ، بل وفي تقرير مصيره .

ولقد نوه الشرع بأثر التنشئة على العقيدة في حياة الأولاد وسلوكهم ، وذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : **«ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»**[(١)] .

فبحسب تربية الأبوين ينشأ الولد إما مسلماً أو يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً ، وما يلحق بهذا الاعتبار من قوة التدين أو ركاكته ، ومن عمق التأثير أو ضعفه .

وآثار العقيدة في حياة المسلم كثيرة لعل من أهمها ما أذكره مما يقتضيه المقام ملخصاً :

– نشأته من جهة الإيمان بالله تعالى بين الخوف والرجاء ، بين خشيته تبارك وتعالى والخوف من عذابه وغضبه وبين رجاء رحمته وعفوه ولطفه ، وهذا هو الذي يتوخاه المسلم وهو الصراط المستقيم فمن كان الرجاء فقط غايته زل كالمرجئة ، ومن كان الخوف فقط غايته ضل كالخوارج ، والمنهج الوسط هو الجمع بين الخوف والرجاء كما في قول الباري جل ذكره : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[(٢)] .

وقال في موضع آخر : ﴿ . . . وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ . . . ﴾[(٣)] .

وقال : ﴿ . . . إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[(٤)] .

---

(١) متفق عليه ، وقد تقدم

(٢) سورة الزمر : الآية ٩ .

(٣) سورة الإسراء : الآية ٥٧ .

(٤) سورة الأنبياء : الآية ٩٠ .

والجمع بين الخوف والرجاء تتحقق به التقوى وهي ترك المعاصي وفعل الطاعات ، فمن خاف الله ترك محارمه ومن رجا رحمته اجتهد في الصالحات ، وكان مرهف الحس وقاد الضمير لا يبيت في غفلة ولا يتوانى عن تحقيق التقوى ، وهذا ما يتواخاه المتقون وهو هدف التربية السوية .

وتأمل حرص عبدالله بن العباس رضي الله عنهما على الخير وهو شاب يافع حفزه الورع على اقتفاء سنة رسول الله ﷺ حتى وهو في بيته بين أهله ، قال ﷺ : **«بت في بيت خالتي ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ وكان النبي ﷺ عندها في ليلتها فصلى النبي ﷺ العشاء ثم جاء إلى منزله فصلى أربع ركعات ثم نام ، ثم قام ، ثم قال : نام الغليم ! أو كلمة تشبهها ، ثم قام فقمت عن يساره فجعلني عن يمينه فصلى خمس ركعات ، ثم صلى ركعتين ثم نام حتى سمعت غطيطه أو خطيطه ثم خرج إلى الصلاة»**(1) .

- معرفة حقيقة الدنيا والتعلق بالآخرة ، وهذه سمة المؤمنين إذ هم يسعون للدار الآخرة ويجعلون ذلك أكبر همهم أما الدنيا فيكتفون منها بالكفاف ويجعلونها مطية لما بعدها ، والقرآن العظيم يرسخ هذا في نفوس المؤمنين في غير موضع مثل قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾(2) .

وقال في موضع : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝١٨ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾(3) .

- تزكية النفس بالطاعات وهو أثر للتربية السوية ، إذ تصبح النفس خيرة زاكية تحب

---

(1) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب العلم (١١٧) واللفظ له ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين حديث رقم (٧٦٣) .

(2) سورة الرعد : الآية ٢٦ .

(3) سورة الإسراء : الآيتان ١٨-١٩ .

الخير والطاعات وتسارع فيها وتكره الكفر والفسوق والعصيان وتنفر منه، ففي أثر الصلاة على سبيل المثال قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾(١) .

وقال في موضع آخر: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾(٢) .

فللصلاة أثرها في تهذيب السلوك وتقويم الأخلاق، ولها أثرها في رفع الدرجات وتكفير السيئات .

وفي أثر الصوم وأنه يكسر الشهوة ويهذب الأخلاق حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»**(٣) .

– معرفة حقوق الخالق جل وعلا وحقوق الخلق، فحق الله تعالى أن يعبد وأن لا يشرك به شيء، وحقوق الخلق أن يسلموا من اللسان واليد فلا يعدو عليهم بشيء من ذلك، وهذا من الآثار العظيمة للعقيدة الإسلامية، ومن النصوص الكثيرة في توحيد الله تعالى قوله سبحانه: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾(٤) .

وفي تقرير حقوق الناس حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأعراضهم»**(٥) .

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٥ .

(٢) سورة هود: الآية ١١٤ .

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب النكاح حديث رقم (٥٠٦٥)، ومسلم في كتاب النكاح حديث رقم (١٤٠٠) .

(٤) سورة الزمر: الآية ٦٦ .

(٥) المقطع الأول من الحديث متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الإيمان حديث (١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان حديث رقم (٤٠)، وأما المقطعان معاً كما هو في المتن فرواه الترمذي في كتاب الإيمان حديث رقم (٢٦٢٧)، والنسائي في كتاب الإيمان وشرائعه حديث رقم (٤٩٩٥)، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة حديث (٨٥٧٥) .

وفي حق الأخوة الإسلامية قوله تعالى : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]
وهكذا لو تتبعنا سلسلة الحقوق التي يقوم بها المسلم بدافع إيمانه بالله ويقينه بوعوده لا لشيء آخر لطال بنا المقام وحسبنا هذا القدر إذ أردت مختصر الإشارة لا تفصيل العبارة وبالله تعالى التوفيق .

– التوازن النفسي : وهو ما ينعم به المؤمنون بالله الواثقون بمعيته وتأييده ، وهو أثر من آثار الإيمان ونعمة من نعم الله على عباده المؤمنين ، فمن لاذ بحمى الله وفر إليه ولجأ ببابه وقاه وكفاه ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[2] .

وقال : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾[3] ، ففي هذه الآيات البينات وصف لطبيعة الإنسان ، وينبغي للآباء معرفته لأنه من خصائص البشرية ، يشترك فيها الأولاد الصغار وكذلك البالغون الراشدون ، فمن ذلك الهلع : وهو أشد الحرص وأسوأ الجزع وأفحشه كما يقول القرطبي[4] .

ولا سبيل إلى الخلاص من هذه الصفات الذميمة التي تتأصل في الإنسان مع دواعي الكفر وهوى النفس فينقلب كالبهيمة لا هم له إلا شهوة البطن والفرج ، إلا بالتقوى ولا سيما الأخلاق التي ذكرها الله لوقاية الإنسان من أدواء

---

(١) سورة الحجر : الآية ٨٨ .

(٢) سورة الرعد : الآية ٢٨ .

(٣) سورة المعارج : الآيات ١٩– ٣٥ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٩٣/١٨ .

الهلع والجزع حين الضراء ومنع الخير حين السراء ، لا سيما العبادات والأخلاق المنصوص عليها هنا وهي :

- الصلاة بإقامتها والمداومة عليها والمحافظة على أركانها وشروطها وواجباتها .
- سخاوة النفس بإيتاء الزكاة والصدقات وكل أنواع البر والمواساة .
- الإيمان بيوم الحساب والخوف من الكبير المتعال .
- حفظ الفرج عن كل محرم من زنا ولواط وسحاق واستمناء وأسبابه ودواعيه من مسموع ومشاهد . . . وتحقيق العفة والصون عن هذه البلايا والرزايا على الدوام .
- أداء الأمانات كلها الحسية والمعنوية دون تردد ولا تقصير . ومنها الوفاء بالعهود وبالعقود والالتزامات ، فلا يصح التلاعب بها ولا التهاون فيها .
- القيام بالشهادة لله تعالى ، حفظاً للحقوق ودفعاً للظلم .
- المحافظة على الصلاة فهي المبتدأ والمختتم وهي عمود الإسلام .

وهذه العبادات يصح أن تكون دستور التربية والإصلاح وتزكية النفس للصغار والكبار على السواء ، فهي وسائل التربية ومقاصدها .

الفصل الثالث

مسئوليات الآباء الأسرية والاجتماعية

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول :

مسئوليات الأم : (سد حاجات الطفل الأساسية)

- المبحث الثاني :

مسئوليات الأب : (سد حاجات الأولاد الفطرية والمعاشية)

- المبحث الثالث :

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل نطاق الأسرة وبين أفرادها : (لمحة عن المجالات والأساليب والوسائل مع ضرب الأمثلة من السنة العملية للنبي ﷺ) .

المبحث الأول : مسئوليات الأم
(سد حاجات الطفل الأساسية)

الطفل كغيره من الكائنات الحية له جملة من الحاجات والضرورات ترتبط حياته ومعيشته بسدها وتلبيتها ، فلا بد له من كافل وراع يقوم بذلك بحكم عجز الطفل وحاجته المستمرة إلى من يقوم عليه ويرعاه على حد قول الله تعالى : ﴿ . . . وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾(١) .

وقوله عن مريم عليها السلام إبان صغرها : ﴿ . . . وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا . . . ﴾(٢) .

وقد أوجب الإسلام رعاية الولد وسد حاجاته وتلبية رغباته الفطرية حال طفولته وصباه على الوالدين بالأصالة كل فيما يخصه .

فكما حرم قتل الولد لأى سبب كما كان يفعله أهل الجاهلية حيث قال : ﴿ . . . وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ . . . ﴾(٣) ، وقال : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾(٤) ، فكذلك أوجب رعاية حاجاته وتنشئته التنشئة السليمة السوية من كافة الجوانب البدنية والعاطفية والنفسية كي يترعرع مكتمل الملكات سليم الحواس موفور البنيان ، والأب والأم مشتركان متضامنان في تحمل هذه المسئولية .

والأم تضطلع -بعد ذلك- بالدور الأول والأساس في رعاية الطفل وسد حاجاته وتلبية رغباته المتنوعة لوفور عطفها وتمام تأهلها واتساق جملة تكوينها للقيام بهذا الواجب وتحقيق هذه الغاية السنية وذاك الدور الأساس ، لذا نوه القرآن العظيم بقيمة الأم الوالدة وما تتضمنه الأمومة والوالدية من خصائص

(١) سورة الإسراء : الآية ٢٤ .
(٢) سورة آل عمران : الآية ٣٧ .
(٣) سورة الأنعام : الآية ١٥١ .
(٤) سورة الأنعام : الآية ١٤٠ .

فريدة لا تتوفر لغير الأم ، قال تعالى : ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ . . . ﴾[1] .

وقال عن موسى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ . . . ﴾[2] .

وقال النبي ﷺ موضحاً جانباً من هذه الخصائص وهو جانب العطف والشفقة والحنان : «**خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده**»رواه أبو هريرة رضي الله عنه [3] .

وألخص فيما يلي أبرز واجبات الأم تجاه طفلها الوليد الناشئ :

١ - الرعاية الشاملة قبل الولادة :

أثناء كونه جنيناً في أحشائها ، بحسن التغذية وتجنب كل ما يضره كشرب الدخان وتعاطي الحقن الضارة والإجهاد المؤثر ، والانفعالات النفسية والاضطرابات وغير ذلك مما يذكره الأطباء من واجبات الأم نحو الولد ، وبحسن تعهد الأم وليدها الدارج في الرحم تقيه بإذن الله من كثير من السلبيات كالإعاقة والتشوه ونقص الوزن وضعف البنية ، وفترة الحمل مشحونة بالمتاعب والمصاعب كما قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ . . . ﴾[4] ، وقال في موضع آخر : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ . . . ﴾[5] ، لذا يجب على الأبوين العمل على أن تمر هذه الفترة بأمن وأمان دون مشكلات أو منغصات وقد أباح الشارع للحامل أن تفطر في رمضان

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٣٣ .

(٢) سورة القصص : الآية ٧ .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب النكاح (٥٠٨٢) ومسلم في كتاب فضائل الصحابة (٢٥٢٧) .

(٤) سورة الأحقاف : الآية ١٥ .

(٥) سورة لقمان : الآية ١٤ .

إذا خشيت الضرر من الصوم قال تعالى : ﴿ . فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ . . . ﴾[1] .

قال الحسن وإبراهيم في المرضع أو الحامل : إذا خافتا على أنفسهما أو ولدهما تفطران ثم تقضيان[2] .

٢ - الإرضاع :

وهو من خصائص الوالدة الأصيلة أو البديلة ، ومدته عامان كاملان كما ورد في الآية الكريمة الآنفة مع قوله تعالى : ﴿ . . . وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا . . . ﴾[3] .

ومن التدابير الشرعية التي قررها الإسلام لضمان الإرضاع وأن لا يتضرر الولد بترك إرضاعه لسبب من الأسباب :

- أوجب على الأم إرضاع الولد فلا يحل لها أن تمتنع من ذلك رفاهية أو أنفة ، ولا يكون امتناعها إلا لعذر شرعي قال تعالى : ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ . . . ﴾ إلى قوله : ﴿ . . . لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا . . . ﴾[4] .

قال يونس عن الزهري : نهى الله أن تضار والدة بولدها وذلك أن تقول الوالدة لست مرضعته ! وهي أمثل له غذاء وأشفق عليه وأرفق به من غيرها ، فليس لها أن تأبى . . . ، وليس للمولود له أن يضار بولده والدته فيمنعها أن ترضعه ضراراً لها إلى غيرها[5] .

- أوجب على الأب نفقة الإرضاع ومنعه من أن يمنع الأم من إرضاع الولد لسبب من الأسباب ، ففي النفقة يقول الله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٤ .

(٢) صحيح البخاري ١٧٩/٨ كتاب التفسير/ باب قول الله تعالى : ﴿أياماً معدودات﴾ .

(٣) سورة الأحقاف : الآية ١٥ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٣٣ .

(٥) صحيح البخاري ٥٠٤/٩ كتاب النفقات ، باب قول الله تعالى : ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ ﴾ مختصراً .

وفي موضع آخر : ﴿ . . . وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴾[1] . وهي نفقة واجبة بحسب العرف .

قال ابن تيمية : والصواب المقطوع به عند جمهور العلماء أن نفقة الزوجة مرجعها إلى العرف وليست مقدرة بالشرع ، بل تختلف باختلاف أحوال البلاد والأزمنة وحال الزوجين وعاداتهما فإن الله تعالى قال : ﴿ . . . وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ . . . ﴾[2] .

وقال النبي ﷺ لهند بنت عتبة رضي الله عنها : «**خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**»[3]، [4] .

وفي تحريم منعه الأم من الرضاع في حالة الطلاق أو المشاحنة أو غيرها من الأسبا ب يقول تعالى : ﴿ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ﴾ الآية .

– أوجب على الأب في حالة تعذر الإرضاع من قبل الأم أن يرضع ولده من أخرى مقابل أجر أو بغيره فمصلحة الولد لا يصح أن تضيع في حال من الأحوال وكيف والرضاعة هي قوامه وبها حياته قال تعالى : ﴿ . . . وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴾[5] .

– رخص للمرضع أن تفطر في رمضان كما سبق قريباً ، ووضحه حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**إن الله تعالى وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة ، وعن الحامل والمرضع الصوم**»[6] .

وقد ذكر الحكماء الكثير من أحكام الرضاع ومتعلقاته وحكمه مما يدل على أهمية الرضاع وعميق أثره في إنبات الوليد وتكامل بنيانه ، من مثل ما ذكره ابن القيم إذ

---

(١) سورة الطلاق : الآية ٦ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٩ .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب النفقات حديث (٣٥٦٤) ومسلم في الأقضية (١٧١٤) .

(٤) مجموع الفتاوى : ٣٤/٨٣ .

(٥) سورة الطلاق : الآية ٦ .

(٦) رواه أصحاب السنن : أبو داود في كتاب الصوم (٢٤٠٨) ، والترمذي في كتاب الصوم (٧١٥) والنسائي في كتاب الصيام (٢٢٧٤) ، وابن ماجه في كتاب الصيام (١٦٦٧) وأحمد في مسند الكوفيين (١٨٢٧٠) .

قال : «ينبغي أن يكون رضاع المولود من غير أمه بعد وضعه بيومين أو ثلاثة وهو الأجود ، لما في لبنها ذلك الوقت من الغلظ والأخلاط ! بخلاف لبن من قد استقلت على الرضاع وكل العرب تعتني بذلك حتى تسترضع أولادها عند نساء البوادي كما استرضع النبي ﷺ في بني سعد»(١) .

٣ - الحضانة وعدم الإهمال :

للطفل -كما هو معلوم- حاجات أخرى كثيرة غير الرضاعة إذ لا بد له من رعاية شاملة لساعات نومه ويقظته ، ولأوقات جوعه وريه ، ولنظافته ومداعبته والحنو عليه ودفع الأذى عنه ، ولقد كانت للنبي ﷺ حاضنة مشفقة هي أم أيمن وكانت من الحبشة وهي أم أسامة بن زيد رضي الله عنهما(٢) ، وكانت قد حضنته أيضاً السعدية وكان ﷺ يقول : «**كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر**»(٣) .

والحضانة جزء من الكفالة والنصح كما في قوله تعالى في شأن أخت موسى عليه السلام : ﴿ ... فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾(٤) .

وفي تغذية الطفل بعد الفطام يقول الإمام ابن القيم : وينبغي تدريجهم في الغذاء ، فأول ما يطعمونهم الغذاء اللين ، فيطعمونهم الخبز المنقوع في الماء الحار ، واللبن والحليب ، ثم بعد ذلك الطبيخ ، والمرقة الخالية من اللحم ، ثم بعد ذلك ما لطف جداً من اللحم بعد إحكام مضغه أو رضه رضاً ناعماً(٥) .

(١) تحفة المودود ص١٤٠ .

(٢) انظر مناقبها في الصحيحين : البخاري في كتاب المناقب حديث رقم (٣٧٣٧) ، ومسلم في كتاب الجهاد حديث رقم (١٧٧١) .

(٣) رواه أحمد في مسند الشاميين (١٦٩٩٠) .

(٤) سورة القصص : الآية ١٢ .

(٥) تحفة المودود ص ١٤٠ .

ومن مسئوليات الأبوين لاسيما الأم حين بلوغ الطفل عاماً ونحوه وبدئه بالحركة والمشي وقايته من الأخطار التي قد يقع فيها ، كاقترابه من لهب النار واختناقه بالوسادة ولعبه بسكين المطبخ واقترابه من فوهة خزان المياه وخروجه إلى الشارع حيث خطر السيارات ونحو ذلك كثير معروف ، والمسئول الأول عن ذلك الأم بحكم مكثها مع الولد في البيت أكثر من الأب وللصوقه بها في سني عمره الأولى .

ولقد وجه النبي ﷺ إلى الأخذ بمبدأ الوقاية والحيطة قبل وقوع الخطر مما هو من مبادئ الرعاية الأسرية ، ففي حديث جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **«أطفئوا المصابيح إذا رقدتم وغلقوا الأبواب وأوكوا الأسقية وخمروا الطعام والشراب -وأحسبه قال- ولو بعود تعرضه عليه»**[1] وفي حديث آخر عنه : **«لا ترسلوا فواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء فإن الشياطين تنبعث إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء»**[2] .

وفي حديث سالم عن أبيه مرفوعاً : **«لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون»**[3] .

فهذه النصائح النبوية وهي نصائح ذهبية تقي بإذن الله من مصارع السوء ومن مواطن الخطر : فإطفاء المصابيح حين الاستغناء عنها ، وإغلاق الأبواب والنوافذ ساعة النوم وقاية من الأخطار ، وإيكاء الأسقية أي إحكام غلقها وتغطية الأطعمة والأشربة ، وقاية لها من الشيطان فإنه لا يكشف غطاء ولا يحل وكاء ، وفيه كذلك كما يقول النووي : صيانته من النجاسة والمقذورات ، ومن الحشرات والهوام فربما وقع شيء منها فيه فشربه وهو غافل أو في الليل فيتضرر به[4] .

وكف الصبيان والجواري الصغار عن الخروج والبروز إلى خارج البيت ساعات الليل أو ساعات النهار لا سيما وقت القيلولة كي يكونوا في رعاية الأم وفي

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأشربة (٥٦٢٤) ، ومسلم في كتاب الأشربة (٢٠١٢) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب بدء الخلق (٣٢٨٠) ، ومسلم في كتاب الأشربة (٢٠١٣) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الاستئذان (٦٢٩٣) ، ومسلم في كتاب الأشربة (٢٠١٥) .

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٣/١٩٥ .

كنفها وملء سمعها وبصرها .

ففي التوجيه النبوي الكريم وقاية وصيانة ضد الأمراض والأخطار التي قد يكون الصبيان فريسة سهلة لها لقلة خبرتهم وكثرة فضولهم ولعبهم .

٤- الرعاية الصحية :

يحض الدين الحنيف على الرعاية الصحية ، و أن يكون المسلم قوياً في بدنه وعقله كقوته في إيمانه ويقينه ، وفي هذا حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير**»(١) .

وتشمل توجيهات الإسلام في هذا جانب الوقاية ، وجانب العلاج ، فالولد أمانة ووديعة عند والديه لا يجوز تركه وإهماله دون رعاية صحية وتغذية سليمة كي يكون قوي البنيان سليم الحواس وافر العقل .

٥- في جانب الوقاية :

ينبغي أن تكون الأم من حيث الوعي الصحي والدراية بمبادئ الوقاية الصحية في مستوى مرض ، وكما تقدم في الحديث النبوي الشريف من تغطية الأطعمة والأشربة وإيكاء الأسقية وقاية من الأمراض وأسبابها كوقوع الذباب والحشرات وغيرها ، وأيضاً فقد وجه النبي ﷺ وأرشد إلى منع أفراد الأسرة من الشرب من أفواه القرب أو ما في حكمها كالأواني الكبيرة التي إن استعملها الجميع بالشرب من أفواهها دون استعمال الأكواب كانت وسيلة للعدوى ، فلقد «نهى رسول الله ﷺ : عن الشرب من فم القربة أو السقاء» رواه أبو هريرة ﷺ (٢) .

وفي حديث أبي سعيد الخدري ﷺ : «**نهى النبي ﷺ عن اختناث الأسقية أن يشرب من أفواهها**»(٣) .

---

(١) رواه مسلم في كتاب القدر حديث رقم (٢٦٦٤) وابن ماجه في المقدمة حديث رقم (٧٩) .

(٢) رواه البخاري في كتاب الأشربة (٥٦٢٧) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأشربة (٥٦٢٦) ، ومسلم في كتاب الأشربة (٢٠٢٣) .

وفي حديث أبي قتادة عن أبيه رضي الله عنه مرفوعاً: «**إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء، وإذا بال أحدكم فلا يمسح ذكره بيمينه، وإذا تمسح أحدكم فلا يتمسح بيمينه**»(١).

ومن الحكم في النهي عن التنفس في الإناء كما يقول ابن حجر: لأنه ربما حصل له تغير من النفس إما لكون المتنفس كان متغير الفم بمأكول مثلاً، أو لبعد عهده بالسواك والمضمضة، أو لأن النفس يصعد ببخار المعدة، والنفخ في هذه الأحوال كلها أشد من التنفس(٢).

وفي الحث على النظافة والوضوء وإسباغه والاغتسال وموجباته والتطيب واستخدام السواك عند كل وضوء نصوص شرعية متضافرة لا يتسع المقام لإيرادها، هي بمثابة القواعد الصحية الوقائية في نظافة وطهارة البدن والثوب وكل ما يتعلق بحياة المسلم.

ومن الوقاية ما استحدث في عصرنا من التطعيمات التي يأخذها الولدان منذ الولادة وإلى دخول المدارس تقيهم بإذن من الله كثيراً من الأوبئة والأمراض والإعاقة والقيام بتطعيمهم من واجبات الآباء.

ومن الوقاية -أيضاً- التحصن بالأوراد الشرعية ضد الأمراض النفسية والعقلية كالصرع، وضد مس الجان ومن ذلك أن النبي ﷺ كان إذا دخل الخلاء قال: «**اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**» رواه أنس رضي الله عنه(٣).

والخبث ذكور الجن والخبائث إناثه(٤).

أما جانب العلاج والاستشفاء: فليس يقل أهمية عن الوقاية، فالولد المريض لا يجوز إهماله وتعريضه للهلكة، والاستشفاء من جملة الأسباب التي أمر بها الشرع بعد تعلق القلب بالله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾(٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأشربة (٥٦٣٠)، واللفظ له، ومسلم في كتاب الطهارة (٢٦٧).

(٢) الفتح: ١٠/٩٢.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الدعوات (٦٣٢٢)، ومسلم في كتاب الحيض (٣٧٥).

(٤) المنهاج للنووي ٤/٣١١.

(٥) سورة الشعراء: الآية ٨٠.

وفي حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **«إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري»** ، وقال : **«لا تعذبوا صبيانكم بالغمز من العذرة وعليكم بالقسط»**(١) .

قال ابن الأثير : القسط : عقار معروف في الأدوية طيب الريح يبخر به النفساء والأطفال(٢) .

ووقائع الاستشفاء على عهد النبي ﷺ تدل على أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يداوون صبيانهم ، ويحظون بتوجيه من النبي الكريم ﷺ .

ومن الأمثلة عليه أن أم قيس وكانت من المهاجرات الأوائل اللائي بايعن رسول الله ﷺ ، وهي أخت عكاشة بن محصن أنها أتت رسول الله ﷺ بابن لها قد علقت عليه من العذرة ، والعذرة بالضم وجع في الحلق يهيج من الدم وقيل هي قرحة تخرج في الخرم الذي بين الأنف والحلق تعرض للصبيان عند طلوع العذرة فتعمد المرأة إلى خرقة فتفتلها فتلاً شديداً وتدخلها في أنفه فتطعن ذلك الموضع فينفجر منه دم أسود وربما أقرحه ، وذلك الطعن يسمى الدغر ، يقال عذرت المرأة الصبي إذا غمزت حلقه من العذرة(٣) فقال ﷺ : **«اتقوا الله! علام تدغرون أولادكم بهذه الأعلاق؟! عليكم بهذا العود الهندي فإن فيه سبعة أشفية منها ذات الجنب»**(٤) .

ومن الاستشفاء الاسترقاء بالرقى المشروعة ، كالاسترقاء بسورة الفاتحة ، وبالمعوذتين ، وبآية الكرسي وبخواتيم سورة البقرة ، والقرآن كله شفاء ، قال تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٥) .

وقال : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾(٦) أي : أن القرآن هدى وشفاء -لكل من آمن به- من الشك والريب والأوجاع(٧) .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الطب حديث رقم (٥٦٩٦) ، ومسلم في كتاب المساقاة حديث رقم (١٥٧٧) .

(٢) النهاية ٣/٢٨٤ باب القاف مع السين .

(٣) النهاية ٣/٨٥ باب العين مع الذال .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الطب (٥٧١٨) ومسلم في كتاب السلام (٢٢١٤) .

(٥) سورة الإسراء : الآية ٨٢ .

(٦) سورة فصلت : الآية ٤٤ .

(٧) تفسير القرطبي ١٥/٣٦٩ .

والقرآن العظيم كله شفاء ورحمة من الأمراض الحسية والمعنوية (العضوية والنفسية) ومما ورد في الاستشفاء بالقرآن :

- سورة الفاتحة : التي رقى بها الصحابة رجلاً لدغته عقرب فشفاه الله وقام كأنما نشط من عقال فأقرهم النبي ﷺ كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (١) .

- سورتا الفاتحة والبقرة : وفيهما حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ : «أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك ، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ، لا تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته»(٢) .

- سورة البقرة : وفي شأنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»(٣) .

- سورة الكهف : وفيها حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال» وفي رواية «من حفظ من خواتيم سورة الكهف»(٤) .

وخواتيم سورة الكهف إذا قرأها المسلم قبل النوم ونوى ساعة الاستيقاظ قام على ما نوى ، وهو مجرب كما ذكره جمع من العلماء منهم الألوسي في تفسيره(٥) وقد جربته غير مرة .

---

(١) الحديث في ذلك متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الطب حديث رقم (٥٧٤٩) ومسلم في كتاب السلام حديث رقم (٢٢٠١) .

(٢) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين حديث (٨٠٦) ، والنسائي في كتاب الافتتاح حديث (٩١٢) .

(٣) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين حديث (٧٨٠) والترمذي في كتاب فضائل القرآن حديث (٢٨٧٧) وقال : حديث حسن صحيح .

(٤) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين حديث (٨٠٩) والترمذي في كتاب فضائل القرآن حديث (٢٨٨٦) واللفظ له ، وأبو داود في كتاب الملاحم حديث (٤٣٢١) وله شاهد عند ابن ماجه في كتاب الفتن حديث (٤٠٧٥) .

(٥) انظر تفسير روح المعاني للألوسي ١٥/٢٠٠ .

- سورتا المعوذتين : تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : كان النبي ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه لأنها كانت أعظم بركة من يدي(١) .

ومن الأوراد المشروعة في الرقية ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول : **«إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة»**(٢) .

قال ابن حجر : الهامة : واحدة الهوام وهي ذوات السموم وقيل كل ما له سم يقتل وأما ما لا يقتل فيقال لها السوام ، وقوله : (لامة) كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل(٣) .

ولقد رأى النبي ﷺ في بيت أم سلمة رضي الله عنها جارية في وجهها سعفة(٤) فقال : **«استرقوا لها فإن بها النظرة»**(٥) .

وإن من مسئوليات الأبوين لا سيما الأم حفظ هذه الأدعية النبوية الشريفة للتحصن بها وتعويذ الأولاد بها عند الاقتضاء حفظاً لهم من العين والحسد واستشفاء لهم من كل داء وكل ما يضير .

وكان النبي ﷺ يرقي برقيته المأثورة عنه كما يرويها أنس رضي الله عنه : **«اللهم رب الناس مذهب البأس اشف أنت الشافي لا شافي إلا أنت شفاء لا يغادر سقما»**(٦) .

وقد جمع بعضهم أدعية الاستشفاء والرقى من الكتاب والسنة في كتيب وجيز نفيس يجمل اقتناؤه والاستفادة منه(٧) .

(١) رواه مسلم في كتاب السلام حديث (٢١٩٢) وأبو داود في كتاب الطب (٣٩٠٢) وابن ماجه في كتاب الطب حديث (٣٥٢٩) .

(٢) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء (٣٣٧١) ، وأبو داود في كتاب السنة حديث (٤٧٣٧) ، والترمذي في كتاب الطب (٢٠٦٠) ، وقال حديث حسن صحيح ، وابن ماجه (٣٥٢٥) ، وأحمد في مسند بني هاشم (٢٠٠٨) .

(٣) الفتح ٦/٤١٠ .

(٤) سعفه أي صفرة وشحوب .

(٥) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الطب (٥٧٣٩) ، ومسلم في كتاب السلام (٢١٩٧) .

(٦) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الطب الحديث (٥٧٤٢) ومسلم في كتاب السلام (٢١٩١) .

(٧) الدعاء من الكتاب والسنة -سعيد علي القحطاني ، ط مؤسسة الجريسي للتوزيع - الرياض .

المبحث الثاني : مسئوليات الأب
(سد حاجات الأولاد الفطرية والمعاشية)

يقع على كاهل الأب الواجب الأكبر في سد حاجات الأولاد المتنوعة فهو الكافل والراعي والقيم والمعيل بعد توفيق الله وعونه ، ودور الأم في سد حاجات الطفل المعاشية دور مساند وللأب دور رائد إذ عليه أن يكد ويعمل ليعيل أسرته ويقيم أودهم ويسد حاجاتهم .

وكما حرم الدين الحنيف على الأبوين وغيرهم قتل الأولاد أو مضرتهم حيث قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾[1] .

فقد ألزم الأبوين كلًا في مجال اختصاصه بما يجب عليه تجاه الأولاد والأهل حيث قال رسول الله ﷺ : «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته**» رواه ابن عمر رضي الله عنهما[2] .

فمسئوليات الأب التي أجملها هذا الحديث الشريف المنيف كثيرة متنوعة ، أورد فيما يلي أبرزها :

١- نفقة الرضاع :

وجعلها واجبة على الأب ، قال تعالى : ﴿ ... وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ... ﴾[3] .

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٣١ .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الجمعة (٨٩٣) ، ومسلم في كتاب الإمارة (١٨٢٩) .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٣٣ .

أي يلزم الوالد باعتبار الولد منسوباً إليه بالإنفاق على الأمهات بإطعامهن وكسوتهن على قدر طاقته بلا إسراف ولا تقصير ، فإنه لا يلزم إنسان إلا بما يقدر عليه ويستطيعه ، ولا ينبغي أن يكون سبباً في إلحاق الضرر بأمه بأن يهضم حقها في نفقتها أو حضانة ولدها ، كما لا ينبغي أن يكون الولد سبباً في إلحاق الضرر بأبيه بأن يكلف فوق طاقته أو يحرم حقه في ولده ، فإذا مات الأب أو كان فقيراً عاجزاً عن الكسب كانت النفقة على وارث الولد لو كان له مال[1] .

٢- الإطعام والكسوة والسكنى :

من الحاجات الضرورية البدهية الإطعام والكسوة والسكنى ، وهي من نوع النفقة الواجبة على الأب على حسب قدرته من يسار أو إقتار ، دون إسراف ولا بخل قال تعالى : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[2] .

وقد تقدم إيراد النصوص الدالة على فضل الإنفاق على الأهل وإعالة الولد من بنين وبنات وأن ذلك يكتب في موازين المسلم مع توخي النية الصالحة في ذلك ، فمن خصائص الإنفاق الواجب في الإسلام أنه عبادة يثاب فاعلها ويعاقب تاركها ، لذا حرم الدين الحنيف قتل الولد وجعله من الكبائر ، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال : **«أن تجعل لله نداً وهو خلقك»** ، قلت : إن ذلك لعظيم ، قلت ثم أي؟ قال : **«وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك»** ، قلت ثم أي؟ قال : **«أن تزاني حليلة جارك»**[3] .

وجدير بالتنويه هنا أن إنفاق الوالد المسلم على أولاده وأهل بيته من القربات إلى الله تعالى ، فكل درهم ينفقه يكتب له فيه أجر مضاعف ، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **«ألا رجل يمنح أهل بيت ناقة تغدو بعس وتروح بعس**

(١) تفسير المنتخب – وزارة الأوقاف المصرية ص ٥٥ .

(٢) سورة الطلاق : الآية ٧ .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن (٤٤٧٧) ، ومسلم في كتاب الإيمان (٨٦) .

إن أجرها لعظيم!»[1] وهذا في الإحسان إلي بيت من بيوت المسلمين حينا من الدهر ، فكيف بمن ينفق على أهل بيته ويحسن إليهم سنوات عديدة وأزمنة مديدة وهم أولى بالرعاية والأجر فيهم أعظم !

٣ - الرعاية الصحية :

من واجبات الأب تبعاً لقوامته على من تحت ولايته من زوجة وبنين وبنات وغيرهم أن يلبي حاجاتهم الصحية فلا يصح إهمالهم حال المرض ولا التقتير في علاجهم بخلاً وشحاً أو أنفة وبغضاً ، قال النبي ﷺ : **«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»** . وذكر من ذلك : **«والرجل راع في أهله وولده ومسئول عن رعيته»** رواه ابن عمر رضي الله عنهما[2] .

وما من داء إلا وله شفاء فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«ماأنزل الله داء إلا أنزل له شفاء»**[3] والاستشفاء متعلق بالحقوق التي لا بد من أدائها كغيره من الحقوق كالنفقة والكسوة فوق أنه من مقومات الإنسانية .

ومن الرعاية الصحية : -

- ملاحظة تغيرات النمو الجسمي للمواليد :

ففي فطامهم يراعى التدرج ، وإذا حضر وقت نبات الأسنان فينبغي -كما يقول ابن القيم- أن يدلك لثاهم كل يوم بالزبد والسمن ويمرخ خرز العنق تمريخاً كثيراً ، ويحذر عليهم كل الحذر وقت نباتها إلى حين تكاملها وقوتها من الأشياء الصلبة ، ويمنعون منها كل المنع لما في التمكين منها من تعريض الأسنان لفسادها وتعويجها وخللها[4] .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الهبة حديث (٢٦٢٩) ومسلم في كتاب الزكاة (١٠١٩) واللفظ له .

(٢) متفق عليه : وقد سبق ص ٢٠ .

(٣) رواه البخاري في كتاب الطب (٥٦٧٨) وابن ماجه في كتاب الطب (٣٤٣٩) .

(٤) تحفة المودود ص ١٤١ .

وفي التغذية الصحية يراعى الاعتدال فلا يمكنون من الشبع المفرط ولا يتركون جياعاً ، «فمن سوء التدبير للأطفال أن يمكنوا من الطعام وكثرة الأكل والشرب ، ومن أنفع التدبير لهم أن يعطوا دون شبعهم ليجود هضمهم وتعتدل أخلاطهم وتقل الفضول في أبدانهم وتصح أجسامهم وتقل أمراضهم لقلة الفضلات في المواد الغذائية»[1] .

وفي التدريب على المشي : ينبغى أن يحذر أن يحمل الطفل على المشي قبل وقته لما يعرض في أرجلهم بسبب ذلك من الانفتال والاعوجاج بسبب ضعفها وقبولها لذلك[1] .

- وفي الرعاية العامة :

يراعى في الطفل وقت نومه وراحته وساعات استرواحه ولعبه ، وأن لا يهمل علاجه واعتلاله ، ولا يحبس عنه قوته وأن لا يظل محتقناً ببول أو غائط فإن في ذلك من المضرات ما لا تحمد عاقبته .

- وفي العلاج والاستشفاء :

يسلك به أبواه كل مسلك مشروع كما تقدمت الإشارة إليه .

٤- التعليم العام :

من حقوق الولد على أبويه أن يعلماه دينه وأن يفقهاه أحكام الدين لا سيما ما يحتاج إليه كأحكام الطهارة والعبادات المفروضة وجملة الحقوق والآداب والأخلاق وهو ما لا يسع المسلم جهله ولا يعذر بذلك والتعليم العام على ما هو متاح في هذا العصر لكل أحد نعمة من الله وفضل ، فبالتعليم تمحى رزية الأمية وتزول الضعة ويرتفع شأن المتعلم قال تعالى : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[2] .

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٣ - ١٤٤ .

(٢) سورة المجادلة : الآية ١١ .

وقال : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [١] ، ومن السنة حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[٢] ، فالدين الحنيف دين علم يحث عليه ويأمر به ، وينوه بقيمة العلماء وفضلهم .

وتأمل كيف نوه القرآن العظيم بقيمة وأهمية مصادر التلقي والتعلم وهي السمع والبصر والفؤاد ، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾[٣] .

ثم انظر كيف اهتم النبي ﷺ بتعليم الصبيان القراءة والكتابة وهو ما يسمى اليوم بمحو الأمية وهو أقل الواجب في مجال العلم والتعليم قال ابن عباس رضي الله عنهما : «**كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة**» ، **قال : فجاءهم غلام يوماً يبكي إلى أبيه فقال : ما شأنك؟ قال : ضربني معلمي! قال : الخبيث يطلب بذحل بدر؟ والله لا تأتيه أبداً!**[٤] .

والذحل العداوة ، وطلب المكافأة بجناية كما يقول ابن الأثير .

وبقاء الولد جاهلاً أمياً محروماً من نعمة العلم ، وتعطله عن مواصلة المشوار التعليمي إنما يكون بتقصير الأبوين من جهتين : إما بإهمال أمره والغفلة عن إلحاقه بإحدى المدارس ، والتعليم العام في عصرنا مجاني كما هو في المملكة بلد العلم وموئل طلابه ومنارة بثه ، أو يكون برسوم رمزية كما هو الحال في كثير من بلاد العالم ، فحرمان الولد من العلم ليس له تفسير سوى تقصير الأبوين وهو تقصير شنيع ، وإما بإهمال متابعة الولد في دروسه وحضوره وانتظامه في المدرسة ومراقبة جلسائه ونحو ذلك مما يعد من المهام التربوية المساندة لدور المعلم والمربي .

(١) سورة الزمر : الآية ٩ .

(٢) رواه ابن ماجه في المقدمة حديث رقم (٢٢٤) .

(٣) سورة النحل : الآية ٧٨ .

(٤) رواه أحمد في مسند بني هاشم (٢١٠٦) ، وانظر النهاية لابن الأثير ٢/٤٥ .

ورب إهمال من الأبوين أو من أحدهما جر شقاوة على حياة الولد فلا عرف دينه ولا نعم بالحياة الكريمة ، بل عاش أمياً أو في حكم الأمية ، وفتن بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل .

ومعظم مسالك الحياة الاجتماعية في عصرنا تؤسس على ركيزة التربية والمعرفة والمؤهلات العلمية ! والحياة السوية لا تكون بغير معرفة العبد ربه ودينه ونبيه ﷺ ، والقيام بمستلزمات تلك المعرفة .

إن التعليم العام حق للولد ينبغي للآباء ألا يفرطوا فيه وأن لا يتهاونوا في تحصيله له ، فإن عصرنا عصر العلوم والمعارف ، وقد غدت الحياة المعاصرة مؤسسة على إشاعة المعرفة وتسهيل متعلقات التعليم .

٥- الترفيه :

وحاجة الأولاد إليه لا سيما الأطفال تكاد تكون أساسية ، وكذلك الأولاد المراهقون ، ولقد كان النبي ﷺ وهو قدوة المؤمنين يداعب الأولاد ويوفر لهم كل أسباب ومتطلبات الترفيه والترويح المباح ، قال الإمام البخاري -رحمه الله- : باب الانبساط إلى الناس : وقال ابن مسعود رضي الله عنه : خالط الناس ودينك لا تكلمنه . والدعابة مع الأهل : عن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه![1] فيسرِّبهن إلي فيلعبن معي[2] .

والترويح مطلوب في المناسبات والأعياد والأنكحة ونحوها .

وفي حديث الربيع بنت معوذ بن عفراء رضي الله عنها قالت : جاء النبي ﷺ

---

(١) يتقمعن : يغبن ويدخلن في بيت أو من وراء ستر ، يسر بهن : يبعثهن ويرسلهن . (النهاية ١٦٧/٢ ، و٣١١/٣) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأدب (٦١٣٠) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة (٢٤٤٠) .

فدخل حين بُنِيَ علي فجلس على فراشي كمجلسك مني فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر إذ قالت إحداهن : وفينا نبي يعلم ما في غد! فقال : «دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين»[1] .

والحقيقة أن الترويح ليس يستغنى عنه أحد على اختلاف الناس في الأعمار والميول والثقافات ، وفي حديث حنظلة ﷺ قال : «**كنا عند النبي ﷺ فوعظنا فذكر النار» . قال : ثم جئت إلى البيت فضاحكت الصبيان ولاعبت المرأة ، قال : فخرجت فلقيت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال : وأنا قد فعلت مثل ما تذكر فلقينا رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله نافق حنظلة ! فقال : «مه»! فحدثته الحديث فقال أبو بكر : وأنا قد فعلت مثل ما فعل! فقال : «يا حنظلة ساعة وساعة ولو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم في الطرق»**[2] .

وعليه فلا يهمل الترويح أو الترفيه بالكلية ، ولا تضيع فيه جل الأوقات ، ولا يحرم منه الصبيان والجواري ، ولا يكون فيما ينافي الأخلاق والآداب ، فالاعتدال والتوسط هو المطلوب وبالله التوفيق .

٦- الرعاية النفسية :

غدت الصحة النفسية في عصرنا هاجس المجتمعات ، وأصبح الاعتلال النفسي من مظاهر المدنية ، ولذلك أسبابه الكثيرة لعل أهمها تقصير كثير من المسلمين في تزكية نفوسهم بصنوف الطاعات والقربات ، وانشغال الكثيرين عن ذكر الله تعالى .

وفيما يلي أهم معالم الرعاية النفسية التي يحتاجها الولد منذ طفولته

---

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي حديث (٤٠٠١) ، وأبو داود في كتاب الأدب حديث (٤٩٢٢) ، والترمذي في كتاب النكاح حديث (١٠٩٠) ، وابن ماجه في كتاب النكاح حديث (١٨٩٧) ، وأحمد في مسند الأنصار حديث (٢٥٧٧٩) .

(٢) رواه مسلم في كتاب التوبة (٢٧٥٠) ، والترمذي في كتاب صفة القيامة (٢٣٧٦) وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه في كتاب الزهد (٤٢٣٩) .

فمراهقته إلى شبابه وتكامل عقله وعواطفه وجسمه فمن ذلك :

– تجنب الاهتمام المبالغ فيه ، ومنه الحماية الزائدة والتدليل الزائد والتسلط والسيطرة ، والغلو في التربية على القيم ، والقسوة وكلها اتجاهات غير سوية ينتج عنها جملة من الانحرافات السلوكية لدى الأطفال والمراهقين مثل نقص الشعور بالأمن ، والشعور بالوحدة ، والخجل ، وسوء التوافق ، ونقص القدرة على مواجهة الضغوط البيئية ومواجهة الواقع ، والاستسلام والخضوع والتمرد والمغالاة في اتهام الذات والتردد في اتخاذ القرار إلى غير ذلك مما يذكره علماء النمو النفسي[١] .

– تجنب الإهمال والتساهل في القيم ، والنبذ ، واضطراب العلاقات بين الوالدين وانحراف الوالدين أو أحدهما أخلاقياً ، وكلها مؤثرات سلبية ينتج عنها لدى الأولاد : القلق والتوتر والحرمان العاطفي ، والإحباط ، والشعور بالنقص واللامبالاة بالآخرين ، وغير ذلك مما يعد من السلوك النفسي غير السوي[٢] .

– وهناك دقائق كثيرة تخفى على أكثر الآباء والأمهات مما يعد من الرعاية النفسية للولد ، من مثل ما ذكره العلامة ابن القيم في قوله : وينبغي أن لا يشق على الأبوين بكاء الطفل وصراخه ، ولا سيما لشربه اللبن إذا جاع فإنه ينتفع بذلك البكاء انتفاعاً عظيماً ، فإنه يروض أعضاءه ويوسع أمعاءه ويفسح صدره ويسخن دماغه ويحمي مزاجه ويثير حرارته الغريزية ، ويحرك الطبيعة لدفع ما فيها من الفضول ، ويدفع فضلات الدماغ من المخاط وغيره[٣] .

وقال : وينبغي أن يوقى الطفل كل أمر يفزعه من الأصوات الشديدة الشنيعة والمناظر الفظيعة والحركات المزعجة ، فإن ذلك ربما أدى إلى فساد قوته العاقلة لضعفها ، فلا ينتفع بها بعد كبره ، فإذا عرض له عارض من ذلك فينبغي المبادرة إلى تلافيه بضده وإيناسه بما ينسيه ، وأن يلقم الثدي في الحال ، ويسارع

---

(١) علم نفس النمو ص ١٨١ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨١ و ٣٨٩ .

(٣) تحفة المودود ص ١٤١ .

إلى إرضاعه ليزول عنه ذلك المزعج له ، ولا يرتسم في قوته الحافظة فيعسر زواله ، ويستعمل تمهيده بالحركة اللطيفة إلى أن ينام فينسى ذلك ، ولا يهمل هذا الأمر فإن في إهماله إسكان الفزع والروع في قلبه فينشأ على ذلك ، ويعسر زواله ويتعذر(١) .

وإذا بلغ الصبي أو الفتاة الحلم أو راهقا البلوغ فينبغي أن تكون معاملتهما على نحو آخر فيه إشعار لهما بالاستقلال مع التوجيه غير المباشر وبأسلوب المؤاخاة والمشاورة ، لا بأسلوب الأمر والقهر! وذلك لتغير مداركهما وتبدل انفعالاتهما عما كانا عليه في سن الطفولة ، والتباين كبير بين أسلوب التعامل مع طفل يافع ومراهق كبرت لديه الأحلام وتنامت عنده المحسوسات والمدركات .

وهذه أمور يغفلها جل الآباء فتأتي آثارها وانعكاساتها سلبية على سلوكيات الولد ، لذا يهتم النفسيون كثيراً بفترة المراهقة التي يمر بها الولد وهو يرى في ذات نفسه وعواطفه وجسمه تبدلات كثيرة متلاحقة ، ينبغي للآباء مراعاتها كي يكون النمو النفسي والعاطفي والاجتماعي سوياً مرضياً بعيداً عن الانحرافات السلوكية والاضطرابات النفسية .

٧ - تعليم المهن والحرف والصناعات :

من ضرورات الحياة أن تكون للإنسان مهنة يقتات منها ويصون بها نفسه عن ذل السؤال والعوز ، وليخدم بها دينه ووطنه وأمته ، فديننا دين عمل وجد وجهاد لا يحبذ الكسل ولا يرضى بالركون إلى الدعة والبطالة ، تشهد بذلك عامة النصوص الحاضة عليه الآمرة بالضرب في فجاج الأرض ، ومناكبها وعمارتها واستخراج خيراتها ، مثل قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ . (٢)

---

(١) المرجع السابق ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٢) سورة الملك : الآية ١٥ .

وقال : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾[1] .

ولقد كان الأنبياء عليهم السلام وهم قدوة المؤمنين يأكلون من كسب أيديهم ، كما قال تعالى عن نبيه داود وكان حداداً : ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾[2] .

وقال النبي ﷺ : **«كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يده»**[3] .

وقد حض النبي ﷺ على الكسب ونهى عن البطالة وتكفف الناس فقال : **«لأن يأخذ أحدكم أحبلاً فيأخذ حزمة من حطب فيبيع فيكف الله به وجهه خير من أن يسأل الناس أعطي أو منع»**[4] .

فمن واجبات الأب في هذه المسئولية :

أ - تعليم ولده حرفة أو مهنة :

كي لا يكون عالة على غيره وقديماً قالوا : «صنعة في اليد أمان من الفقر» .

وقال بعض الصحابة : أرى الرجل فيعجبني فإذا قيل لا صنعة له سقط من عيني ! .

فالحياة الكريمة الأبية أن يكون المسلم غير مفتقر إلا إلى الله ، وأن يكون باذلاً لا مبذولاً له ، وكثير من أخلاق الإسلام لها صلة بالاحتراف والاسترزاق كالعفاف والسخاء والعطاء والمواساة وإكرام الضيف .

ب - تبصيره بالجانب التعبدي في الصناعات :

وهو ما يغفل عنه الكثيرون ، فبصلاح النية وبقصد الاستعفاف ونفع المسلمين

---

(١) سورة الجمعة : الآية ١٠ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٨٠ .

(٣) رواه البخاري في كتاب البيوع حديث رقم (٢٠٧٢) .

(٤) رواه البخاري في كتاب المساقاة (٢٣٧٣) ، وابن ماجه في كتاب الزكاة (١٨٣٦) ، وأحمد في مسند العشرة (١٣٣٣) .

وغيرهم تصبح المهن والحرف والصناعات عبادة يؤجر عليها المسلم ، وبفقه هذا الأصل يصبح المسلمون من أرباب الصناعات في العالم بدلاً من كونهم أمة مستهلكة في الأغلب ، وقد نبه إلى معنى التعبد في الصناعات علماء الإسلام ، فهذا ابن تيمية -رحمه الله- يقول : «إذا احتاج المسلمون إلى الصناعات كالفلاحة والنساجة والبناية ، فعلى أهلها بذلها لهم بقيمتها ، كما عليهم بذل الأموال التي يحتاج إليها بقيمتها إذ لا فرق بين بذل الأموال وبذل المنافع ، بل بذل المنافع التي لا يضر بذلها أولى بالوجوب والمعاوضة ، ويكون بذل هذه فرضاً على الكفاية ، وقد ذكر طائفة من العلماء من أصحابنا وغيرهم : أن أصول الصناعات كالفلاحة والحياكة والبناية فرض على الكفاية ، والتحقيق أنها فرض عند الحاجة إليها وأما مع إمكان الاستغناء عنها فلا تجب إلى آخر كلامه . . . إلى أن قال : «ولكن أكثر الناس يفعلون هذا بحكم العادات والطباع وطاعة السلطان غير مستشعرين ما في ذلك من طاعة الله ورسوله ، وطاعة أولي الأمر فيما أمر الله بطاعتهم فيه»[1] .

ج - تعليمه الأحكام المتعلقة بالحرف والصناعات :

ما يباح منها وما يحرم ، وما يجوز منها وما لا يجوز ، فلا يجوز -على سبيل المثال- بيع الخمور ولا التماثيل ولا أكل الربا ، وورد النهي عن ثمن الكلب ومهر البغي ، كما ورد النهي عن الغش ، والبيوع المحرمة واحتكار الطعام للإضرار بالآخرين ، وتصريف البضاعة بالحلف الكاذب ، وتلقي الركبان ، وورد الأمر بإيفاء المكاييل والموازين وصدق المعاملة والأمانة ، كما ورد فضل إقالة المسلم وفضل التاجر الصدوق ، وفضل المسلم السمح في بيعه وشرائه وقضائه واقتضائه . . . إلخ .

---

(١) مجموع الفتاوى ١٩٤/٢٩ .

د - مراعاة قدراته العقلية وميوله وملكاته :

فلا يحمل على تعلم صناعة أو حرفة هو لها كاره ! قال ابن القيم : «ومما ينبغي أن يعتمد حال الصبي وما هو مستعد له من الأعمال ومهيأ له منها ، فيعلم أنه مخلوق له ، فلا يحمله على غيره ما كان مأذوناً فيه شرعاً ، فإنه إن حمله على غير ما هو مستعد له لم يفلح فيه وفاته ما هو مهيأ له! فإن رآه حسن الفهم صحيح الإدراك جيد الحفظ واعياً فهذه من علامات قبوله وتهيئه للعلم لينقشه في لوح قلبه ما دام خالياً ، فإنه يتمكن فيه ويستقر ، ويزكو معاً ، وإن رآه بخلاف ذلك من كل وجه وهو مستعد للفروسية وأسبابها من الركوب والرمي واللعب بالرمح وأنه لا نفاذ له في العلم ولم يخلق له مكنه من أسباب الفروسية والتمرن عليها فإنه أنفع له وللمسلمين ، وإن رآه بخلاف ذلك وأنه لم يخلق لذلك ورأى عينه مفتوحة إلى صنعة من الصنائع مستعداً لها قابلاً لها وهي صناعة مباحة نافعة للناس فليمكنه منها . هذا كله بعد تعليمه ما يحتاج إليه في دينه فإن ذلك ميسر على كل أحد لتقوم حجة الله على العبد ، فإن له على عباده الحجة البالغة كما له عليهم النعمة السابغة[1] .

هذا ولكل من الأب والأم دور لا يكمل ولا يزكو إلا بتعاون صاحبه لذا جعل الشارع تربية الولد مسئولية الأبوين معاً فقال : **«فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»** ومهما كانت التربية حسنة أو ذميمة فإن الأبوين يتحمل كل واحد منهما كفلاً من تبعاتها .

---

(١) تحفة المودود ص ١٤٧ - ١٤٨ .

المبحث الثالث : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكرداخل نطاق الأسرة

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سمة المؤمنين قال تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1] .

وفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما أنها شعار المجتمع الإسلامي كله ، إذ يجب أن تكون بين المسلمين أمة تقوم بهذا الواجب الجليل عملا بقول الباري جل ذكره : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2] ، فإن هذه الفريضة كذلك في حق الأبوين وغيرهما من أفراد الأسرة آكد ، كل بحسب استطاعته وولايته ، لا سيما الأب بمقتضى قوامته على من جعله الله تحت ولايته من النساء والذرية لأن الاستطاعة والقدرة في حقه متحققة في الأغلب .

وهذا باب عظيم الأثر كثير الجدوى والنفع ، إذ لو قام كل مسلم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل بيته وفي نطاق ولايته وأسرته لاختفت المنكرات الظاهرة من المجتمع ولأصبح مجتمعاً هو أقرب إلى التقوى والإحسان .

وأجمل فيما يلي أهم أبواب المعروف الذي يؤمر به داخل البيوت مما يغلب وقوعه وتمس الحاجة إليه :

- إحياء السنة وإماتة البدعة :

فلقد درج على هذا السلف الصالح ، ونشأ عليه أولادهم وذراريهم ، وهمة المسلم الصادق اتباع السنة في كل شئونه وترك البدع ، وفي ذم البدع حديث

---

(١) سورة التوبة : الآية ٧١ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٠٤ .

عائشة رضي الله عنها قالت : قال النبي ﷺ : **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»** . وفي رواية : **«من أحدث في أمرنا هذا . . .»**[1] . وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمه ﷺ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات . . . وفيه رد كل المحدثات سواء أحدثها الفاعل أو سبق بإحداثها[2] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : **«أبغض الناس إلى الله ثلاثة : ملحد في الحرم ، ومبتغ في الإسلام سنة جاهلية ، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه»**[3] .

وفي إحياء السنة حديث جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : **«من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ، ولا ينقص من أوزارهم شيء»**[4] .

والسنن المتروكة تختلف باختلاف البيئة ونمط الثقافة وأسلوب الحياة وكذلك البدع فهي على دركات ، الأب الحصيف يعالج المشكلة بأسلوب حكيم وسعة صدر وتدرج وتأن وهو يدرك أهمية إحياء السنن وآثار إهمال البدع ، وأنه ما ظهرت بدعة إلا ونسيت مكانها سنة وتلك ثلمة في الدين يوشك إن أهملت أن تضيع معالم الدين كله .

- الكسل عن أداء العبادات :

وهو عامة المنكرات في البيوت ، وأهم العبادات التي يؤمر بها إقامة الصلوات المفروضة في أوقاتها بكامل أركانها وشروطها وواجباتها ، يؤمر بها الولد من الجنسين

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الصلح (٢٦٩٧) ، ومسلم في كتاب الأقضية (١٧١٨) .

(٢) المنهاج للنووي ٢٥٧/١٢ .

(٣) رواه البخاري في كتاب الديات (٦٨٨٢) .

(٤) رواه مسلم في كتاب العلم (١٠١٧) ، والترمذي في كتاب العلم (٢٥٩٩) ، والنسائي في كتاب الزكاة (٢٥٥٤) ، وابن ماجه في المقدمة (٢٠٣) ، وأحمد في مسند الكوفيين (١٨٣٦٧) .

منذ سن التمييز كما سبق ذكره ، وتأمل قول الله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾(١) ، وقوله عن لقمان : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾(٢) .

ومما يتعلق بالصلاة إيقاظ الأولاد لصلاة الفجر باتخاذ الأساليب والأسباب المناسبة لذلك ومنها التربية والتعويد على الأذكار المشروعة الواردة في ذلك ومنها ما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : **«يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة مكانها : عليك ليل طويل فارقد ، فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»**(٣) .

فيأخذ الأب أبناءه إلى المسجد ليتربوا على أداء هذه العبادة الجليلة في جماعة المسلمين في المساجد ، وتراقب الأم -كذلك- بناتها تأمرهم بالصلاة في البيت .

إن الاهتمام بأمر الصلاة وإلزام الأولاد بأدائها وإقامتها على الوجه المطلوب من كبرى دعائم استقرار البيوت وصلاحها ، وإن إهمال ذلك يجر الخيبة والحسرة على المتسبب فيه ، لا سيما الشباب المراهق من الجنسين وغالباً ما يحصل التساهل معهم على الأخص الفتاة المسلمة البالغة التي يجب تعليمها أحكام الطهارة والصلاة .

وانظر كيف عني العلماء بهذا الجانب من الدين ، فهذا ابن تيمية رحمه الله يقول : والمرأة الحائض إذا انقطع دمها في الوقت ولم يمكنها الاغتسال إلا بعد خروج الوقت تيممت وصلت في الوقت ، ومن ظن أن الصلاة بعد خروج الوقت بالماء خير من الصلاة في الوقت بالتيمم فهو ضال جاهل(٤) .

---

(١) سورة طه : الآية ١٣٢ .

(٢) سورة لقمان : الآية ١٧ .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب بدء الخلق (٣٢٦٩) واللفظ له ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين (٧٧٦) .

(٤) مجموع الفتاوي ٣٥/٢٢ .

وقال : لا يجوز لأحد أن يؤخر صلاة النهار إلى الليل ولا صلاة الليل إلى النهار لشغل من الأشغال لا لحصد ولا لحرث ولا لصناعة ولا لجنابة ولا نجاسة ولا صيد ولا لهو ولا لعب ولا لخدمة أستاذ ولا غير ذلك بل المسلمون كلهم متفقون على أن عليه أن يصلي الظهر والعصر بالنهار ويصلي الفجر قبل طلوع الشمس ، ولا يترك ذلك لصناعة من الصناعات ولا للهو ولا لغير ذلك من الأشغال ، ثم ساق رحمه الله حديث ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ : **«من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله»**[1] . وحديث بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : **«من ترك صلاة العصر حبط عمله»**[2] .

وفي وصية أبي بكر رضي الله عنه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : **«إن لله حقاً بالليل لا يقبله بالنهار وحقاً بالنهار لا يقبله بالليل»**[3] .

وهكذا بَيَّنَ أهل العلم أهمية المحافظة على الصلاة والمداومة على إقامتها ، وكذا أمر الزكاة والصوم والحج وسائر الفروض والسنن لا سيما السنن المؤكدة كركعتي الفجر وفي حديث عائشة رضي الله عنها : **«لم يكن النبي ﷺ على شيء من النوافل أشد منه تعاهداً على ركعتي الفجر»**[4] . ولو استرسل القلم في إيراد الأبواب جميعها لطال الحديث ، وحسبنا هذا القدر ، والله الموفق لا إله غيره ولا رب سواه .

- منكرات تتعلق بالنساء :

وهي كثيرة متنوعة ، تختلف باختلاف البيئة والثقافة ، أذكر منها :

(أ) الاختلاط بين الرجال الأجانب والنساء : وهو محرم سواء كان داخل البيت أو خارجه ، وصوره كثيرة منها النظر ، ومنها المصافحة ، ومنها الخلوة ، ومنها الكلام

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة (٥٥٢) ، ومسلم في كتاب المساجد (٦٢٦) واللفظ لمسلم .

(٢) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة (٥٩٤) ، والنسائي في كتاب الصلاة (٤٧٤) ، وابن ماجه في كتاب الصلاة (٦٩٤) ، وأحمد في مسند الأنصار (٢١٨٧٩) .

(٣) مجموع الفتاوى ٢٢/٢٧ - ٢٨ .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الجمعة (١١٦٣) ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين (٧٢٤) .

غير البريء ، ومنها التساهل بالرجال الأقارب كابن العم وابن الخال وأخ الزوج وهو الحمو و«الحمو الموت» . كما قال النبي ﷺ رواه عقبة بن عامر رضي الله عنه[1] .

وفي تحريم الخلوة حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : **«لا يخلون رجل بامرأة ولا تسافرن امرأة إلا ومعها محرم»**[2] .

ومنها أيضاً التبرج والسفور وهو خروج المرأة من بيتها متبرجة متعطرة فاتنة مفتونة تظهر ما أمر الله بستره من زينتها وعورتها ، فتخرج لغير حاجة ، أو تخرج مع سائق ونحوه وليس من محارمها وقد قال الله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾[3] .

(ب) منكرات الزينة : منها الوشم والنمص والفلج ووصل الشعر وتندرج كلها في الزينة المنهي عنها ، والوشم حشو الكحل ونحوه تحت الجلد في أشكال معينة ليبقى زمناً مديداً ، والنمص الأخذ من شعر الحاجبين ليبدو رقيقاً والفلج استخدام المبرد بين الأسنان لتتباعد ، وقد ورد في كل من هذه الأفعال التجميلية لعن ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : **«لعن الله الواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة»**[4] .

وفي حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : **«لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله تعالى ما لي لا ألعن من لعن النبي ﷺ »**[5] .

وعلى العموم فإن فتنة النساء اليوم على أشدها وعلاج هذه الفتنة يبدأ من داخل البيت بحسن التربية والتأديب ، وبالحكمة في أسلوب التقويم والتهذيب لتكون المسلمة مقبلة على تعاليم الدين الحنيف وأخلاقه وآدابه عن رضا وقناعة

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب النكاح (٥٢٣٢) ، ومسلم في كتاب النكاح (٢١٧٢) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الجهاد (٣٠٠٦) ، ومسلم في كتاب الحج (١٣٤١) واللفظ للبخاري .

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٣٣ .

(٤) رواه النسائي في كتاب الزينة حديث (٥١٠١) ، والبخاري في كتاب اللباس حديث (٥٩٣٤) ، ومسلم في كتاب اللباس (٢١٢٤) ، واللفظ للنسائي .

(٥) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب اللباس (٥٩٣١) ، ومسلم في كتاب اللباس حديث (٢١٢٥) .

وإيمان ، ولو أهمل هذا الجانب من حياة المسلمين لعمت الفتن وطمت المحن وكيف وقد قال النبي ﷺ : «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**» رواه أسامة بن زيد رضي الله عنه[1] .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «**صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»[2] .

وفتنة النساء اليوم على أشدها لا سيما أن جيلنا يعيش عصر الإعلام المؤثر بكل صوره المقروءة والمسموعة والمرئية ، وأصبحت السلامة من هذه الفتنة أمراً عسيراً إلا من رحم الله ، واستغل ذلك أعداء الإسلام فتفننوا في تزيين الشهوات بكل صور الإغراء لتفكيك وإغواء الأسرة المسلمة وإضعاف المجتمع الإسلامي ، ومن ثم تقويض صرح الإسلام ، والله بما يعملون محيط .

لذا كان قيام أفراد الأسرة المسلمة -كل بحسب قدرته وموقعه ومسئوليته- بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمناصحة والتذكير والتواصي بالحق والتواصي بالصبر أمراً لا مندوحة عنه ، سلوكاً لنهج المسلمين ودرءاً للأخطار الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والثقافية المدمرة التي تحيق بالأسرة فالمجتمع فالأمة إن توانى المسلمون في إقامة هذه الشعيرة الإسلامية الجليلة .

- ومن منكرات البيوت مما يتعلق بالأخلاق والآداب :

(أ) الانشغال باللهو : وقد أضحى اللهو في عصرنا (فنا) ينال كل أحد ! واللهو منه المحرم ومنه المكروه ومنه المباح لكن بقدر ، ولئن كان الدين الحنيف لم ينه عن اللهو المباح والترفيه والترويح في حدود الشرع ، إلا أنه يحرم الخلود إليه والاشتغال به اشتغالاً تضيع معه الصلوات وينغمس المرء في الشهوات فيصبح

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب النكاح (٥٠٩٦) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء (٢٧٤٠) .

(٢) رواه مسلم في كتاب اللباس حديث (٢١٢٨) ، وأحمد في مسند المكثرين حديث (٨٣١١) .

كمدمن خمر أو عابد وثن ! لا يكترث بالمصير ولا الجزاء ولا يعرف موتاً ولا حياة ولا نشورا ، كما قال تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾[1] .

والخلف : هم كل من كان بعد النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم إلى يوم القيامة ، وإضاعة الصلاة تأخيرها عن وقتها وقيل تركها وقيل الإخلال بشروطها[2] . وهذا كله يحصل بالانغماس في اللهو والشهوات والافتتان بزخارف الدنيا .

فمن مسئوليات الوالدين لا سيما الأب العمل الدائب على وقاية الأولاد مساوئ الانغماس في اللهو وإدمانه وهو ما يصير إليه الولد إن أهمل في نشأته ولم يبصر بالصالح والطالح مما يفد إلينا عبر قنوات الإعلام من المجتمعات غير الإسلامية ، الأمر الذي يؤدي بالتدريج إلى الانسلاخ من الدين ، كما أشارت الآية الشريفة بإضاعة الصلوات أولاً ، وباتباع الشهوات والانغماس فيها بعد ذلك .

وقد أصبح منع هذا الغزو الفكري المقنن بالكلية غير مقدور عليه فلم يبق معه إلا التربية الإسلامية السوية بدءاً من داخل البيت مما هو من مسئوليات الآباء تضافراً مع المؤسسات التربوية الأخرى ، وإلا فإن عاقبة الإهمال وخيمة وقد أشار إليها حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : **«ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر [أي الفرج] والحرير والخمر والمعازف ، ولينزلن أقوام إلى جنب علم [أي جبل] يروح عليهم بسارحة لهم [يعني الراعي بغنمهم] يأتيهم [أي الفقير] فيقولون ارجع إلينا غداً ، فيبيتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة»**[3] .

---

(١) سورة مريم : الآيتان ٥٩ ، ٦٠ .

(٢) النكت والعيون ٣٧٩/٣ .

(٣) رواه البخاري في كتاب الأشربة : باب فيما جاء فيمن يستحل الخمر ٥١/١٠ .

(ب) ومن المنكرات قطيعة الرحم، وهجر الأقارب: وقد تمضي أشهر دون أن يعرف عنهم شيئاً فضلاً عن أن يتفقد حاجاتهم ويصلهم، وقد يكون ذلك على مستوى الأفراد أو الأسر وقد قال النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع رحم» رواه جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه [1].

(جـ) ومنها آفات اللسان: وصورها كثيرة، كالسب واللعن والغيبة والكذب والطعن في النسب أو المهنة ونحو ذلك كثير، وكل ذلك فسق في حديث عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[2].

وفي حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»[3].

ومن آفات اللسان التي تعد من أوخم المنكرات الكذب وهو من صفات المنافقين، ولا يكون المسلم الصادق الإسلام كاذباً أبداً، ولهذا لما سئل النبي ﷺ: أيكون المؤمن جبانا؟ قال: «نعم»، قيل: أيكون المؤمن بخيلا؟ قال: «نعم»، قيل أيكون المؤمن كذاباً قال: «لا»! رواه صفوان بن سليم رضي الله عنه [4].

إن تربية الذرية على فضيلة الصدق وتقويم أخلاقهم عليها، وتحذيرهم من منكر الكذب -وهو جامع القبائح والخسائس- من أهم مسئوليات الآباء نحو الأبناء.

وفي حفظ اللسان حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «ومن كان يؤمن بالله واليو م الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[5].

وما من ريب في أن الأبوين هما القدوة العملية المباشرة للأولاد في حسن التأتي في القول وفي تجنب آفات اللسان كلها، فالطفل يرى الأخلاق والمثل

(١) مسلم في كتاب البر والصلة (٢٥٥٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الإيمان حديث (٤٨)، ومسلم في كتاب الإيمان (٦٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الإيمان حديث رقم (١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان حديث (٤٠).

(٤) رواه مالك في الموطأ كتاب الجامع حديث (١٥٧١).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٦٠١٨)، ومسلم في كتاب الإيمان (٤٧).

والقيم وكل المعاني الشريفة من خلال أبويه فيحاكيه ويقلده ويتعلم منه ويرى أن ما عليه أبواه هو الصواب الذي لا محيد عنه ، لذا وجب على الأبوين أن يقوما بدورهما التربوي هذا خير قيام وأن يحترزا من الوقوع في زلل كي لا يتابعا عليه ، وتصور أن ولداً سمع أباه يلعن ويسب بأقبح الأسماء كالكلب والحمار ، وجرب عليه كذباً كيف ينشأ سليم النفس قويم اللسان؟! وقديما قالوا :

وينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان عوده أبوه

وسيأتي حديث آخر عن أخلاق وآداب البيوت في الفصل التالي إن شاء الله .

(د) ومن منكرات البيوت إهمال النظافة :

والمسلم الراشد نظيف البدن طاهر الثياب نقي القلب تقي حفي! والإسلام وهو دين النظافة شرع سلسلة من التدابير الشرعية التي تجعل المسلم طاهراً ودوداً منها الوضوء للصلاة وفيه غسل الأعضاء الظاهرة التي هي مظنة الأوساخ ونقل الجراثيم ، كما أوجب الغسل من الجنابة ومن الحيض والنفاس قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ﴾الآية[1] .

وأرشد ووجه ورغب في غسل يوم الجمعة كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : **«غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم ، وأن يستن وأن يمس طيباً»**[2] . والاستنان هو السواك الذي هو مطهرة للفم مرضاة للرب وفي أهميته حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»**[3] .

فالمسلم طيب الريح نظيف الثياب طاهر القلب يجمع بين الطهارة الحسية

---

(١) سورة المائدة : الآية ٦ .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الجمعة (٨٨٠) واللفظ له ، ومسلم في كتاب الجمعة (٨٤٦) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الجمعة (٨٨٧) واللفظ له ، ومسلم في كتاب الطهارة (٢٥٢) .

والمعنوية ، إن نسي شيئاً من ذلك ذكر فتذكر وإن تركه تهاوناً أنكر عليه بالأسلوب الحكيم وبالتي هي أحسن ، وتأسيس هذا المفهوم التربوي يبدأ -ولا ريب- من داخل البيت المسلم الراشد .

(هـ) ومن المنكرات الإغلاظ في معاملة الخدم ومن في حكمهم : وكذلك التواصي بالشدة عليهم وهو ما يحصل غالباً بين النساء ربات البيوت ، وتأخير مستحقاتهم والمماطلة فيها وهو ينافي أخلاقيات المسلم الواعي المستبصر ، فالاستخدام لا يكون إلا لحاجة وضرورة ، ولا بد من التعامل الحسن بالتلطف والرفق اقتداء بالنبي ﷺ وقد قال أنس رضي الله عنه : **«خدمت النبي ﷺ عشر سنوات فما قال لشيء صنعته ألا صنعت كذا ولا لشيء لم أصنعه ألا صنعت كذا»**[1] .

ومن منكرات الاستخدام استقدام خدم غير مسلمين وتقديمهم على المسلمين سواء كانوا خدم منازل أو سائقين أو مربيات ونحو ذلك وهذا خلاف الأولى .

ويتأكد النهي إن كان في جزيرة العرب التي حض الدين الحنيف على أن تظل أبد الدهر طاهرة من المشركين لا يقطنونها ولا يستوطنونها إلا لحاجة وإلى أجل ، قال النبي ﷺ : **«أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»** رواه ابن عباس رضي الله عنهما[2] .

وفي حديث عمر رضي الله عنه مرفوعاً : **«لا يجتمع دينان في جزيرة العرب»**[3] .

وقد تساهل الناس في هذا ، وتساهل كثير منهم في الاختلاط بالخدم والسائقين والمربيات ، فقد تخرج المرأة العفيفة المصون مع سائق الأسرة في سيارة بمفردهما

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٦٠٣٨) ، ومسلم في كتاب الفضائل حديث رقم (٢٣٠٩) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الجهاد حديث (٣٠٥٣) ، ومسلم في كتاب الوصية حديث (١٦٣٧) وهو جزء من حديث .

(٣) رواه مالك في الموطأ في كتاب الجامع حديث (١٣٨٨) وأصله في الصحيحين البخاري في كتاب الشروط حديث (٢٧٣٠) ، ومسلم في كتاب المساقاة حديث رقم (١٥٥١) .

وهذه خلوة لا يقرها الشرع ولا المروءة ، وقد يختلي رجل بخادمة الأسرة أو بالمربية ، وقد يتورط مراهق في مغازلة خادمة ونحوها وهذه كلها من منكرات البيوت التي يجب على الأبوين إنكارها والعمل على إزالتها وتوقيها قبل استفحال خطرها .

وتأمل كيف منع النبي ﷺ مخنثاً من الدخول على النساء كما في حديث أم سلمة رضي الله عنها أنه ﷺ كان عندها وفي البيت مخنث ، فقال المخنث لأخي أم سلمة عبدالله بن أمية : إن فتح الله عليكم الطائف غداً أدلك على ابنة غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان ! فقال النبي ﷺ : «لا يدخل هذا عليكن»[1] .

- ومن منكرات البيوت مما يتعلق بالجانب الاقتصادي :

(أ) الإسراف في المطعم والمشرب والملبس والمركب والأثاث ، والإسراف والتبذير منهي عنه في كل شيء ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾[2] ، وقال : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[3] ، ودعا إلى التوسط والاعتدال في الإنفاق فقال : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[4] .

ومن صور الإسراف الإسراف في ولائم الزواج ، وفي حفلات التكريم ، وفي الموائد اليومية ، وفي مائدة الإفطار في شهر رمضان ، وفي تغيير أثاث البيت كل عام ونحو ذلك ، وفي تغيير (موديل) السيارة دون حاجة معتبرة سوى التجديد ، وفي اتخاذ النمارق والستور التي فيها تصاوير وفي استخدام عدد من الخدم والسائقين دون حاجة إليهم بل للمباهاة ، وصور الإسراف عديدة لو رحنا نعددها ونضرب عليها الأمثلة لطال بنا المقام .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب النكاح (٥٢٣٥) ، ومسلم في كتاب السلام (٤٠٦٩) .

(٢) سورة الإسراء : الآيتان ٢٦ - ٢٧ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٣١ .

(٤) سورة الإسراء : الآية ٢٩ .

ولئن كان النبي ﷺ كره ستراً يذكره بالدنيا ودعتها فكيف بما هو أشد من ذلك ، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : «كان لنا ستر فيه تمثال طائر وكان الداخل إذا دخل استقبله ، فقال لي رسول الله ﷺ : «**حولي هذا فإني كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا**»[1] .

هذا ومنكرات البيوت كثيرة تختلف بحسب البيئة ونمط الحياة ودرجة التأثر بروافد الغزو الثقافي ، كما يختلف أسلوب تغيير تلك المنكرات والنهي عنها بحسب المدارك الثقافية وأنماط المؤثرات اليومية التي يتعرض لها الناشئة وقوة الإيمان الذي ينعم به الأبوان المسلمان .

والتوفيق من الله الكبير المتعال لا راد لفضله ولا معقب لحكمه وهو العليم الخبير .

---

(١) رواه مسلم في كتاب اللباس حديث رقم (٢١٠٧) .

الفصل الرابع

مسئوليات الآباء التربوية والأخلاقية

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول :

إلزام الأولاد أداء العبادات المفروضة والمسنونة بدءا بأركان الإسلام .

المبحث الثاني :

البدء بتعليم الأولاد القرآن العظيم وتحفيظهم إياه وأثر ذلك .

المبحث الثالث :

التنشئة بأسلوب القدوة العملية والتعويد والترغيب والترهيب على مكارم الأخلاق .

المبحث الرابع :

تحصين الأولاد ضد الغزو الفكري ، وبيان أهم مبادئ الإسلام في ذلك .

المبحث الخامس :

مسئولية الآباء تجاه الأولاد بعد سن البلوغ والرشد .

المبحث الأول :إلزام الأولاد أداء العبادات المفروضة والمسنونة بدءاً بأركان الإسلام

الإسلام دين الله الخالد الذي لا يقبل ديناً غيره ، وهو في مفهومه الأشمل يتضمن الإيمان والعمل ، العقيدة والشريعة ، الأخلاق والمعاملات ، وأحكامه كما بينها العلماء متنوعة بين الوجوب والاستحباب في جانب الطاعات ، وبين التحريم والكراهة في جانب المنهيات .

والأبوان من حيث ولايتهما على الأولاد دون سن البلوغ -لا سيما الأب باعتبار قوامته على من في البيت- من واجباتهما الشرعية إلزام الأولاد بالعبادات تعويداً وتعليماً ، وتربية وتقويماً ، تعاوناً وتعاضداً ، أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ، أداء للأمانة وقياماً بالواجب .

وهنا أفرد الحديث عن واجب الآباء في هذا المضمار من حيث (الإلزام) فأقول :

يعطي الإسلام الآباء مقومات الإلزام من منطلق الولاية والرعاية التي يتحملونها تجاه الأولاد ، فالأولاد أمانة في أعناق الوالدين ، والأمانة حقها الأداء لا الإضاعة ! .

ومن الأداء للأمانة إلزام الولد بأداء فرائض الدين وأداء الحقوق لأهلها ، تربية وتقويماً ، وتعليماً وتهذيباً ، يتبين ذلك من خلال النصوص الآتية :

– قول الباري جل ذكره : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[(1)] .

– قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾[(2)] .

(١) سورة طه : الآية ١٣٢ .

(٢) سورة مريم : الآية ٥٤ – ٥٥ .

- قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[1] .

- حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : **«لقد هممت أن آمر بحطب ثم آمر بالصلاة يؤذن لها ، ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم! والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقاً سميناً أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء»**[2] .

قوله : **«عرقاً سميناً»** العرق بالسكون العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم[3] .

وقوله : **«مرماتين حسنتين»** المرماة ظلف الشاة وقيل ما بين ظلفيها ، وقيل المرماة السهم الصغير الذي يتعلم به الرمي وهو أحقر السهام وأدناها ، أي لو دعي إلى مرماتين لأجاب وهو لا يجيب إلى الصلاة[4] .

- حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ : **«لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ! ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه ! ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا»**[5] .

ومعنى قوله : **«استهموا»** أي لو يعلم الناس فضل الأذان والصف الأول ولم يقدروا عليه إلا بالاقتراع لاقترعوا وأخذ كل واحد نصيباً بطريق إجراء القرعة ، والحبو المشي على اليدين والركبتين كما يفعل الأطفال الرضع !

يؤخذ من هذه النصوص وأمثالها في مضمار إلزام الأولاد أداء العبادات :

(أ) أن المسلم يحرص على أن لا يفوته الخير والفضيلة مما يعد من الفروض التي لا يصح التفريط فيها ولا التكاسل عنها ، فهو يحافظ على شعائر الدين في

---

(١) سورة الحج : الآية ٤١ .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأحكام (٧٢٢٤) واللفظ له ، ومسلم في كتاب المساجد حديث رقم (٦٥١) .

(٣ ، ٤) النهاية لابن الأثير ٩٩/٣ ، وأيضاً ١١٣/٢ .

(٥) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الشهادات (٢٦٨٩) ، ومسلم في كتاب الصلاة (٤٣٧) .

نفسه وولده ومن تحت رعايته وولايته ، وأن المسلم يلزم أولاده ذكوراً وإناثاً كلاً بحسبه بالعبادات لا سيما أصولها وهي : الصلاة والصيام وقراءة القرآن ، وهي التي جاء ذكرها في الصحيحين كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه لما أتاه النبي ﷺ وقال : «**ألم أحدث أنك قلت لأصومن النهار ولأقومن الليل ولأقرأن القرآن في ثلاث**»؟ قال : بلى ! قال : «**فلا تفعل ! فإنك إذا فعلت ذلك هجمت له العين ونقهت له النفس**»[1] . ثم أمره بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وهذه العبادات هي المعروفة في حديث الخوارج : «**يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم ، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**» رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه [2] [3] .

(ب) أن الغلام والجارية يؤدبان على الطهارة إذا تمت لهما عشر سنوات .

قال ابن قدامة : يجب على ولي الصبي أن يعلمه الطهارة إذا بلغ سبع سنين ويأمره بها ويؤدبه عليها إذا بلغ عشر سنين ، والأصل في ذلك حديث سبرة الجهني عن أبيه عن جده رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين واضربوه عليها ابن عشر**»[4] .

---

(١) قوله : (هجمت له العين) أي غارت ودخلت في موضعها ، ومنه الهجوم على القوم أي الدخول عليهم : النهاية ٢٥٦/٤ . وقوله : (نقهت له النفس) أي مرضت واعتلت أو لم تستصح كما ينبغي .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب استتابة المرتدين حديث رقم (٦٩٣٠) ، ومسلم في كتاب الزكاة حديث رقم (١٠٦٦) .

(٣) مجموع الفتاوى ٣٩١/١٠ .

(٤) رواه أبو داود في كتاب الصلاة (٤٩٤) ، والترمذي في كتاب الصلاة (٤٠٧) واللفظ له وقال : حسن صحيح ، وأحمد في مسند المكثرين حديث (٦٤٦٧) ، والدارمي في كتاب الصلاة حديث رقم (١٣٩٥) ، واللفظ للترمذي والدارمي .

يقول الإمام العلامة ابن القيم -رحمه الله- : والصبي وإن لم يكن مكلفاً فوليه مكلف لا يحل له تمكينه من المحرم فإنه يعتاده ، ويعسر فطامه عنه ، وهذا أصح قولي العلماء ، واحتج من لم يره حراماً عليه بأنه غير مكلف ، فلم يحرم لبسه للحريركالدابة ، وهذا من أفسد القياس ، فإن الصبي وإن لم يكن مكلفاً فإنه مستعد للتكليف ، ولهذا لا يمكن من الصلاة بغير وضوء ، ولا من الصلاة عرياناً ، ونجساً ، ولا من شرب الخمر والقمار واللواط[1] .

وسن الإلزام هو سن العاشرة ، إذ يبتدئ بتعليمه الصلاة وغيرها من العبادات في سن السابعة ويؤدبه عليها في سن العاشرة .

قال ابن القيم : فإذا صار ابن عشر ازداد قوة وعقلاً واحتمالاً للعبادات ، فيضرب على ترك الصلاة كما أمر به النبي ﷺ ، وهذا ضرب تأديب وتمرين ، وعند بلوغ العاشرة يتجدد له حال أخرى يقوى فيها تمييزه ومعرفته ، ولذلك ذهب كثير من الفقهاء إلى وجوب الإيمان عليه في هذه الحال وأنه يعاقب على تركه ، وهذا اختيار أبي الخطاب وغيره وهو قول قوي جداً ، وإن رفع عنه قلم التكليف بالفروع ، فإنه قد أعطي آلة معرفة الصانع والإقرار بتوحيده وصدق رسله ، وتمكن من نظر مثله واستدلاله كما هو متمكن من فهم العلوم والصنائع ومصالح دنياه ، فلا عذر له في الكفر بالله ورسوله ، مع أن أدلة الإيمان بالله ورسوله أظهر من كل علم وصناعة يتعلمها[2] .

وإذا بلغ الفتى أو الفتاة سن الخامسة عشرة أو قريباً منها أو ظهرت عليهما أمارات البلوغ فقد بلغا مبلغ الرجال والنساء ، وصار إلزامهما بالفرائض آكد وجرت عليهما أحكام البالغين الراشدين .

---

(١) تحفة المودود ص ١٤٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١٧٥ .

المبحث الثاني : البدء بتعليم الأولاد القرآن العظيم وتحفيظهم إياه وآثار ذلك

القرآن العظيم كتاب الله يهدي للتي هي أقوم وإلى صراط مستقيم .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾(1) .

والقرآن العظيم كما أنه كتاب هداية وإصلاح هو كذلك كتاب تربية وتهذيب ، يتضمن منهاج الحياة السوية ، بل لا منهج تربوياً كاملاً في مضامينه شاملاً في مقاصده كالمنهج القرآني الجليل !

ولقد كان النبي ﷺ منذ فجر الإسلام يربي أصحابه على القرآن العظيم تلاوة وحفظاً وتدبراً وعملاً وتطبيقاً ، يقول الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(2) . ومن معطيات الآية الشريفة أن الأمة كي تزكو وترشد إنما تؤسس كافة أنماط حياتها على أسس التربية الإسلامية وهي تلاوة الكتاب بمعنى القراءة والعمل وعلى تزكية النفس بصنوف الطاعات والقربات ، وتعلم الحكمة وهي السنة .

وإنه لمن خصائص الأمة المحمدية أنها أمة القرآن ، تحمله في قلوبها وتطبقه في حياتها وترجع إليه في كافة شؤونها ، فالقرآن العظيم متلو على الألسن محفوظ في الصدور وعلى السطور ، قال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(3) .

---

(1) سورة الإسراء : الآية ٩ .

(2) سورة الجمعة : الآية ٢ .

(3) سورة العنكبوت : الآية ٤٩ .

والمؤمنون هم الذين حملوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ وحملوه بعده ، وإنما أعطي الحفظ هذه الأمة ، وكان من قبلهم لا يقرؤون كتابهم إلا نظراً فإذا أطبقوه لم يحفظوا ما فيه سوى الأنبياء[1] .

ولو تأملنا سيرة النبي ﷺ وسيرة أصحابه رضوان الله عليهم لرأينا أنهم كانوا يتلون القرآن العظيم ويتخذونه عملاً يومياً لا ينفكون عنه فكانوا يحزبون القرآن أي يجزؤونه ليسهل ترداده وحفظه وكانوا يحفظونه وهم أمة أمية تلقياً ومشافهة من النبي ﷺ في صلواته وغيرها ، فالقرآن روح الأمة الإسلامية ومصدر عزها وسبب فلاحها في الدنيا والآخرة ، والمسلمون تقاس استقامتهم بمقدار تمسكهم بكتاب ربهم عز وجل :

– ففي حديث عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي**»[2] .

قال ابن حجر : يعرض –بكسر الراء– من العرض وهو بفتح العين وسكون الراء ، أي يقرأ ، والمراد يستعرضه ما أقرأه إياه ، والمعارضة مفاعلة من الجانبين ، كأن كلاً منهما كان تارة يقرأ والآخر يستمع[3] .

– ويقول أوس بن حذيفة رضي الله عنه لقد أبطأ علينا رسول الله ﷺ ذات ليلة ، قال : «**إنه طرأ عليّ حزبي من القرآن فكرهت أن أخرج حتى أتمه**» ، قال أوس : فسألت أصحاب النبي ﷺ كيف تحزبون القرآن؟ قالوا : ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة سورة وثلاث عشرة سورة وحزب المفصل من قاف حتى يختم[4] .

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٣٧٨/٦ .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب المناقب (٣٦٢٤) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة حديث رقم (٢٤٥٠) .

(٣) الفتح ٤٣/٩ .

(٤) رواه أبو داود في كتاب الصلاة (١٣٩٣) ، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة (١٣٤٥) ، وأحمد في مسند المدنيين (١٥٥٧٨) واللفظ له .

- ويقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : لقد تعلمت النظائر التي كان النبي ﷺ يقرؤهن اثنين اثنين في كل ركعة : عشرون سورة من أول المفصل آخرهن الحواميم حم الدخان وعم يتساءلون[1] .

- ويقول عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه : ما من المفصل سورة صغيرة ولا كبيرة إلا وقد سمعت رسول الله ﷺ يؤم الناس بها في الصلاة المكتوبة[2] وهذا غيض من فيض .

لقد كان هذا هو دأب الصحابة رضوان الله عليهم في أنفسهم وفي أولادهم ، وهم أكرم الأجيال وخيرها وأفضلها ، يحفظون القرآن ويحفظونه أولادهم تلقياً عن رسول الله ﷺ في صلواته وغيرها حتى كان حفظ القرآن وتلاوته وتلقيه جزءاً من حياتهم اليومية .

وفيما يلي نماذج كريمة لأبناء الصحابة رضوان الله عليهم وكيف كان تعليمهم وتربيتهم مؤسسين على القرآن العظيم وكيف كان تنافسهم في حفظه وتلاوته ، وذلك جزء من المنهاج النبوي في التربية :

- يقول البراء رضي الله عنه :

أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ، فجعلا يقرئاننا القرآن ، ثم جاء عمار وبلال وسعد ، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ، ثم جاء النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله ﷺ قد جاء فما جاء حتى قرأت ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ في سورة مثلها[3] .

- ويقول عبدالله بن العباس رضي الله عنهما : «توفي رسول الله ﷺ وأنا

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن حديث رقم (٤٩٩٦) ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين حديث رقم (٨٢٢) .

(٢) رواه أبو داود في كتاب الصلاة (٨١٤) .

(٣) رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن (٤٦٥٧) ، وأحمد في مسند الكوفيين (١٧٧٧٩) .

ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم» قال سعيد بن جبير : قلت له وما المحكم؟ قال : المفصل[(١)] [(٢)] .

– ولقد كان جل الصحابة يحزبون القرآن أحزاباً يقرأون الحزب بحسب استطاعتهم وقدرتهم كما سبق في حديث أوس ﷺ وفيه أن أصحاب النبي ﷺ كانوا يحزبون القرآن ثلاث سور ، وخمس سور ، وسبع سور ، وتسع سور ، وإحدى عشرة سورة ، وثلاث عشرة سورة ، وحزب المفصل من قاف حتى يختم[(٣)] .

وهذا التحزيب للقرآن هو أعدل ما يلزم به المسلم نفسه لا سيما إن أراد حفظ القرآن وتعاهده خشية التفلت ، وبه يختم القرآن العظيم كل أسبوع مرة ، وقد ذكر العلماء أوجهاً لتحديد هذا الحزب القرآني أوفقها ما ذكره الحافظ ابن كثير –رحمه الله– قال : إذا عددت ثمانياً وأربعين سورة فالتي بعدهن سورة ﴿قٓ﴾ وبيانه ثلاث : البقرة وآل عمران والنساء ، وخمس : المائدة والأنعام والأعراف والأنفال وبراءة .

وسبع : يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل . وتسع : سبحان والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان .

وإحدى عشرة : الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان والٓمٓ السجدة والأحزاب وسبأ وفاطر ويٓس . وثلاث عشرة : الصافات وصٓ والزمر وغافر وحٓم السجدة وحٓم عٓسٓقٓ والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف والقتال والفتح والحجرات . ثم بعد ذلك الحزب المفصل كما قاله الصحابة رضي الله عنهم[(٤)] .

– وكانوا يرتلون القرآن آناء الليل وآناء النهار ، وكان أكثر تلاوتهم بالليل بعد

(١) المفصل : السور التي يكثر الفصل فيها وهي عند الجمهور من سورة ﴿قٓ﴾ إلى آخر القرآن .

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن (٥٠٥٣) ، وأحمد في مسند بني هاشم (٢١٦٩) .

(٣) رواه أ بو داود وابن ماجه وأحمد وقد سبق قريباً ، ص ١٦٢ .

(٤) تفسير ابن كثير ٢٣٢/٤ .

فراغهم من المشاغل والمهن ، ولأن ناشئة الليل أشد وطئاً وأقوم قيلا ، وكانت بيوتهم تعرف في ظلمة الليل بأصواتهم من القرآن ! كما في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : **«إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار»**[1] .

وبلغ من اهتمامهم بتعلم وتعليم القرآن أن كان أحدهم قد لا يملك من حطام الدنيا شيئاً لكنه يحفظ سوراً من القرآن يرددها ويتدبر فيها ويعتز بها والأمثلة عليه أكثر من أن تحصر ، كما في قصة الواهبة نفسها لما خطبها أحد الصحابة فقال له ﷺ : **«التمس ولو خاتماً من حديد» فما وجد ثم قال له : ماذا معك من القرآن؟! فراح يعدد السور فقال له : «ملكتكها بما معك من القرآن»** رواه سهل بن سعد رضي الله عنه [2] .

وهناك مسائل تتعلق بهذا الموضوع مثل الترتيل والتجويد والتلقي عن مقرئ ومراجعة المحفوظ وتعهده خشية التفلت وتحين الأوقات المناسبة للترتيل والمراجعة ، يجمل بالأب الذي يود أن ينشأ ولده في رياض القرآن الإلمام بها[3] .

وجدير بالتنويه هنا في ختام هذا المبحث الإشادة بحفظة القرآن الكريم وطلابه في المملكة العربية السعودية مهبط الوحي ومأرز الإيمان ، وما يحظون به من تشجيع وتكريم وذلك من خلال مدارس تحفيظ القرآن الكريم التابعة لوزارة المعارف ، وحلقات تحفيظ القرآن التي تشرف عليها وزارة الشؤون الإسلامية .

وكذلك مدارس تحفيظ القرآن الكريم التابعة للأزهر الشريف في مصر وغيرها

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب المغازي حديث (٤٢٣٢) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة حديث رقم (٢٤٩٩) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن حديث (٥٠٣٠) ، ومسلم في كتاب النكاح حديث رقم (١٤٢٥) .

(٣) انظر كيف تحفظ القرآن الكريم للمؤلف .

من بلاد المسلمين ، وهذا من عناية الله بعباده وحفظه وصونه لكتابه المبين ، وتوفيقه لعباده الصالحين .

هذا ولئن كانت الناشئة عماد الأمة وأمل المستقبل فحري أن تنشأ على مائدة القرآن وأن تنهل من معينه الذي لا ينضب ، وأن يكون القرآن العظيم وهو كلام الله جل ذكره الهاجس الأكبر للولد يقرؤه ويردده غدواً وعشيا في الخلوة والجلوة ، يتلوه تدبراً وتفكراً قراءة وعملاً ، حتى إذا شب عن الطوق شب وقد امتلأ صدره بنور القرآن وشغف قلبه بحبه فكان تقياً نقياً عالماً عاملاً ، وأي سعادة يحصلها الإنسان بعد هذه؟! .

المبحث الثالث : التنشئة بأسلوب القدوة العملية والتعويد والترغيب والترهيب على مكارم الأخلاق

الأخلاق هي لب الإسلام وجوهره ، لأن الإسلام في حقيقته إنما هو دعوة إلى مكارم الأخلاق كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»(١) . فمفتتح الأخلاق ومبتدؤها الإخلاص لله تعالى ، وهو مقصد التربية الإسلامية وهدفها الأجل .

والأبوان المسلمان الواعيان ينبغي قبل كل شيء أن يحققا الإخلاص لله تعالى ، وأن يتحليا بمكارم الأخلاق ليكون تعليمهم الأولاد ذلك وتربيتهم عليه بأسلوب القدوة العملية التي هي أعمق تأثيراً من الأسلوب الخطابي أو التلقين أو التذكير أو غيرها من أساليب التعليم .

ولقد أمر القرآن العظيم عموم المسلمين بالتحلي بمكارم الأخلاق ومجامعها ونهاهم عن رذائلها قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٢) .

كما شنع على الذين يقولون ما لا يفعلون ، الذين تخالف أقوالهم أفعالهم ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾(٣) .

ونوه بقيمة الكلمة التي يتبعها عمل وقدوة صالحة يراها الولد في أبويه أو أحدهما ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾(٤) .

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسند المكثرين حديث رقم (٨٥٩٥) .

(٢) سورة النحل : الآية ٩٠ .

(٣) سورة الصف : الآيتان ٢ - ٣ .

(٤) سورة مريم : الآية ٢٨ .

إن تربية الأولاد على الأخلاق الإسلامية مهمة جليلة ، بل هي المهمة الأساس التي تناط بالآباء فليس أحد أقدر من الوالدين على ترسيخ الأخلاق في فؤاد الولد وتحويرها على النمط المتوخى وحمايته من المؤثرات السلبية .

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- : «ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خُلقه فإنه ينشأ على ما عوده المربي في صغره من حرد[1] وغضب ولجاج ، وعجلة وخفة مع هواه وطيش ، وحدة وجشع ، فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك ، وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له فلو تحرز منها غاية التحرز فضحته ولا بد يوماً ما ، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم وذلك من قبل التربية التي نشأوا عليها !» .

وكذلك يجب أن يتجنب الصبي إذا عقل مجالس اللهو والباطل والغناء وسماع الفحش والبدع ومنطق السوء ، فإذا علق بسمعه عسر عليه مفارقته في الكبر وعز على وليه استنقاذه منه ! فتغيير العوائد من أصعب الأمور يحتاج صاحبه إلى استجداد طبيعة ثانية ، والخروج على حكم الطبيعة المعتادة عسر جداً .

وينبغي لوليه أن يجنبه الأخذ من غيره غاية التجنب ، فإنه متى اعتاد الأخذ صار له طبيعة ، ونشأ بأن يأخذ لا بأن يعطي ! ويعوده البذل والإعطاء ! وإذا أراد الولي أن يعطي أحداً شيئاً أعطاه إياه على يده ليذوق حلاوة الإعطاء !

ويجنبه الكذب والخيانة أعظم مما يجنبه السم الناقع فإنه متى سهل له سبيل الكذب والخيانة أفسد عليه سعادة الدنيا والآخرة وحرمه كل خير .

ويجنبه الكسل والبطالة والدعة والراحة ، بل يأخذه بأضدادها ، ولا يريحه إلا بما يجم نفسه وبدنه للشغل ، فإن للكسل والبطالة عواقب سوء ومغبة ندم ، وللجد والتعب عواقب حميدة إما في الدنيا وإما في العقبى وإما فيهما ، فأروح الناس أتعب الناس و أتعب الناس أروح الناس ، فالسيادة في الدنيا والسعادة في

(١) الحرد : سرعة الغيظ ، قال في المعجم الوسيط ١٦٥/١ : حرد اغتاظ فتحرش بالذي غاظه وهمّ به .

العقبى لا يوصل إليهما إلا على جسر من التعب ، ويعوده الانتباه آخر الليل فإنه وقت قسم الغنائم وتفريق الجوائز ، فمستقل ومستكثر ومحروم ، فمتى اعتاد ذلك صغيراً سهل عليه كبيرا»[1] .

وقال : «ويجنبه فضول الطعام والكلام والمنام ومخالطة الأنام ، فإن الخسارة في هذه الفضلات تفوت على العبد خير دنياه وآخرته ، ويجنبه مضار الشهوات المتعلقة بالبطن والفرج غاية التجنب ، فإن تمكينه من أسبابها والفسح له فيها يفسده فساداً يعز عليه بعده صلاحه ، وكم ممن أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله وترك تأديبه وإعانته له على شهواته ، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه ، وأنه يرحمه وقد ظلمه ! ففاته انتفاعه بولده وفوت عليه حظه في الدنيا والآخرة ، وإذا اعتبر الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء» .

وهذا ولا يخفى أهمية إبراز جانب القدوة العملية في أخلاق الوالدين إذ طبع الولد على حب المحاكاة والتقليد ، فهو يرى العالم من خلال ما يلقنه الأب والأم ، وتمثل أخلاقهما المعيار الأصدق والأسمى في نظر الطفل ، لذا نوه الحديث الشريف بتأثير الوالدين العميق في (تدين) الولد وتوجهه الفكري والعقدي كما أشار إلى ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **«ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»[2] .**

وعليه فينبغي للآباء توخي الصدق وعفة اللسان والالتزام بسائر الخصال الشريفة التي يأمر بها الدين الحنيف ، والتزامهم بذلك جزء أساس في صلاح البيت وأسلوب رشيد بالغ التأثير في تربية الأولاد على الخلق الفاضل والسمت الكريم .

(١) تحفة المودود ص ١٤٦ .

(٢) متفق عليه ، وقد سبق ص ٥ .

وفيما يلي بعض النماذج المقتبسة من الكتاب العزيز وسنة النبي ﷺ يستضاء بها في هذا المضمار :

- الإخلاص :

الإخلاص لب الدين وحقيقته ، وكلمة الإخلاص «لا إله إلا الله» أساس الدين وأصله الأصيل ، وهو ما اتفقت عليه جميع رسالات الله . قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[١] .

وتربية الولد على الإخلاص في الأقوال والأعمال والمقاصد يبدأ منذ سن التمييز كما سبقت الإشارة إليه ، ليستشعر غايته في كل عمل يؤديه وهي ابتغاء وجه الله ، وبهذه النية الصالحة يرشد مسلكه فيتخلص من أدواء النفس وتتأسس أخلاقه على أساس وطيد ويكتب له ولوليه بذلك الأجر .

قال تعالى : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾[٢] ، فمن أخلص فابتغى وجه ربه رضي عنه وأرضاه بالجزاء الأوفى .

إن للإخلاص في حياة المسلم القيمة العليا والأثر الأكبر ، وإن تربية الولد على هذه الخصلة الشريفة والخلق الأصيل أفضل ما يقدمه والد لولده وفلذة كبده بل هو أجل ما يسديه إليه وينشئه عليه .

- الصدق :

هو مطابقة القول العمل ، وموافقة الكلام الواقع ، قال في مفردات القرآن : الصدق مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معاً ، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقا تاماً[٣] .

والصدق من أمهات الأخلاق ، وهو من خصائص المؤمنين ، يهدي إلى الخير

(١) سورة البينة : الآية ٥ .

(٢) سورة الليل : الآيات ١٩ - ٢١ .

(٣) مفردات القرآن مادة (صدق) ص ٢٧٧ .

وإلى جنات النعيم كما أن الكذب من صفات المنافقين يهدي إلى الشر وإلى عذاب الجحيم ، كما في حديث عبدالله بن مسعود ﷺ قال : قال النبي ﷺ : **«إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكون عند الله صديقا ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا»**[(1)] .

وفي حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **«آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان»**[(2)] .

وتربية الولد على فضيلة الصدق يكون في المقام الأول بالقدوة بأن يلتزم الأبوان وسائر من في البيت بالصدق في القول والعمل ، في الجد والهزل ، ليرى الولد ذلك تطبيقاً عملياً فينشأ عليه ويراه خلقاً حياً فلا ينفك عنه طيلة حياته بعد أن تربى عليه واشتد عوده به .

لقد حرص الدين الحنيف على أن تكون سمة الصدق جلباباً يتحلى به البيت المسلم حتى في أسلوب التعامل مع الأطفال الصغار الذين قد لا يتفطن لنباهتهم ودقة تلقيهم من خلال سلوك الآباء .

وفي حديث عبدالله بن عامر ﷺ قال : **دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا فقالت : ها تعال أعطيك ! فقال لها رسول الله ﷺ : «وما أردت أن تعطيه»؟! قالت : أعطيه تمراً ، فقال لها رسول الله ﷺ : «أما إنك لو لم تعطيه شيئاً كتبت عليك كذبة»**[(3)] .

والأبوان يحتاجان إلى ترغيب الولد في المحاسن وتحبيبها إليه ، فعليهما أن لا يعداه بشيء إلا بنية التحقيق وإن كان من الأمور المحقرة ، وإن كان على سبيل المزح ، ولقد كان النبي ﷺ يمازح أصحابه لكنه كان لا يقول إلا حقا .

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأدب (٦٠٩٤) ، ومسلم في كتاب البر والصلة (٢٦٠٧) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الإيمان (٣٣) ، ومسلم في كتاب الإيمان (٥٩) .

(٣) رواه أبو داود في كتاب الأدب (٤٩٩١) ، وأحمد في مسند المكيين (١٥١٤٧) .

ومن الصدق في القول الاقتصاد في الكلام والاقتصار على النافع منه وهو ما ينبغي ملاحظته في تربية الناشئة وفي حديث حفص بن عاصم رضي الله عنه مرفوعاً : «**كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع**»[1] .

إن الصدق كما أنه سمة البيت المسلم الرشيد ، هو -كذلك- سبيل إلى التحلي بسلسلة لا يستهان بها من مكارم الأخلاق المرتبطة بالصدق كالعفة والأمانة والوفاء ، بل لا تكاد تجد خلقاً فاضلاً إلا وله عُرى تتداخل مع الصدق في وشائج متلاحمة ، وتأمل حديث صفوان رضي الله عنه وفيه قول النبي ﷺ لما سئل أيكذب المؤمن قال : «لا» ![2] فجعل الصدق أمارة الإيمان .

- عفة اللسان :

اللسان آلة النطق والبيان ، وهي نعمة تميز بها الإنسان عن سائر البهائم ، وللسان محاسنه بل لا تجاريه في المحاسن جارحة أخرى ! وللسان -أيضاً- آفاته الموبقة ومزالقه المهلكة ، وعليه فإن مصير الإنسان يتقرر من لسانه ! وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**»[3] .

وبما يستهين به كثير من الآباء حال الغضب الدعوة على الولد فقد يوافق ساعة إجابة فيتسبب في شقاوة ولده وفلذة كبده وقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**ثلاث دعوات مستجابات دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده**»[4] .

(١) رواه مسلم في المقدمة برقم (٥) ، وأبو داود في كتاب الأدب (٤٩٩٣) .

(٢) جزء من حديث رواه مالك في موطئه في كتاب الجامع حديث رقم (١٥٧١) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الرقاق حديث (٦٤٧٧) ومسلم في كتاب الزهد حديث (٢٩٨٨) .

(٤) رواه الترمذي في كتاب الدعوات حديث (٣٤٤٨) وحسنه ، وابن ماجه في كتاب الدعاء (٣٨٦٢) ، وأبو داود في كتاب الصلاة حديث (١٥٣٦) ، وأحمد في مسند المكثرين (٧١٩٧) .

وفي حديث أبي اليسر ﷺ مرفوعاً : «**لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله تبارك وتعالى ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم**»(١) .

وبما يعين الآباء على الالتزام بالكلمة الموفقة المسددة شعورهم بقيمتها وأثرها وتبعاتها كما سبق في حديث من يتزل بكلمته في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب ، وأيضاً التورط في لعن الوالدين وقد حذر منه النبي ﷺ كما في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما : «**إن أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه قال يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه**»(٢) .

وفي اتخاذ السب عادة جرأة عظيمة فلئن كان سب المسلم فسقاً لو سبه مرة واحدة فكيف من يتخذ ذلك عادة ! جاء في حديث عبدالله بن مسعود ﷺ قال : قال النبي ﷺ : «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»(٣) .

ومع ذلك إدراك قيمة الكلمة الطيبة وآثارها في النفس وفي الحياة وقد جاء في حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ : «**الكلمة الطيبة صدقة**»(٤) .

ومن هنا فإن ترويض اللسان على محاسن الأقوال وإلجامه بلجام العفاف والتقوى يبدأ من سن مبكرة ويتحمل الأبوان مسئولياتهما التربوية في تهذيب ألسنة الأولاد .

وأسلوب القدوة من أقوم الأساليب وأنجعها في تربية الناشئة على عفة اللسان ، فإذا كان الولد يسمع من أبويه أو أحدهما بذاءة اللسان من السب واللعن والطعن والتنقص والكذب والنميمة وكثرة الحلف والحلف الكاذب ، قلده في ذلك وجاراه وظن أن هذا من الذكاء والكياسة وترسخ ذلك لديه حتى يصبح ملكة على مر الأيام فيصعب تغييره وتحويره !

---

(١) رواه مسلم في كتاب الزهد حديث (٣٠١٤) ، وأبو داود في كتاب الصلاة حديث (١٥٣٢) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الإيمان حديث (٥٩٧٣) واللفظ له ، ومسلم في كتاب الإيمان (٩٠) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الإيمان حديث (٤٨) ، ومسلم في كتاب الإيمان حديث (٦٤) .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الجهاد حديث (٢٩٨٩) ، ومسلم في كتاب الزكاة (١٠٠٩) .

وأما إذا سمع منه قولاً كريماً ورأى هدياً قويماً تأسى به فصار له طبعاً فسعد وأسعد غيره ! .

إن المسلم يتميز عن غيره بعفة اللسان وسداد القول وهو مظهر من مظاهر سلامة الطوية وتكامل الرشد ، قال الله تعالى : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[١] .

وقال : ﴿ لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾[٢] . وقال : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[٣] . وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾[٤] .

أي قصداً وحقاً وصواباً ، مأخوذ من تسديد السهم ليصاب به الغرض ، والقول السديد يعم الخيرات فهو عام في جميع ما ذكر وغير ذلك[٥] .

ومن هدي النبي ﷺ قول أنس رضي الله عنه : **«لم يكن النبي ﷺ سباباً ولا فحاشاً ولا لعاناً كان يقول عند المعتبة : ما له ترب جبينه»**[٦] .

وقوله : «ترب جبينه» : كلمة تقولها العرب ولا تقصد معناها ، وهو أصابه التراب ولصق به ، وقيل تضمن الدعاء له بالطاعة والصلاة .

ومما يدخل في عفة اللسان الاعتدال في الكلام ويلزم منه ترك المدح بغير علم والمدح المبالغ فيه كما في حديث عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه قال : أثنى رجل على آخر عند النبي ﷺ قال له : **«ويلك ! قطعت عنق أخيك -ثلاثاً- من كان منكم مادحاً لا محالة فليقل أحسب فلاناً والله حسيبه ، ولا أزكي**

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٥٣ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٤٨ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٨٣ .

(٤) سورة الأحزاب : الآية ٧٠ .

(٥) تفسير القرطبي ٢٥٣/١٤ .

(٦) رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٦٠٣١) ، وأحمد في مسند المكثرين حديث (١١٨٢٦) .

على الله أحداً إن كان يعلم»[1] . فلا يمدح إلا بما يعرف ، ولا يمدح إلا إذا وثق من أنه لا يخشى عليه من فتنة الإعجاب بنفسه لكمال تقواه ورسوخ عقله كما يقول النووي[2] .

وهذه الآداب ضرورية للولد منذ تميزه بين الخير والشر ، لأنها تنمي لديه ملكة الموازنة بين المصالح والمفاسد وإدراك عاقبة البر ومساوئ الفحش ، فينشأ نشأة سوية بإذن الله .

- إفشاء السلام :

الإسلام دين السلام والرحمة والوئام ، والسلام أمارة المسلم قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾[3] .

وهو من الأعمال الجليلة ومن أسباب دخول الجنة ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : «**ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم**»[4] .

ولو تأملنا سيرة النبي ﷺ لوجدناها حافلة بتعليم الصغار السلام وتربيتهم وتعويدهم عليه ، تأمل حديث أبي هريرة رضي الله عنه عنه ﷺ : «**يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير**»[5] .

وفي هذا الأمر والتوجه النبوي الكريم إشعار للأولاد الصغار بمكانتهم الاجتماعية وأنهم أهل لمبادلة التحية مع من يكبرونهم سناً أو مقاماً وأن الصغير يحترم الكبير ويبدؤه بتحية السلام ، هذا من الجانب النظري .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأدب حديث رقم (٦١٦٢) ، ومسلم في كتاب الزهد حديث رقم (٣٠٠٠) .

(٢) المنهاج للنووي ١٨/٣٣٦ .

(٣) سورة النساء : الآية ٩٤ .

(٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان حديث (٥٤) ، والترمذي في كتاب الاستئذان حديث (٢٦٨٨) ، وأبو داود في كتاب الأدب حديث (٥١٩٣) ، وابن ماجه في المقدمة حديث رقم (٦٨) .

(٥) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب ١الاستئذان حديث (٦٢٣١) واللفظ له ، ومسلم في كتاب السلام حديث (٢١٦٠) .

أما الجانب التطبيقي فكذلك وهو متمم لجانب التلقين والتعليم ، ولقد مر أنس رضي الله عنه على صبيان فسلم عليهم وقال : «**كان النبي ﷺ يفعله**»(١) . وأحواله ﷺ في هذا أكثر من أن تحصى .

ومن آداب السلام التي ينبغي تربية الولد عليها :

- تعليمه صيغ السلام المشروعة بدءاً ورداً ، أما البدء به فهو فضيلة كما سبق فيسلم الصغير على الكبير ، فيقول السلام عليكم . ولما في إفشاء السلام من تعزيز لأواصر المحبة والألفة والمودة بين المسلمين .
- والصيغة الأكمل وهي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
- وأن رد السلام واجب وبدؤه سنة وفي وجوب الرد قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴾(٢) .
- وأن السلام ينبغي أن يفشى بين أفراد المجتمع على اختلاف درجاتهم فلا يقتصر على المعرفة ولا يكون بين الكبار فقط ، ولا يكون عند الحاجة أو لغرض فإذا انقضت الحاجة فلا سلام !! فإن هذا كله من الجهل والسفه وقلة الخير .

ففي حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال : سأل رجل النبي ﷺ فقال : أي الإسلام خير؟ قال : «**تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**»(٣) .

---

(١) متفق عليه . رواه البخاري في كتاب الاستئذان حديث (٦٢٤٧) ، ومسلم في كتاب السلام حديث (٢١٦٨) .

(٢) سورة النساء : الآية ٨٦ .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الإيمان حديث (١٢) ، ومسلم في كتاب الإيمان حديث (٣٩) .

- وأن هجر المسلم لا يجوز فوق ثلاث . ففي حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**»[1] .

- **آداب الاستئذان :**

الأولاد الصغار -كما هو معروف- يكثر منهم الفضول وتكثر مع ذلك حاجتهم إلى التهذيب والتوجيه ، وأدب الاستئذان من الآداب الإسلامية التي ينشأ عليها المسلم منذ صباه ، ولقد تنزلت آيات من القرآن العظيم تحض المسلمين على إلزام الأولاد قبل بلوغ الحلم بهذا الأدب في ثلاثة أوقات فإذا بلغوا وصاروا مكلفين استأذنوا في سائر الأوقات التي يجب فيها الاستئذان ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2] .

ثم قال منوهاً بأن وجوب الاستئذان يسري على البالغين جميعاً : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2] .

وعليه فإن هاتين الآيتين ليستا بمنسوختين ولا ناسختين كما زعمه بعض المفسرين ، وهذا هو اختيار أماثل المفسرين كابن كثير .

قال ابن الجوزي : وأكثر علماء المفسرين على أن هذه الآية محكمة ثم علل ذلك

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٦٠٧٧) ، ومسلم في كتاب البر والصلة حديث (٢٥٦٠) .

(٢) سورة النور : الآيتان ٥٨ - ٥٩ .

فقال : لأن معنى هذه الآية : وإذا بلغ الأطفال منكم أو من الأحرار الحلم فليستأذنوا في جميع الأوقات في الدخول عليكم : ﴿ كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[1] ، يعني كما استأذن الأحرار الكبار الذين هم قبلهم في الوجود ، وهم الذين أمروا بالاستئذان على كل حال ، فالبالغ يستأذن في كل وقت ، والطفل والمملوك يستأذنان في العورات الثلاث .

فالأولاد يؤمرون بالاستئذان في الأوقات الثلاث قبل البلوغ ، وفي كل وقت بعد البلوغ ، عملاً بقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[2] .

ومن الآداب المتعلقة بالاستئذان مما يُربى عليه الولد تعليمهم بحرمة البيوت وأن لها عوراتها المصونة ، فلا يجوز النظر إلى داخل بيوت الغير لا من ثقب الباب ولا من غيره ، ففي حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال : اطلع رجل من جحر في حجر النبي ﷺ ومع النبي ﷺ مدرى يحك بها رأسه فقال : **«لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك إنما جعل الاستئذان من أجل البصر»**[3] .

وعليه فقد قال لفيف من العلماء لو طعن صاحب البيت في عين المتلصص عليه لم يضمنه ولكان هدراً لأنه أهدر حرمة البيت وخالف آداب المسلمين ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : **«لو اطلع في بيتك أحد ولم تأذن له خذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك جناح»**[4] .

ومن آداب الاستئذان أنه لو استأذن فقيل له من؟ فلا يقل أنا بل يسمي نفسه أو كنيته أو صناعته بما يعرف به ، وتعريف الولدان هذا الادب آكد لكثرة وقوعهم في ضده وجهلهم بحكمه وغفلتهم عنه وفي حديث جابر رضي الله عنه قال :

(١) زاد المسير ٦/٦٢ .

(٢) سورة النور : الآية ٢٧ .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الاستئذان حديث (٦٢٤١) ، ومسلم في كتاب الآداب حديث (٢١٥٦) .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الديات حديث (٦٨٨٨) واللفظ له ، ومسلم في كتاب الآداب حديث (٢١٥٨) .

أتيت النبي ﷺ في دَين كان على أبي فدققت الباب فقال : «من ذا»؟ فقلت : أنا . قال : «أنا أنا» ! كأنه كرهها[١] .

وإذا لم يؤذن له بعد ثلاث مرات فليرجع طيب النفس دون إزعاج ولا صراخ كما يفعل السفهاء والسفلة ، وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ : «إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع»[٢] .

هذا ومن صور الاستئذان التي ينبغي أن لا يغفلها الآباء الاستئذان المتضمن بيان الحكم كما في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال : أُتي النبي ﷺ بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ فقال للغلام : «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء»؟ فقال الغلام : والله يا رسول الله ! لا أوثر بنصيبي منك أحداً !! قال «فتله رسول الله ﷺ في يده»[٣] .

وإنما فعل ذلك تطييباً لقلبه ولبيان الحكم ،أن السنة تقديم الأيمن فالأيمن ولو كان مفضولاً بالنسبة إلى من على اليسار كما يقول النووي .

وقد ذكر ابن حجر تعليلات أخرى يتعلم منها الأكياس أساليب الدعوة وتأليف القلوب فليرجع إليه من شاء[٤] .

وقد بسطت الكلام في هذه المسألة وما يتعلق بها من آداب وآثار في كتابي أدب الاستئذان فليراجعه من أراد[٥] .

وبالله التوفيق

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الاستئذان حديث (٦٢٥٠) ، ومسلم في كتاب الآداب حديث رقم (٢١٥٥) .

(٢) متفق عليه رواه البخاري في كتاب الاستئذان حديث (٦٢٤٥) ، ومسلم في كتاب الآداب حديث (٢١٥٣) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب المساقاه حديث (٢٣٥١) ، ومسلم في كتاب الأشربة حديث (٢٠٣٠) .

(٤)انظر الفتح ٨٦/١٠ .

(٥) أدب الاستئذان للمؤلف ، ط ١٤٠٩هـ ، دار المجتمع جدة .

- صدق الوعد :

صدق الوعد لون رفيع من صدق اللسان ، وهو من أمارات الإيمان ، كما أن الكذب وخلف الوعد من أمارات النفاق ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان»(١) .

وتربية الولد على صدق الوعد تبدأ من خلال تعامله مع الوالدين الصادقين ، اللذين إذا وعداه وفياه ! فهو يتربى على هذا بطريق القدوة العملية التطبيقية التي هي أنجع وسائل تربية الأولاد لا سيما في سن التمييز وما يليها من مراحل عمر الإنسان .

وتبدو أهمية التربية على هذا الخلق الإسلامي الجليل -إضافة إلى ما سبق التنويه عنه من أمارات الإيمان- من خلال سلسلة أخلاقية تتعاظم في درجاتها مما يطالب به المسلم ، فمن ذلك الوفاء بأعظم العهود وهو عهد الله تبارك وتعالى قال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾(٣) .

والعهد هنا يشمل الإيمان بالله وما يستلزمه من توحيده والإخلاص له وأداء الفرائض . . . وغير ذلك من أمور الدين ، كما يشمل عهود الناس وعقودهم التي يتعاملون بها بينهم(٤) .

وفي الوفاء بالعهود التي بين العباد يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ ﴾(٥) ، ويقول سبحانه : ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾(٦) .

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الإيمان حديث رقم (٣٣) ، ومسلم في كتاب الإيمان حديث رقم (٥٩) .

(٢) سورة النحل : الآية ٩١ .

(٣) سورة الإسراء : الآية ٣٤ .

(٤) انظر تفسير القرطبي ٣٣٢/١ ، وتفسير ابن كثير ٤٥/٣ .

(٥) سورة المائدة : الآية ١ .

(٦) سورة الرعد : الآية ٢٠ .

وكل هذه العهود والمواثيق المناطة بذمة المسلم إنما ينتهض لها أولو العزم ممن كانت تربيته منذ الصغر على خلق الوفاء بالعهد بعد توفيق الله ومشيئته ، لأن ما تعود عليه الإنسان منذ الصبا وصار له طبعاً يكون أثبت في فؤاده وأسهل في أسلوب تعامله وجاري أخلاقه ، والوفاء بالعهد من مستلزمات الإيمان بالله وباليوم الآخر ، وعليه فإن تربية الأولاد على عقيدة الإيمان بالله وتوحيده وما يستتبع ذلك من لوازمه كالخوف والخشية والرجاء وتعلق القلب به سبحانه لما يندرج في أوليات اهتمامات الوالدين بتربية الأولاد ، كي ينشأوا نشأة إسلامية سوية .

- رحمة الضعيف :

الرحمة في ذاتها من سمات أهل الجنة ! كما في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **«وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»**[1] .

فغرس الرحمة في فؤاد الولد منذ نعومة أظفاره ليكون رقيق القلب غزير الدمع شفقة وحنوا ، فياض المشاعر مرهف الحس ، يتأثر بأحوال المساكين والبؤساء والمحرومين . . . هو مطلب شرعي وخلق إسلامي نبيل يأمر به الوالدان والمربون والمعلمون .

والرحمة بمفهومها الواسع تأخذ أبعاداً أخلاقية متعددة ، فالأمة الإسلامية أمة رحمة والمسلمون دعاة سلام ورحمة وبر ، والبر بالضعفاء ورحمتهم من أخلاق المسلمين الأصيلة لأنهم يتراحمون وتتدرج التربية على الرحمة على درجات منها :

- رحمة الولد والحنو عليه والشفقة به ، وإحاطته بمشاعر المحبة والرقة والحنان والرعاية منذ تدرجه في مدارج الطفولة الأولى ، فلقد كان النبي ﷺ وهو نبي الرحمة يقول كما في رواية أنس رضي الله عنه : **«إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه عليه»**![2] .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الجنائز حديث (١٢٨٤) ومسلم في الجنائز (٩٢٣) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأذان حديث (٧٠٩) ، ومسلم في كتاب الصلاة (٤٧٠) .

وكانت الرحمة بالصبيان والصبايا الصغار تجري منه ﷺ مجرى الدم من العروق ، فهو ﷺ مع قيامه بأعباء الرسالة يخصص وقتاً من عمره الشريف للأطفال يداعبهم ويحنو عليهم ويدعو لهم ، ومما تزخر به كتب السنة في هذا الجانب التربوي الهام حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : **«كان النبي ﷺ يؤتى بالصبيان فيدعو لهم ، فأتي بصبي فبال على ثوبه فدعا بماء فأتبعه إياه ولم يغسله»**(١) .

ويقول أبو موسى رضي الله عنه : **«ولد لي غلام فأتيت به النبي ﷺ فسماه إبراهيم فحنكه بتمرة ودعا له بالبركة ودفعه إلي»** وكان أكبر أولاد أبي موسى(٢) .

وكان ﷺ مع أسلوبه العملي هذا يوجه إلى الرحمة بالأطفال والمساكين كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : **«الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وكالذي يصوم النهار ويقوم الليل»**(٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : **قَبَّل رسول الله ﷺ الحسن أو الحسين وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبلت أحداً منهم ، فنظر إليه النبي ﷺ فقال : «من لا يَرحم لا يُرحم»**(٤) .

– تعريف الولد بحق القريب الضعيف فإن حقه مقدم على المسكين غير القريب قال تعالى : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ . . . ﴾(٥) .

– تعليمه هذا الأدب وتمرينه عليه ليعلم أن الكبير يحترم ويوقر سواء كان كبير سن أو مقام ، وأن الصغير يُرحم ، وأن هذا من آداب المسلمين وأخلاقهم التي

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الدعوات حديث (٦٣٥٥) ، ومسلم في كتاب الطهارة (٢٨٦) .

(٢) رواه البخاري في كتاب العقيقة حديث رقم (٥٤٦٧) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٦٠٠٦) واللفظ له ، ومسلم في كتاب الزهد والرقاق حديث رقم (٢٩٨٢) .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٥٩٩٧) ، ومسلم في كتاب الفضائل حديث رقم (٢٣١٨) .

(٥) الإسراء : الآية ٢٦ .

لا يصح التهاون بها أو التفريط فيها ، فعن أنس ﷺ قال : قال النبي ﷺ : «من لم يَرحم صغيرنا ويعرف كبيرنا فليس منا»(١) .

وهذا التراحم إذا استشعره كل مسلم وأدى ما عليه فيه كان عاملاً مهماً من عوامل ترابط الأمة الإسلامية وتكامل وتساند بنيانها كما في حديث النعمان بن بشير ﷺ قال : قال النبي ﷺ : «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(٢) .

ويبدأ ذلك من البيت المسلم بتعليم الأولاد خلق الرحمة والتراحم بكل صوره الممكنة نظرياً وعملياً ليتعلمها ويتمرس عليها .

قال ابن حجر قال ابن جمرة : الذي يظهر أن التراحم والتوادد والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى لكن بينها فرق لطيف ، فأما التراحم فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضا بأخوة الإيمان لا بسبب شيء آخر ، وأما التوادد فالمراد به التواصل الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي ، وأما التعاطف فالمراد به إعانة بعضهم كما يعطف الثوب عليه ليقويه(٣) .

وهذه المعاني المنبثقة من الرحمة والراجعة إليها ، تشملها كلها التربية الأبوية التي ينبغي أن ينشأ عليها الولد منذ صباه ، كي يكون عارفاً بمرامي الرحمة واعياً مستوعباً لمستلزماتها قائما بها .

- الرفق بالحيوان :

تعيش البهائم والعجماوات بين الناس وقد سخرت لهم ، وهيأ الله عز وجل للإنسان سبل تطويعها وتسخيرها لمنافعه ، وأوجب عليه مراعاة الجوانب الإنسانية

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب حديث (٤٩٤٣) واللفظ له ، والترمذي في كتاب البر والصلة حديث (١٩١٩) وقال : حديث غريب ، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة حديث (٦٧٧٦) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٦٠١١) ، ومسلم في كتاب البر والصلة حديث (٢٥٨٦) .

(٣) الفتح ٤٣٩/١٠ .

والضوابط الأخلاقية في التعامل معها ومن ذلك الرفق واللين وتجنب العنف والغلظة، وجعل ذلك من جملة المعروف الذي يؤمر به وتركه من المنكر الذي ينهى عنه.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: **«دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»**(١).

وعليه فلا يجوز تجويع البهائم ولاحبسها لغير حاجة ولا تعذيبها ولا التلهي والتسلية بإيذائها كما يفعل السفهاء فيما يسمى بمصارعة الديكة ومصارعة الثيران وتناطح الكباش ونحو ذلك مما ليس من أخلاق المسلمين، ولا هو من عوائدهم بل إنما يعرف في بلاد الكفرة من الإفرنج وغيرهم.

والولد -كما هو مشاهد ومعروف- كثير الشغف بالحيوانات لا سيما الصغيرة منها كالطيور والقطط وما شابهها، ويجب تعليمه الرفق بها وتجنب مضارتها وليكون ذلك من جملة التربية التي ينشأ عليها، سواء ما يكون في بيته أو في الحدائق العامة أو في أي مكان.

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يراعون غرس هذا الخلق في أولادهم فيأمرونهم بالرفق وينهونهم عن ضده، ومن ذلك أن أنساً رضي الله عنه رأى غلماناً نصبوا دجاجة يرمونها، فقال: **«نهى النبي ﷺ أن تصبر البهائم»**(٢).

وقوله: **«صبر البهائم»**: حبسها وهي حية لتقتل بالرمي ونحوه، وما رواه سعيد بن جبير رحمه الله قال: كنت عند ابن عمر رضي الله عنهما فمروا بفتية نصبوا دجاجة يرمونها فلما رأوا ابن عمر تفرقوا عنها، وقال ابن عمر: **«من فعل هذا إن النبي ﷺ لعن من فعل هذا»**.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب بدء الخلق حديث (٣٣١٨) واللفظ له، ومسلم في كتاب السلام حديث رقم (٢٢٤٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الذبائح حديث (٥٥١٣)، ومسلم في كتاب الصيد (١٩٥٦).

وقال ابن عمر : «لعن النبي ﷺ من مثل بالحيوان»[1] .

وقال ابن العباس رضي الله عنهما : «نهى رسول الله ﷺ عن التحريش بين البهائم»[2] .

- الأمانة :

الأمانة من أمهات الأخلاق التي يتفرع عنها سلسلة من الأخلاق الحميدة والأمانة من سمات المؤمنين وعكسه الخيانة من سمات النفاق ومن أوصاف المنافق كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : «وإذا اؤتمن خان»[3] .

ولقد أمر الله تعالى بالأمانة بمفهومها الشامل فقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾[4] .

ويدخل فيها الأمانة التي هي بمعنى حفظ الودائع وكل ما يتحمله المسلم ويجب عليه أداؤه من الحقوق والواجبات ، من أمانة السمع وأمانة البصر وأمانة الفؤاد ، وكل ما يطالب به المسلم .

فيعلم الولد ويبصر بأن يحفظ سمعه وبصره وجوارحه عما لا يحل وأن يكون مراقباً لربه عز وجل أميناً على محارمه وحرماته ، ومتى نشأ على هذا الوصف الحميد تجنب الغش والخداع والخيانة والاختلاس والسرقة وسائر ما حرمه الله عز وجل ، وفعل هذا خوفاً من الباري سبحانه وتعالى ، حيث قال في محكم التنزيل : ﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾[5] . وهذا مطلب تربوي في غاية الأهمية ومن الله تعالى التوفيق .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الذبائح حديث (٥٥١٥) ، ومسلم في كتاب الصيد (١٩٥٨) .

(٢) رواه أبو داود في كتاب الجهاد حديث (٢٥٦٢) والترمذي في كتاب الجهاد حديث (١٧٠٨) .

(٣) متفق عليه : وقد تقدم ص ١٨٠ .

(٤) سورة النساء : الآية ٥٨ .

(٥) سورة الأنبياء : الآية ١١٠ .

- البر بالوالدين :

حق الوالدين مقرون بحق الله تعالى في كتابه المجيد ، قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾[1] .

والبر بالوالدين خُلق يُربى عليه الولد منذ الصغر لا سيما البر بالأم وحقها أعظم وآكد ، وذلك من خلال مظاهره الكثيرة كخفض الصوت عند مخاطبة الوالدين وتقبيلهما واستئذانهما عند الخروج من البيت ، ومناداتهما بسمة الأبوة والأمومة ونحو ذلك مما يستوعبه عقل الطفل المميز .

ثم ومع تقدم السنين يُربى على سمات البر بهما بتبصيره بحقوقهما ومكانتهما في الدين ، وأن البر بهما أفضل الأعمال بعد الصلوات المفروضة وأنه مقدم على جلائل الأعمال كالجهاد في سبيل الله كما في حديث النبي ﷺ : لما سأله عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه أي العمل أحب إلى الله؟ قال : «الصلاة على وقتها» ، قال : ثم أي؟ قال : «ثم بر الوالدين» ، قال : ثم أي؟ قال : «الجهاد في سبيل الله»[2] .

وتعريفهما بعد ذلك بالعقوق وصوره وشناعته وقبحه وأنه ليس من أخلاق المسلمين .

حتى إذا راهق الولد الحلم عرف حق والديه واستقر ذلك في نفسه وتمرس على أدائه والقيام به ، وكلما تقدمت به السن ازداد بره بوالديه وكثر دعاؤه لهما كما قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ ﴾[3] .

---

(١) سورة الإسراء : الآيتان ٢٣ - ٢٤ .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٥٩٧٠) ، ومسلم في كتاب الإيمان حديث (٨٥) .

(٣) سورة الأحقاف : الآية ١٥ .

وكثير من الآباء الذين يتجرعون غصص العقوق من أولادهم إنما يذوقون وبال أمرهم بإهمالهم التربية في الصغر، ومنه قول قائلهم: يا أبت أهملتني صغيراً وعققتك كبيراً!

- مراعاة حقوق الجيران:

للجار حق عظيم في الإسلام، وهو حق لا يستهان به، وحسبنا في تعظيمه قول الله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴾[1].

ففي هذه الآية الشريفة نوه تعالى عن ثلاثة أنواع من الجيران:

١ - (الجار ذي القربى) هو الذي بينك وبينه قرابة وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أو هو الجار المسلم، وتكون القرابة قرابة الإسلام.

٢ - (الجار الجنب) وهو الغريب مسلماً كان أو يهودياً أو نصرانياً وهو اختيار الطبري، أو هو الجار عن يمينك وشمالك وبين يديك وخلفك وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٣ - (الصاحب بالجنب) وهو الزوجة أو الرفيق في السفر[2].

وهذا يدل على أن للجار في الإسلام مكانة عالية بينها النبي ﷺ بقوله كما في حديث عائشة رضي الله عنها: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[3]. أي يأمر الله بتوريث الجار جاره قال ابن حجر: واسم الجار يشمل المسلم والكافر والعابد والفاسق والصديق والعدو والغريب والبلدي والنافع والضار والقريب والأجنبي والأقرب داراً والأبعد وله مراتب بعضها أعلى من بعض ثم شرع يفصلها[4].

---

(١) سورة النساء: الآية ٣٦.

(٢) زاد المسير ٧٩/٢.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٦٠١٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة حديث (٢٦٢٤).

(٤) انظر الفتح ٤٤١/١٠.

ولعل من أهم أساليب تربية الأولاد على مراعاة حقوق الجيران بعد تعليمهم وتبصيرهم بها ، الممارسة العملية كالزيارة وتفقد الأحوال والمواساة والإهداء والإتحاف والعون المادي والمعنوي ، فالابن إذا اصطحبه أبوه في زيارة أو ناول جاره هدية ، وبصره والداه من قبل ذلك بحق الجيرة بأسلوب القصة وغيرها تعود على ذلك وأحبه ورسخ في قلبه .

ولقد كان النبي ﷺ يتبع هذا الأسلوب العملي فلقد كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقال : «أسلم» فأسلم . رواه أنس رضي الله عنه[(1)] .

وقال ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه في الإهداء وتعهد الحاجات : «يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك»[(2)] .

وقال في حض المسلم على أن يكون طويل البال واسع الصدر مع جاره لا سيما فيما يتعلق بالأمور المعاشية : «لا يمنع أحدكم جاره أن يغرز خشبة في جداره» ، قال أبو هريرة رضي الله عنه : «ما لي أراكم عنها معرضين والله لأرمين بها بين أكتافكم»[(3)] .

وسلسلة الحقوق المتعلقة بالجيرة أكثر من أن تحصى في مثل هذا المقام ، ولعل في هذا القدر كفاية وبالله التوفيق .

- التسامح :

التسامح والعفو والحلم والأناة ، أخلاق إسلامية جليلة بعضها يرادف البعض الآخر ، وكلها تعود بالنفع والخير العميم على المجتمع بأسره .

---

(1) رواه البخاري في كتاب المرضى حديث رقم (٥٦٥٧) ، وأبو داود في كتاب الجنائز حديث (٣٠٩٥) .

(2) رواه مسلم في كتاب البر والصلة حديث (٢٦٢٥) واللفظ له ، والترمذي في كتاب الأطعمة حديث (١٧٥٦) ، وابن ماجه في كتاب الأطعمة حديث (٣٣٦٢) ، وأحمد في مسند الأنصار حديث (٢٠٤١٧) .

(3) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب المظالم حديث (٢٤٦٣) واللفظ له ، ومسلم في كتاب المساقاة حديث رقم (١٦٠٩) .

والتسامح خصلة عزيزة على النفس لأن الطبيعة البشرية مفطورة على الشح والأنانية وحب الذات والرغبة في الانتقام . . . فالتسامح وهو البلسم الشافي لعلل النفوس يتطلب تربية مبكرة كي يسهل على الإنسان إبان كبره وهو يواجه أصناف الناس وطبائعهم المتباينة ، وفي روح التسامح التي يتصف بها الصالحون يقول تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾(١) .

وأسلوب القدوة والتربية الرفيقة اللينة البعيدة عن العنف وعن الغلظة تغرس في الولد روح التسامح وتترعرع شجرته في فؤاده مع حسن التوجيه ، ولنتأمل هذا الأسلوب الرفيق من سنة النبي ﷺ ، قال أنس رضي الله عنه : «**كان النبي ﷺ من أحسن الناس خُلقاً ، فأرسلني يوماً لحاجة فقلت والله لا أذهب وفي نفسي أن أذهب لما أمرني رسول الله ﷺ فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي ، قال : فنظرت إليه وهو يضحك !! فقال ﷺ : «يا أنيس ! أذهبت حيث أمرتك»؟ قال : قلت نعم أنا أذهب يا رسول الله ، قال أنس : والله لقد خدمته سبع سنين ما علمته قال لشيء صنعته لم فعلت كذا وكذا أو لشيء تركته هلا فعلت كذا وكذا**»(٢) .

والاعتدال في التسامح هو المعنى الذي تقتضيه الحكمة ، وهو الذي لا يضيع معه حق ولا يترك في النفس مذلة أو شعوراً بالظلم ولا يكون معه إهدار لقيم أو مبادئ .

- الحشمة والحياء :

الحياء خلق إسلامي نبيل والحياء من الإيمان ، و«**الحياء لا يأتي إلا بخير**» كما في رواية عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً(٣) .

---

(١) سورة الفرقان : الآية ٦٣ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الفضائل حديث (٢٣١٠) ، وأبو داود في كتاب الأدب حديث (٤٧٧٣) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٦١١٧) ، ومسلم في كتاب الإيمان حديث (٣٧) .

«ولقد كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها فإذا رأى شيئاً يكرهه عرف في وجهه» . كما يقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه[1] .

قال الراغب : الحياء انقباض النفس عن القبائح وتركها لذلك[2] .

وقال ابن حجر -رحمه الله تعالى- : الحياء في اللغة تغيير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به ، وفي الشرع خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق[3] .

ومن مستلزمات التربية على خلق الحياء إيقاف الولد على مساوئ ما هو ضده من الفحش والبذاءة وسوء العشرة ، والنبي ﷺ لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً وقال : «إن من أخيركم أحسنكم أخلاقا» رواه عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما[4] .

ولعل البنت أحوج من الابن إلى التربية على خلق الحشمة والحياء لما يكتنف الأنثى من واجب التستر والحجاب والعفاف ، وما الحياء إلا متمم لهذه الخصال التي أكرم بها الدين الحنيف المؤمنات .

ففي عالم الألبسة والأزياء ينبغي للأبوين اختيار اللباس للفتاة منذ صغرها ، وحتى وهي ابنة أربع سنين ونحو ذلك لتتعود عليه وتألفه ولا تأنفه حال كبرها ، فإن الملاحظ أن الفتيات اللائي تهاون أهاليهن في تربيتهن على الحشمة والتستر حال صغرهن لأنهن -كما يقولون- لسن عورات ولم يبلغن مبلغ النساء وليس فيهن دواعي الإثارة والفتنة . . . وجدن صعوبة في التستر حال البلوغ ، بل تثاقل إحداهن إذا لبست الحجاب السابغ ، والله عز وجل يقول للمؤمنات : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾[5] .

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٦١٠٢) ، ومسلم في كتاب الفضائل حديث (٢٣٢٠) .

(٢) مفردات القرآن ص ١٤٠ كتاب الحاء .

(٣) الفتح ٥٢/١ .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٦٠٢٩) واللفظ له ، ومسلم في كتاب الفضائل حديث (٢٣٢١) .

(٥) سورة الأحزاب : الآية ٥٩ .

وأكثر ما يتورط فيه الآباء في موضوع الحشمة تهاونهم في أزياء الأولاد من البنين والبنات، وتساهلهم في إسداء التوجيه والنصح بالاعتزاز بزي المسلمين المحتشم السابغ، وقد قال عمر رضي الله عنه محذراً من أزياء الكفار: «**وذروا التنعم وزي العجم وإياكم والحرير، فإن رسول الله ﷺ نهى عنه**»[١]. والحرير في شريعتنا الغراء إنما يباح للنساء دون الرجال.

- **العفو والحلم:**

الغريزة الغضبية متأصلة في الإنسان على اختلاف مراحل عمره، وللغضب المذموم عواقبه السيئة في نفسية الغاضب وعقله وتصرفه، وفيمن حوله، لذا ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه لما سأل رجل النبي ﷺ فقال: أوصني قال: «**لا تغضب**» فردده مراراً[٢].

ولقد دعا الإسلام إلى كظم الغيظ والعفو عن الناس واحتمال جهلهم وسفههم ومقابلتهم بالعفو والحلم والصبر إيثاراً للسلامة ودفعاً لغوائل السوء، ووعد على ذلك الأجر العظيم.

ومن أنجع الأساليب التي تزرع في الأولاد هذا الخلق الفاضل (الحلم والعفو) بعد غرس الإيمان بالله في نفوسهم ورجاء رحمته والخشية منه ومن عقابه، تعليمهم بطريق الممارسة والمتابعة كبح جماح النفس والتسامي على نوازع الشر فيها، وترويضها على الحلم والأناة والبصر بالعواقب فإن هذا هو الأسلوب الأمثل لمعالجة أدواء النفس، وإليه أشار حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ وهو المربي الأول قال: «**ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[٣].

---

(١) رواه أحمد في مسند العشرة حديث (٢٨٤).

(٢) البخاري في كتاب الأدب حديث (٦١١٦) وانظر الفتح ٥٢٠/١٠.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٦١١٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة (٢٦٠٩).

ومن تهذيب النفس وترويضها معاملتها بما يناسب الغلط الحاصل منها كما في كفارة من لطم خادمه ولم تطاوعه نفسه على الحلم والعفو ، وذلك في قصة من عجل فلطم خادماً له فقال له سويد بن مقرن ﷺ : **«عجز عليك إلا حر وجهها لقد رأيتني سابع سبعة من بني مقرن ما لنا خادم إلا واحدة لطمها أصغرنا فأمرنا رسول الله ﷺ أن نعتقها»**(١) .

إن التربية على الحلم والعفو غاية عظمى من غايات التربية الإسلامية ذلك لأنه يسهم بشكل كبير في إيجاد الإنسان الصالح والمواطن الصالح والمسلم المسالم ، الذي يؤثر العافية ليس جبنا ، بل أخذا بالحكمة والفطنة في تغليب الخير والأخذ بدواعيه وقطع الشر وأسبابه ! وفي حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ : **«أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»**(٢) .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان حديث (١٦٥٨) ، وأبو داود في كتاب الأدب حديث (٥١٦٧) ، والترمذي في كتاب النذور حديث (١٥٤٢) . وقال : حسن صحيح .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأحكام حديث (٧١٨٨) ، ومسلم في كتاب العلم حديث (٢٦٦٨) .

المبحث الرابع : تحصين الأولاد ضد الغزو الفكري وبيان أهم مبادئ الإسلام في ذلك

نعيش عصراً تتماوج فيه الاتجاهات الفكرية وتتباين ، ويشهد جيلنا اصطراعاً فكرياً يأخذ مدى بعيداً في توجيه الشباب والناشئة وجهات شتى تنأى به عن الجادة التي هدى إليها ديننا القويم !

بل إن الساحة الإسلامية يحتدم فيها النزاع وتشتد فيها المنافسة بين القنوات الإعلامية المتعددة -مقروءة ومسموعة ومرئية- وتحمل الغث والسمين مما هو مبثوث من داخل المجتمعات الإسلامية أو ما يفد إليها من مجتمعات شتى ، وهذا ما يؤكد ما ذهب إليه المختصون في دراسة الغزو الفكري من أن (الفكر والثقافة والأيدلوجيات) هي محور الصراع الذي تخطط له القوى العالمية الغازية ، التي تهدف فيما تهدف إليه العمل الدائب على (تحويل) التوجه الفكري الثقافي لدى شباب المسلمين إلى الوجهات العلمانية والمادية التي تسود الفكر العالمي بعيداً عن معطيات الإسلام ، كي ينشأ الشباب الإسلامي مبتوت الصلة بدينه القويم ، مفتوناً بحضارة الغرب وعوائدها ، مشرباً بالروح المادية متطلعاً إليها ، وأن يظل على هذا الحال لا يملك الفكاك منه ولا الحيد عنه !!

وعلى هذا فإن حماية الناشئة وصيانتهم من آفات هذا المد الإعلامي الثقافي وأوضاره وخبثه مسئولية على كاهل الأبوين ثم رجال التربية بالمقام الأول .

ولقد أخذ الغزو الثقافي امتداداً عميقاً في أوساط الشباب ، وأحدث شروخاً كثيرة في بنيان المجتمع الإسلامي ، الأمر الذي يعطي دلالات على تقصير الكثير من الآباء والتربويين في النهوض بواجباتهم ومسئولياتهم التربوية نحو الأولاد ، أو أن جهودهم لم تكن في المستوى المواكب المكافئ للغزو الفكري المقنن .

ولنختر -اختصاراً- ثلاثة أخطار هي في بؤرة الغزو الثقافي الذي يعاني من أوضاره عامة الأولاد في البلاد الإسلامية ، ويتحتم على الآباء إدراك أبعادها والعمل على تحصين الشباب منها ووقايتهم :

خطر المخدرات ، والبطالة ، والافتتان بحضارة الغرب .

- **أما المخدرات** : فسموم حرمها ديننا الحنيف على اختلاف أنواعها وصور تعاطيها ودرجات تأثيرها ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «**كل شراب أسكر فهو حرام**»[1] ، ولئن كان المسكر حراماً فكيف بما هو أعظم منه تأثيراً وأخطر عاقبة ، وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت : «**نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر**»[2] ، وفي تحريم مقداره أياً كان حديث عمرو بن شعيب ﷺ مرفوعاً : «**ما أسكر كثيره فقليله حرام**»[3] .

وعلى الآباء أن يدركوا مدى خطورة المخدرات التي يحرص أعداء الإسلام على تدمير شباب المسلمين بها ، إذ تدمر في متعاطيها الإرادة وتقتل فيه العزيمة وتستنزف منه الأموال وتحيله إلى كائن كَلّ لا أهلية له في القيام بشيء .

ودور الآباء في هذا يتناول الوقاية والعلاج ، أما الوقاية فبتبصير الشباب بهذه السموم والآفات المهلكة ، وبملء أوقاتهم بكل مفيد نافع ، وبتعليمهم أمور الدين فما من شيء يحفز المرء فيقيه الآفات مثل قوة الديانة ، وأما العلاج فبتخليصهم منها إن تورطوا فيها ، وبالتعاون مع الجهات الأمنية المعنية بمكافحة المخدرات .

وقد وفق الله ولاة الأمور في المملكة فنفذوا حكم الله تعالى في مهربي ومروجي السموم بقتلهم تعزيراً وبلادنا على هذا من أقل البلاد التي تشكو من داء المخدرات ولله الحمد ، ودور الأبوين في تجنيب الأولاد هذه السموم دور غير يسير لاضطلاعهما

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الوضوء حديث (٢٤٢) ، ومسلم في كتاب الأشربة حديث رقم (٢٠٠١) .

(٢) رواه أبو داود في كتاب الأشربة حديث (٣٦٨٦) ، وأحمد في مسند الأنصار حديث (٢٥٤١٦) .

(٣) رواه النسائي في كتاب الأشربة حديث (٥٦٠٧) ، وابن ماجه في كتاب الأشربة حديث (٣٣٩٤) ، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة حديث (٦٢٧١) .

بالمسئوليات التربوية منذ سن مبكرة ، ولقيامهما بتلك المسئوليات برغبة تدفعها الفطرة والجبلة ، وبباعث الديانة والأمانة وهذا ما لا يتوفر في غير الوالدين المسلمين .

– **أما البطالة :** وهي في مفهومها العام الفراغ مما يملأ الوقت ويشبع الرغبات والميول ، ولقد أعطى الإسلام الإنسان مقومات الحياة وحضه على استغلال خيرات الأرض والنهوض بعمارتها والضرب في مناكبها ، وأن يعمر أوقاته بذكر الله وعبادته ، فيعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا ويعمل لغده كأنه يموت غدا ، قال تعالى : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾(1) .

وعلى الآباء كما سبق بيانه تعليم الأولاد أمور الدين وأحكام العبادات لا سيما الفروض ، وكذلك تعريفهم بأمور المعاش بتدريبهم على مهنة أو صنعة ، مع توفير سبل الترفيه والترويح في الإطار المشروع وبالقدر الضروري المعتدل ، كي لا يقعوا فريسة البطالة والفراغ بكل أنواعه : الفراغ العاطفي والفراغ الثقافي والفراغ الروحي والفراغ النفسي ، فإن الفراغ يجلب الهم والغم ، ويورث الإنسان الكسل والعجز والتواكل ، ويورطه في بلاء قد يطول شره .

ولقد كان النبي ﷺ يقول كما في حديث أبي طلحة رضي الله عنه : **«اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال»**(2) .

ولنا فيه أسوة حسنة بالأخذ بهذا الدعاء المسنون ، وبالعمل على تجنيب الأولاد داء البطالة من كل طريق مشروع يقدر عليه .

ومن تدبر توجيهات الدين الحنيف في أهمية ملء الفراغ ، وبأهمية إقامة الموازنة في ذلك وجده أتم نظام وأحكم بيان ، فلقد ذم الذين لا يعرفون من الحياة إلا المتع والشهوات فيعيشون لها ومن أجلها قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾(3) .

---

(1) سورة القصص : الآية ٧٧ .

(2) رواه البخاري في كتاب الدعوات حديث رقم (٦٣٦٣) ، وأبو داود في كتاب الصلاة حديث (١٥٤١) ، والترمذي في كتاب الدعوات حديث (٣٤٠٦) ، والنسائي في كتاب الاستعاذة حديث (٥٤٥٣) .

(3) سورة محمد : الآية ١٢ .

وذم الذين لا نصيب لهم في عبادة الله والتذلل له فأرواحهم خاوية وقلوبهم ميتة قال تعالى : ﴿ ... بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ ... وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾[2] .

وذم الذين يؤثرون الفانية على الباقية ويرغبون عن النهج الراشد فقال تعالى : ﴿ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾[3] ، وحذر من تلقف الأفكار والثقافات الضالة المضلة التي تعبث بعقل الإنسان وترديه قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[4] .

فكل ما سوى الصراط المستقيم فهو ضلال وغي يردي بمن اعتقده في النار ، وكل نظرية أو عقيدة أو ملة سوى دين الإسلام فهي ضلال .

ولعل من أخطر العوامل التي تسهم في اعتناق الأفكار الوافدة والنظريات الهدامة الفراغ النفسي والخواء الروحي ، وكذلك الفراغ الوقتي الذي يعاني منه الشباب ، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : **«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»**[5] .

– **أما الإفتتان بحضارة الغرب :** وهي الافتتان بالثقافات المعادية للإسلام ، وهذا الخطر ماحق ليس ينجو من ويلاته وآثاره وتبعاته إلا من رحم الله ، وتبعاته تمتد لأجيال وقد لا يتيسر الخلاص منها حتى على المدى البعيد ! .

ومن العوامل المساعدة على الوقوع فيه الفراغ الثقافي الذي عاشه الكثيرون

(١) سورة الأنبياء : الآية ٤٢ .

(٢) سورة الأحقاف : الآية ٣ .

(٣) سورة إبراهيم : الآيتان ٢ – ٣ .

(٤) سورة الأنعام : الآية ١٥٣ .

(٥) رواه البخاري في كتاب الرقاق حديث (٦٤١٢) ، والترمذي في كتاب الزهد حديث (٢٣٠٤) ، وابن ماجه في كتاب الزهد حديث رقم (٤١٧٠) .

من شباب المسلمين لاسيما في البلاد التي بليت بالاستعمار الغربي في القرن الميلادي الماضي وأوائل القرن الحالي ، حاشا الجزيرة العربية التي حماها الله بمنه وفضله وخفي لطفه من دنس الاستعمار وكيده وخبثه !

ولئن رحل الاستعمار العسكري بعد أن استيقظت في الدول نوازع التحرر وصار ذلك توجها عالمياً فإن الغزو الثقافي وهو الأخطر أثراً طفق يمتد إلى عقول وقلوب الكثيرين من أولاد المسلمين . . . حتى تكونت منهم جحافل تناوئ من يكشف زيف هذا الغزو الثقافي فإذا هي تلاحي عنه وتعمل جاهدة على إرساء دعائمه في المجتمعات الإسلامية عبر مظاهره المتعددة المتغلغلة في تلكم المجتمعات كالعلمانية ، وغيرها معروف مشهود .

وعليه فإن من واجبات الآباء ومسئولياتهم التربوية :

إدراك هذه الأخطار الثقافية ، وآثار تلكم القنوات الإعلامية التي تعمل ليل نهار لإفساد نزعة التدين في الناشئة ، وإلهائهم بالشهوات والغرائز عن معالي الأمور .

والعمل الجاد المثمر في توعية الأولاد وتبصيرهم بأعدائهم وما يكيدونهم به وما يعدونه من خطط وأساليب ، وفي الوقت نفسه تبصير الناشئة بأمور دينهم على مختلف مراحل العمر لتقوم بذلك الحصانة الكافية واللازمة لوقاية الأولاد وفلذات الأكباد من الخطر الثقافي الداهم الذي سيشهد تنامياً مضطرداً على مر الأيام على ما هو معلن من خلال مؤتمرات القوى المعادية[1] .

وهذا من آكد الواجبات والأمانات الملقاة على عواتق الآباء عملاً بقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[2] .

(١) ومن أخطرها مؤتمر كلورادو بالولايات المتحدة سنة ١٤١٥هـ ، انظر كتاب (التنصير) وهو خلاصة لأعمال ذلك المؤتمر التبشيري .

(٢) سورة التحريم : الآية ٦ .

ولعل من أنجع الحلول لتحصين الشباب ضد الغزو الفكري بعد تعليمهم معطيات الدين الحنيف وتربيتهم على معين القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة ، تحصينهم بالتزويج المبكر ، فإن التزويج كما في كتاب الله تعالى واجب شرعي لا يتكاسل عنه إلا فاجر أو عاجز ، قال تعالى : ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] . فإن في النكاح سوى الإعفاف من الفوائد ما لا يحصى كملء الفراغ على الكد والكسب ونبذ البطالة ، وتحصيل الأجر في السعي على الزوجة والأولاد وتربيتهم .

والله يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد .

هذا ومن القواعد والثوابت التي هي بمثابة المحاور العقدية لإيجاد خطة الحصانة لأولادنا ذكوراً وإناثاً ما ذكر الله تعالى في محكم التنزيل وبينه النبي ﷺ في سنته المطهرة ، ومن ذلك :

- أن القوى المعادية للإسلام والمسلمين ما تود أن يكون للمسلمين خير قط فهم يعملون للكيد لهم وإلحاق الأذى بهم بأي طريق يقدرون عليه قال تعالى : ﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[2] .

قال ابن كثير : يبين تعالى شدة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين الذين حذر الله تعالى المؤمنين من مشابهتهم ، ليقطع المودة بينهم وبينهم[3] .

- أن أعداء الإسلام يعملون ليصرفوا المسلمين عن دينهم القويم بشتى الوسائل والأساليب قال تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[4] .

(١) سورة النور : الآية ٣٢ .
(٢) سورة البقرة : الآية ١٠٥ .
(٣) تفسير ابن كثير ١٥٩/١ .
(٤) سورة البقرة : الآية ١٠٩ .

وليس المقصود بأهل الكتاب كعب بن الأشرف أو حيي بن أخطب أو غيرهما من أحبار اليهود فحسب، وإنما الآية عامة في كل من كان على شاكلتهم كما يقول ابن جرير الطبري[1] .

- أنهم لا يقر لهم قرار حتى يصير المسلمون على نهج الكافرين وطريقتهم بترك الإسلام -والعياذ بالله- والصيرورة إلى الإلحاد والكفر قال تعالى : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[2] .

فالهدى إنما هو الإسلام فلماذا ينساق بعض المسلمين إلى أهواء الكافرين ! ، والمعنى كما يقول صاحب الكشاف : إن هدى الله الذي هو الإسلام هو الهدى بالحق ، والذي يصح أن يسمى هدى ، وهو الهدى كله ليس وراءه هدى ، وما تدعون إلى اتباعه ما هو بهدى إنما هو هوى[3] .

وهذا أمر معلوم ليس يجهله مسلم راشد ، وإنما هي المفاصلة فالملل متباينة وملة الإسلام هي الحق الذي لا ريب فيه ، ومن رغب عنه خرج عن الجادة وخسر خسراناً مبيناً .

- أن اقتفاء أثر الكفر والإلحاد واعتناق نظرياتهم المناوئة للإسلام والإعجاب بما عندهم من أفكار ومبادئ الدين الحنيف خروج عن منهج المسلمين ، وقد يصير المسلمون بذلك من الكافرين قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾[4] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾[5] .

---

(١) انظر تفسير الطبري ٢/٥٠ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٢٠ .

(٣) الكشاف للزمخشري ٣٠٨/١ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٠٠ .

(٥) سورة آل عمران : الآيتان ١٤٩ - ١٥٠ .

فلا موالاة بين المسلمين والكافرين مهما كانت البواعث والدوافع ، ولا طاعة لكافر فإنه يردي المسلم في الهاوية ويصده عن سواء السبيل بكل طريق يقدر عليه ، ببث الفتن تارة وبالتشكيك في الإسلام تارة وبإثارة الغرائز وتوجيهها نحو الشر والإفساد تارة ، والله من ورائهم محيط .

– أن الركون إلى الكفار والاغترار والاعتزاز بهم والأخذ من مبادئهم من سمات المنافقين ، ومصير من يفعل ذلك النار والعياذ بالله قال تعالى : ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[1] ، وقال : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾[2] .

أي : فإنكم إذا ملتم إليهم ووافقتموهم على ظلمهم أو رضيتم ما هم عليه من الظلم . . . مستكم النار ، وفي الآية تحذير من الركون إلى كل ظالم والمراد بالركون الميل والانضمام إليه على ظلمه وموافقته على ذلك والرضا بما هو عليه من الظلم[3] .

– إن من المسلمين من يتبع الكافرين في عوائدهم ورسومهم وأفكارهم بل وعقائدهم كما أخبر بذلك النبي ﷺ في قوله : «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم» قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال : «فمن»؟ رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه[4] .

وما أشد الافتتان باليهود والنصارى في رسومهم وأزيائهم وعوائدهم ونظرياتهم بل ومعتقداتهم ، وإن هذا لمن الجهل والسفه ! وإن درء ذلك لمن مسئوليات المسلمين جميعاً من الأمراء والعلماء كل بحسب مكانته ومقدرته ، ويضطلع الأبوان من ذلك بالسهم الأوفر لولايتهم المباشرة على من تحت أيديهم من الولدان والأغرار الذين هم في مسيس الحاجة إلى الكلمة اللينة الواعية والأسلوب المسترشد بنور القرآن المستنير بهدي خير الأنام ، والله عز وجل سائل كل مسلم عما استرعاه عليه .

(١) سورة النساء : الآيتان ١٣٨ – ١٣٩ .

(٢) سورة هود : الآية ١١٣ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٢١٩/٣ بتصرف طفيف .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الاعتصام حديث (٧٣٢٠) ومسلم في كتاب العلم حديث (٢٦٦٩) .

المبحث الخامس : مسئولية الآباء تجاه الأولاد بعد سن البلوغ والرشد

يتحدد سن البلوغ في أعدل الأقوال ببلوغ الصبي أو الجارية الخامسة عشرة تقريباً ، مع ظهور علاماته كشعر اللحية والعانة واحتلام الصبي وحيض الجارية ، وللفقهاء في ذلك تفصيل يرجع إليه(١) .

ولعل من أظهر ما يستدل به في ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : عرضني رسول الله ﷺ يوم أحد في القتال وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني ، وعرضني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني ، قال نافع : فقدمت على عمر بن عبدالعزيز وهو يومئذ خليفة فحدثته هذا الحديث ، فقال : إن هذا لحد بين الصغير والكبير ، فكتب إلى عماله أن يفرضوا لمن كان ابن خمس عشرة سنة ، ومن كان دون ذلك فاجعلوه في العيال(٢) .

ويستمر الأبوان في القيام بمسئولياتهما العامة تجاه الأولاد لا سيما ما لا غنية لهم عنه كالدعاء بالصلاح والتوفيق ، ولقد قال إخوة يوسف عليهم السلام : ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ۝٩٧ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٣) .

وأيضاً النصح والتوجيه للخير بالأسلوب الرفيق وبالموقف الحكيم وبالقدوة الحسنة والموعظة والتذكير ، فإن توجيه الفتى اليافع ليس كتوجيه الصبي الغر ، وليس كتوجيه ونصح الرجل المكتمل في قواه العقلية والفكرية .

---

(١) انظر المغني لابن قدامة .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الشهادات (٢٦٦٤) ، ومسلم في كتاب الإمارة (١٨٦٨) .

(٣) سورة يوسف : الآيتان ٩٧ - ٩٨ .

وفي حديث جرير بن عبدالله ﷺ عن النبي ﷺ قال : «من حُرم الرفق حُرم الخير ومن يُحرم الرفق يُحرم الخير»[1] .

وفي حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : «إنَّ الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلاشانه»[2] .

إن أعظم أسلوب ينبغي أن يعيه ولا يحيد عنه الأبوان في نصح الولد بعد البلوغ وفي معالجة مشكلاته واعوجاجه الرفق والأناة وسعة الصدر وطول البال فإن الاستعجال والتشنج والغضب المذموم لا يأتي بخير ، والفتى والفتاة بعد البلوغ في حاجة إلى كلمة طيبة هادفة ونصح بناء ومن الله التوفيق .

وأيضاً التعليم والتوجيه بالتمسك بالأخلاق الفاضلة والخصال الحميدة في المظهر والمخبر ، فإن ترسيخ الأخلاق ليس يقتصر على فئة من الأولاد دون أخرى ، ولا هو لمرحلة من عمر الإنسان دون غيرها ، ومما يوجه به الشاب بعد الاستقامة ومعها : الاهتمام بالمظهر وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «خالفوا المشركين وفروا اللحى وأحفوا الشوارب»[3] .

وعن زيد بن أرقم ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «من لم يأخذ من شاربه فليس منا»[4] .

وكذلك توجيه الفتاة بالحجاب الشرعي والتزام الحياء والحشمة والعفاف فإن

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة حديث (٢٥٩٢) ، وأبو داود في كتاب الأدب حديث (٤٨٠٩) ، وابن ماجه في كتاب الأدب حديث (٣٦٨٧) ، وأحمد في مسند الكوفيين حديث (١٨٤١١) .

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة حديث (٢٥٩٤) ، وأبو داود في كتاب الجهاد حديث (٢٤٧٨) ، وأحمد في مسند الأنصار حديث (٢٣١٧١) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب اللباس حديث رقم (٥٨٩٢) واللفظ له ، ومسلم في كتاب الطهارة حديث (٢٥٩) .

(٤) رواه الترمذي في كتاب الأدب حديث (٢٨٦١) وقال : حسن صحيح ، والنسائي في كتاب الطهارة حديث (١٣) .

الاستقامة على أمر الله وتقواه سبحانه والاستعداد لما بعد الموت أمر لا يعدله شيء، وكما قال تعالى: ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1] .

ومما يجب على الآباء في هذه المرحلة :

- تزويج الولد البالغ سواء كان ابناً أو بنتاً، أما الابن فبالإنفاق عليه وتزويجه والإعانة على ذلك إن لم يكن قادراً وخشي عليه الفتنة، ولأن تحصينه وإعفافه بالزواج مع قدرة الأب على ذلك أيسر مؤونة من معالجة وقوعه في بلاء الفاحشة أو داء المخدرات ! .

وكذلك السعي لتزويج الفتاة فإن إهمال أمرها وصرف الخطاب عنها ظلم لها وعضل وهو منهي عنه، وليس من غضاضة في أن يبحث الأب أو الأخ عن زوج كفء لابنته وأخته، فإن ذلك فعل الأخيار، وفيه درء لأخطار العنوسة وشبح الرذيلة ومساوئ الفراغ والبطالة عن الفتيات المسلمات العفيفات، والفتاة المسلمة من جملة العرض الذي يحميه المسلم ويصونه من كل ما يشينه .

وفي تأخير الزواج عن السن المعروفة وهي ما بين (٢٠- ٢٥) سنة للفتيان، و(١٧-٢٣) سنة للفتيات أخطار متعددة، وهي أخطر في عصر كعصرنا إذ تعددت وتنوعت فيه وسائل الإغراء بالحرام والإغواء والإثارة، وفي بقاء الشباب مع ذلك سنوات طويلة بلا زواج مفاسد جمة لا تقتصر على جيل العزاب والعوانس فحسب بل وتتجاوزه إلى أجيال كثيرة[2] .

- ومما يجب على الوالدين أن لا يتركوا أولادهم فقراء بالإجحاف في الوصية أو بمحاباة البنين على البنات، أو بنحو ذلك من المسالك التي لا يرضى عنها الله ولا رسوله ﷺ، فالوصية لوارث والإهداء لبعض الأولاد دون البعض الآخر والوصية بأكثر من الثلث في أوجه الخير . . . كل ذلك لا يجوز وللشرع فيه بيان واضح .

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٢٨ .

(٢) انظر كتابنا تأخر سن الزواج أسبابه وأخطاره وطرق علاجه، ط ١٤١٥هـ، دار العاصمة - الرياض .

ولما أراد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن يوصي بماله كله نهاه النبي ﷺ ، قال : فالشطر ، «فنهاه» قال : الثلث ، قال : «**فالثلث والثلث كثير إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم ، وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمة التي ترفعها إلى في امرأتك**»[1] .

وهكذا فالإسلام دين الوسطية والاعتدال والواقعية ، يقيم موازنة بين حاجات النفس وأشواق الروح وحقوق الآخرين ، فلا يرضى بالضيم ولا بالتهاون ولا بالغلو والمبالغة .

وفي العدل بين الأولاد حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه وفيه يقول النبي ﷺ : «**اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**»[2] .

هذا وهناك حقوق عامة هي في الحقيقة حقوق متبادلة بين الآباء والأبناء ، بل وبين المسلمين جميعاً كحفظ العرض وستر الزلات والعفو والتماس الأعذار ، ولئن كانت هذه الحقوق بين عموم المسلمين واجبة فإنها على الآباء ألزم لما يدلون به من وشيجة الرحم ، ولما تنفرد به عروة الأبوة ولحمتها من معاني الإيثار والبذل ، ثم هي على الأبناء أوجب وأوجب لعظم حق الوالدين إذ قرن الله حقهما بحقه جل وعز .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الوصايا حديث (٢٧٤٢) ومسلم في كتاب الوصية حديث (١٦٢٨) .

(٢) متفق عليه ، وقد تقدم ص ٣ .

الخاتمة

هذه الدراسة المتواضعة ليست تعدو أن تكون رؤية تربوية لموضوع ضخم متعدد الجوانب متشابك المسالك عظيم الخطر ، إنه موضوع **(مسئولية الآباء تجاه الأولاد)** ، وهو موضوع جدير بأن تعقد له الندوات المتتابعة ، ويستكتب فيه التربويون المتخصصون ، وترصد له سلسلة من الدراسات الإعلامية تبين أهميته وحجمه المتنامي ، وأثره الضارب في جذور البنيان الأسري ، وقيمته في موازين الشرع .

ولعل هذا الكتيب -تلخيص- للمعالم والأسس العامة للواجبات الشرعية المناطة بالآباء تجاه الأولاد ، مما يندرج في إطار المسئوليات والأمانات التي لا يجوز بحال التفريط فيها ، وإلا كان تفريطاً في الكيان الإنساني !!

ومن خلال فصول هذا الكتيب ومباحثه ومسائله ، فإن في مكنة القارئ التوصل إلى الاستنتاجات التالية :

- أن حاجة الأولاد إلى رعاية الآباء وتربيتهم حاجة متنامية مضطردة وفي الوقت ذاته هي حاجة أساسية ليس لهم عنها غنية ، ولا للآباء عنها محيد .

- وأن دور الآباء في تربية الأولاد دور أساس لا يضارعه دور آخر لاسيما في عمق التأثير وقوة التحوير ، لما للآباء من خصائص وعوامل تتوافر وتتضافر لتحقيق الأهداف التربوية .

- وأن صلاح الآباء واستقامتهم واستمساكهم بالدين القويم والهدي المستقيم مطلب أساس فبصلاحهم يصلح الله الولد ، وصلاح الآباء أسلوب في التربية وهو أسلوب القدوة العملية التي ينتفع بها الولد لاسيما في مراحل الصبا الأولى بطريق المحاكاة والتقليد ، وبطريق الحمية والتفاخر بمآثر الآباء ، وهو نافع محمود إن كان في الفضائل .

- أن تربية الأولاد على العقيدة الإسلامية ومستلزماتها مطلب أساس ومقصد تربوي جليل ، ولذلك آثاره الحميدة في حياة الولد في الدنيا والآخرة ، لما يسكبه الإيمان في القلوب من مشاعر الطمأنينة والراحة النفسية والاستقامة على دين الله ، فكل تربية بنيت على غير هذا الأساس فإنها ليست بشيء !

إذ لا معنى للحياة بغير العقيدة الإسلامية ، وليس يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

- أن النهج الأقوم في تربية الولد بعد تلقينهم مبادئ العقيدة ، البدء بتربيتهم على مائدة القرآن العظيم ، بحفظه وتلاوته وتدبر معانيه والعمل بمقتضاه ، وهذا هو التأسيس التربوي السليم الذي عليه ومن خلاله ينهض البنيان التربوي ويتكامل ويتناسق .

- أن مهمة الآباء ومسئوليتهم تجاه الأولاد من الشمولية بمكان ، إذ تنتظم أمور المعاش والمعاد ، وتتوخى صلاح الدنيا والآخرة ، وهذا يستدعي الفقه في الدين ، والوقوف على مجريات الحياة وأنماطها ليتأهل الولد لأمور دنياه ، وليقوم قبل ذلك بواجباته الدينية ويعرف حق ربه عز وجل وحقوق الخلق .

- أن تحصين الأولاد والعمل على حمايتهم من المؤثرات الثقافية الوافدة مطلب آني ملح ، ويقع الجزء الأكبر من ذلك ضمن مسئوليات الآباء لما يتمتعون به من مقومات التحصين المبكر ، ولما طوقهم الشرع به من أمانة الولد والعمل على وقايته وتبصيره بكل ما يرديه في هاوية العطب في الفكر والسلوك وجملة العوائد ، فالدين الحنيف من الكمال والشمولية بحيث يفي بكل حاجات الإنسان ، ولكل العصور ، ويهديه للتي هي أقوم .

- أن الآباء أول من ينعم بصلاح الولد إن أحسنوا تربيته وتهذيبه ، كما أنهم تنالهم غوائل الولد إن أساؤوا تربيته ، وتلك سنة الحياة .

– أن الأولاد جزء من الآباء . فهم امتداد إنساني ، والتفريط فيهم وإضاعتهم إلقاء بالنفس إلى التهلكة وهو ما نهى عنه الشرع ، كما أن القيام بالأمانة على الوجه الأتم من القيام بفروض الدين وواجباته .

هذا ، ونقول كما علمنا الله تبارك وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[1] .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

---

(١) سورة الفرقان : آية ٧٤ .

قائمة بالمراجع والمصادر

أولاً ـ القرآن العظيم .

ثانياً ـ من كتب السنة والسيرة والمراجع العامة :

١- الأدب المفرد : محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦ هـ) ترتيب وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ، ط : ١٤٠٩هـ دار البشاير ـ بيروت .

٢- الإصابة في تمييز الصحابة : أحمد بن علي بن محمد بن حجر (٨٥٢ هـ) ، ط : دار الكتاب العربي ـ بيروت .

٣- اعتقاد أهل السنة : هبة الله اللالكائي (٤١٨ هـ) تحقيق أحمد سعد حمداني ، ط : ١٤٠٢هـ دار طيبة ـ الرياض .

٤- البداية والنهاية : إسماعيل بن عمر بن كثير (٧٧٤ هـ) تحقيق د . أحمد أبو ملحم وزملاؤه ، ط : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٥- البيان والتعريف : إبراهيم بن محمد الحسيني (١١٢٠ هـ) تحقيق سيف الدين الكاتب ، ط : ١٤٠٣هـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

٦- تاريخ ابن خلدون : (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر) عبدالرحمن بن خلدون (٨٠٨ هـ) ، ط : ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٧- تاريخ الأمم والملوك : محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ) ، ط :١٣٩٩هـ/١٩٧٩م دار الفكر .

٨- الترغيب والترهيب : عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري (٦٥٦ هـ) تحقيق إبراهيم شمس الدين ، ط : ١٤١٧هـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٩- تفسير القرآن العظيم : إسماعيل بن كثير (٧٧٤ هـ) ط : ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م بيروت .

١٠- تلخيص الحبير : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ) تحقيق عبدالله هاشم اليماني ، ط : ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م ـ المدينة المنورة .

١١- الجامع الصحيح (صحيح البخاري) : محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦ هـ) ، ط : فتح الباري المطبعة السلفية ـ مصر .

١٢- الجامع الصغير : عبدالرحمن بن أبي بكر (٩١١ هـ) تحقيق محمد عبدالرؤوف وزميله ، ط : دون تاريخ ، دار طائر العلم ـ جدة .

١٣- خلاصة البدر المنير : عمر بن علي بن الملقن (٨٠٤ هـ) تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي ، ط : ١٤١٠هـ مكتبة الرشد ـ الرياض .

١٤- زاد المعاد في هدي خير العباد : محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية (٧١٥ هـ) تحقيق شعيب الأرناؤوط وأخيه ، ط : ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .
١٥- زاد المسير في علم التفسير : عبدالرحمن بن علي الجوزي (٥٩٧ هـ) ، ط : ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م - بيروت .
١٦- سبل السلام : محمد بن إسماعيل الصنعاني (٨٥٢ هـ) تحقيق محمد عبدالعزيز الخولي ، ط : ١٣٧٩هـ دار إحياء التراث العربي - بيروت .
١٧- السنة : عبدالله بن أحمد بن حنبل الشيباني (٢٩٠ هـ) تحقيق د . أحمد سعد القحطاني ، ط : ١٤٠٦هـ دار ابن القيم - الدمام .
١٨- سنن الترمذي : محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٧٩ هـ) ترتيب أحمد شاكر ، ط : بيروت .
١٩- سنن الدارمي : ترتيب وترقيم العالمية (صخر) القاهرة .
٢٠- السنن الكبرى : أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨ هـ) ، ط : ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م دار الباز - مكة المكرمة .
٢١- سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥ هـ) ، ط : ١٣٨٨هـ - سوريا .
٢٢- سنن ابن ماجه : محمد بن يزيد القزويني (٢٧٥ هـ) ترتيب محمد فؤاد عبدالباقي .
٢٣- سنن النسائي : أحمد بن شعيب بن علي النسائي (٣٠٣ هـ) ترقيم عبدالفتاح أبو غدة ، ط : ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م - بيروت .
٢٤- السيرة النبوية : لابن هشام (٢١٨ هـ) تحقيق مصطفى السقا وآخرون .
٢٥- صحيح ابن حبان : محمد بن حبان البستي (٣٥٤ هـ) تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ط : ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م مؤسسة الرسالة - بيروت .
٢٦- صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١ هـ) ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي .
٢٧- صفة الصفوة : عبدالرحمن بن علي بن الجوزي (٥٩٧ هـ) ، ط : ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م دار المعرفة - بيروت .
٢٨- الطبقات الكبرى : محمد بن سعد البصري ، ترتيب محمد عبدالقادر عطا ، ط : ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م دار الكتب العلمية - بيروت .
٢٩- فتح الباري (شرح صحيح الإمام البخاري) : أحمد بن علي بن حجر (٨٥٢ هـ) المطبعة السلفية - القاهرة .
٣٠- الكامل في التاريخ : محمد بن محمد عبدالكريم الشيباني ابن الأثير (٦٣٠ هـ) ، ط : ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م دار الكتاب العربي - بيروت .

٣١- كشف الخفاء : إسماعيل بن محمد العجلوني (١١٦٢ هـ) تحقيق أحمد القلاش ، ط : ١٤٠٥هـ مؤسسة الرسالة - بيروت .
٣٢- لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور المصري (٧١١ هـ) ط : بيروت .
٣٣- مجمع الزوائد : علي بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧ هـ) ، ط : ١٤٠٧هـ دار الريان للتراث - القاهرة .
٣٤- المستدرك على الصحيحين : محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (٤٠٥ هـ) تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا ، ط : ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م دار الكتب العلمية - بيروت .
٣٥- مسند الإمام أحمد : أحمد بن حنبل الشيباني (٢٤١ هـ) ترتيب وترقيم العالمية (صخر) - القاهرة .
٣٦- مسند إسحاق بن راهويه : إسحاق بن إبراهيم بن راهويه الحنظلي (٢٣٨ هـ) تحقيق د . عبدالغفور البلوشي ، ط : ١٩٩٥م مكتبة الإيمان - المدينة المنورة .
٣٧- مصباح الزجاجة : أحمد بن أبي بكر الكتاني (٨٤٠ هـ) ، ط : ١٤٠٣هـ دار العربية - بيروت .
٣٨- المعارف : عبدالله بن مسلم ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) تحقيق د . ثروت عكاشة ، ط : دار المعارف - مصر .
٣٩- المعجم الأوسط : سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠ هـ) تحقيق طارق عبدالله وزملاؤه ، ط : ١٤١٥هـ دار الحرمين - القاهرة .
٤٠- المعجم الكبير : سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠ هـ) تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي ، ط : ١٤٠٤هـ مكتبة العلوم والحكم - الموصل .
٤١- المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية مصر ، ط : المكتبة العلمية - طهران .
٤٢- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج - يحيى بن شرف النووي (٦٧٦ هـ) ، ط : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م دار القلم - بيروت .
٤٣- موطأ مالك -مالك بن أنس- : ترتيب وترقيم العالمية (صخر) - القاهرة .
٤٤- النهاية في غريب الحديث والآثار : مبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ، ط : المطبعة الخيرية - مصر .
٤٥- نيل الأوطار : محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٥ هـ) ، ط : ١٩٧٣م دار الجيل - بيروت .

وبالله التوفيق

فهرس الكتاب

فهرس الكتاب